

الـرَّدُّ على الكذابِ الأشِرِ

بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر

أو السيوفُ البواتر

في نحـــر

بابا الفاتيكان الكافــر

*** عدُوّ الرسول ﷺ: البابا النازي.. «بُوم روما» بنديكت السادس عشر يَنفُثُ سُمَّه:**

البابا الألمانيُّ النازيُّ «بنديكت أو بنديكتوس السادس عشر» الجالسُ على كُرسيِّ البابويَّةِ في الفاتيكان، هذا القِزمُ القَمِيءُ والزعيمُ الرُّوحيُّ لأكثَرَ مِن مليارٍ وثمانيةَ عَشَرَ مليون من الدَّجَاجلة «كاثوليك العالم»، يَنفُثُ سُمَّه علانيةً، وتبدو البغضاءُ بأبشعِ صُورِها مِن فِيهِ، وما يُخفي صَدرُه أكبرُ.

*** وهو أكبر عدوٍّ للمسلمين في عصرِنا الحالي:**

ففي أول قُدَّاسٍ أشرَفَ عليه - بعد انتخابه في أواخرِ إبريل من عام ٢٠٠٦م -، لم يَذكر المسلمينَ بكلمةٍ واحدة، في الوقت الذي دَخل في غَزَلٍ صريحٍ - وربما فاضح -، لِمَا أسماهم «الإخوة الأعزَّاء» ويَقصِدُ بهم اليهودَ الذين اختَصَّهم في ذلك القُدَّاسِ بكلماتٍ كانت تَفيضُ مَوَدَّةً وإعزازًا!!.

□ وبعد ذلك بأيامٍ في مدينة «كولونيا الألمانية» كان التقريعُ والذمُّ من نصيب المسلمين، عندما التقى البابا «بوم روما» بوفدٍ من مُمَثِّلي الجاليةِ المسلمةِ في أسقُفيَّةِ المدينة، التي كانت تحتضنُ معسكرَ الأيامِ الدوليةِ للشباب أواخرَ أغسطس، لِيُعرِبَ لهم عن بالغِ انشغاله بتفشِّي «الإرهاب»، بل إنه زادَ مِن دونِ أدنى مناسبةٍ مُقرِّعًا الوفدَ قائلاً: «يجبُ أن يَنزعَ المسلمون ما في قلوبهم من حِقدٍ، وأن يَعمَلوا على مواجهةِ كلِّ مظاهرِ التعصُّب، وما يمكنُ أن يصدرَ عنهم من عنف».

مِثلُ هذه النبرةِ التوبيخيَّةِ - التي كان لها بالطبع وقعٌ سيِّئٌ في نفوسِ المسلمين - جَعَلَتْهم يُفيقون من غَيبوبتهم، ويَعرفون قَذارةَ وحقارةَ أكبرِ

أعدائِهم وما يُخفي -بل ويُبدي- من عداوةٍ لهم.

□ ثم تلا ذلك الموقفَ موقفٌ آخَرُ، وابتساماتٌ ومجاملاتٌ رقيقةٌ للكاتبة «أوريانالا فالاتشي»، وهي مسيحيةٌ إيطالية تُقيمُ منذ فترةٍ طويلةٍ في الولايات المتحدة الأمريكية، وتُعرَفُ بمقالاتها الناريةِ التي تَنشرُها في العديدِ من الصحف الأمريكيةِ الشعبيَّة، التي تُؤلِّبُ فيها الأمريكيِّين على الإسلام والمسلمين، إذْ إن «فالاتشي» لا ترى فَرْقًا بين إسلامٍ متطرِّفٍ وآخَرَ معتدِلٍ، وكتاباتُها تدورُ دائمًا حول أن «الإسلام كلَّه متطرِّف، والتناقضَ بينه وبين المسيحية جوهريٌّ، ومِن ثَمَّ فلا شيءَ قابلٌ للنِّقاش».

قبل تولِّيه كرسيَّ البابوية، كان البابا «بنديكت السادس» كاردينالاً ألمانيا اسمُه «جوزيف راتسينجر»، وكان من أشدِّ المعارِضين لانضمامِ تركيا -البلد الإسلاميِّ-، إلى الاتحاد الأوربي.

ويَحملُ مَلَفُ البابا الإرهابَ بعينه، فقد وُلد «جوزيف راتسينجر» في قرية «تراونشتَين» التابعة لإقليم «بارفاريا» في ألمانيا، وعندما بَلَغ الرابعةَ عَشْرةَ من عُمره انضمَّ إلى جيشِ «شبيبة هتلر» وكان جيشًا غيرَ نظاميٍّ، مخصَّصًا للشباب أيامَ الحكمِ النازيِّ.

وقد سَعى الفاتيكانُ مِراراً إلى محاولاتٍ لِمَحْوِ تلك المرحلةِ من حياةِ البابا الجديد، ربَّما كان من أشهرِها تلك المحاولةُ التي جَرَت على لسانِ مؤرِّخِ الفاتيكان الشهير «جون ألين» الذي كَتَب بعدَ أسابيعَ من ترسيم «بنديكتوس» أنه: «كان عُضواً بالفعلِ في جيش «شبيبة هتلر»، لكنه لم يكنْ متحمِّسًا للجيش، بل ورَفض أن يَحضُرَ اجتماعاتِه، وعَبَّر في مُقتَبَل عُمرِهِ

عن معاداتِه للنازية» .

ولقد خَدَمَ هذا البابا في جيشِ النازيِّ لسنواتٍ، بدايةً من سنة ١٩٤٣م حين أُرسل في السادسةَ عَشْرةَ من عُمره ـ ضِمنَ مجموعةٍ من الجنود ـ إلىٰ شمالِ مدينة «ميونخ» لحراسةِ مصنعٍ لمحرِّكاتِ الطائرات .

□ إنَّ اختيارَ اسم «بنديكت» له دلالةٌ خطيرة، فهذا الاسمُ لأحدِ أسماءِ الباباوات السابقين الذين شاركوا في الحملاتِ الصليبية ضدَّ الإسلام، وهو اسمٌ لبابا آخرَ كان يقول: «إنه سيِّدُ أوربا»، وأعلن في أكثرَ من لقاءٍ أنه لا تراجُعَ عن عملياتِ التبشيرِ والتنصيرِ، ويستخدمُ كلَّ الوسائلِ لتحقيقِ ذلك .

□ «وبنديكت» يريدُ استكمالَ مسيرةِ سَلَفِه «الباب يوحنا بولس الثاني» في محاربةِ الإسلام حَسْبَ تصريحاتِه الموثَّقة، واستكمالِ تنصيرِ العالَم الإسلامي، وإذا ما كانت عمليةُ اقتلاعِ الإسلام تمَّت قديمًا في صَمْتٍ وخَفَاءٍ، فمنذ عام ١٩٨٢م أصبحت تتمُّ في وَضَحِ النهار، وذلك بعدَ أن أعلنها البابا «يوحنا بولس الثاني» صراحةً مُطالبًا بضرورةِ إعادةِ تنصيرِ العالَم، حتىٰ لا يَبقىٰ علىٰ الصعيدِ العالميِّ سوىٰ كاثوليكيةِ رُوما .

□ قبل أيامٍ من تصريحاتِ «بنديكت» الأخيرة، كان «بوش» يَصِفُ الإسلاميين بأنهم «فاشيُّون»، وقال إبَّانَ الاعتداءات الإسرائيليةِ علىٰ لُبنانَ بأنه يجبُ القضاءُ علىٰ الشُّموليةِ الإسلاميةِ، والانتهاءُ من أيِّ تعصُّبٍ دينيٍّ، وإقامةُ شَرقٍ أوسطَ جديد[1] .

(١) انظر جريدة «العربي» العدد (١٠٢٦) (ص٣) الأحد ٢٤ من شعبان ١٤٢٧هـ =

* **«بنديكت بوم الفاتيكان»، عدوُّ رسول الله ﷺ:**

في كلماتٍ مسمومةٍ حاقدة، تحملُ كلَّ ضغينةٍ للإسلام، وتَعدَّت كلَّ الحدود في الكُفر وسُوءِ الأدبِ والوقاحةِ والبذاءةِ والحماقةِ، وَقَفَ البابا أمامَ حَشدٍ كبير من أَساتذةٍ جامعيِّين وطُلاَّبٍ في جامعة «ريجنزبورج» جنوبَ ألمانيا وَسَطَ جُموعٍ حاشدةٍ تزيدُ على مِئتي ألفِ شخصٍ يومَ الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢م لِيُطلقَ حُممًا وبراكينَ، وليتجنَّى بكلِّ وقاحةٍ وجُرأةٍ على سيِّد البشر ﷺ وعلى الإسلام، وكان عنوانها «الإيمانُ والعقلُ والجامعةُ.. ذكريات وانعكاسات».

☐ بدأ البابا المحاضرةَ باجترارٍ للذكرياتِ التي عايَشها أثناءَ مرحلةِ الدراسة والعَمَلِ بالجامعاتِ الألمانية ـ ومن بينها جامعة «ريجنز بورج» ـ، مشيرًا إلى أن هذه الجامعةَ كانت ـ وما زالت ـ فخورةً بكُلِّيَّتي اللاهوت التابعتين لها، لِمَا لهما من دَورٍ في تعميقِ مفهوم «الإيمان»، وكيف أن جميعَ مَن في الجامعة ـ مِن أساتذةٍ وطُلابٍ ـ كانوا يَلتقُون للحوارِ على اختلافِ التوجُّهاتِ والآراءَ.

وقال: «هذا التماسُكُ الداخليُّ للإيمان داخلَ هذا الكَوْن لم يتأثَّرْ عندما قال أحدُ الزملاء بجامعتنا: «إنه مِن المُثيرِ للدهشة أنَّ هناك كُلِّيَتَينِ تنشغلانِ بأمرٍ غيرِ موجودٍ في الواقع، ألاَ وهو الرب..»».

ثم انتقل للحديثِ عن العلاقةِ بين العقلِ والعنفِ في الديانةِ

= ٢٠٠٦/٩/١٧م وجريدة «الأسبوع» العدد (٤٩٥) الإثنين ٢٥ من شعبان ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦/٩/١٨م (ص١، ٢، ٦، ٧).

الإسلامية، والخلافِ في هذا الصددِ بين الديانتين الإسلاميةِ والمسيحية، واستَشهد بهذه المناسبةِ بكتابٍ يُفترض أنه للإمبراطور البيزنطي «مانويل الثاني» (١٣٥٠ ـ ١٤٢٥)، وفي هذا الكتاب الذي يَحملُ عنوان «حوارات مع مسلم . . المناظرة السابعة»، وقدَّمه ونَشَره في الستينات عالمُ اللاهوت الألماني اللبنانيُّ الأصل «تيودور خوري» من جامعة «مونستر»، يَعرِضُ الإمبراطورُ الحوارَ الذي أجراه بين (١٣٩٤ و١٤٠٢) على الأرجح مع عَلاَّمةٍ فارسيٍّ مسلمٍ مفترَض.

◻ وفي ما يلي ترجمةٌ عربيةٌ من «إسلام أون لاين نت» للنصِّ الكامل لحديثِ البابا خلالَ المحاضرة عن هذا المحور «العلاقة بين العقل والعنف في الإسلام والمسيحية»، نقلاً عن موقعِ الفاتيكان الإلكتروني باللغة الألمانية:

«تداعت هذه الذكرياتُ إلى ذِهني عندما قرأتُ منذ فترةٍ وجيزةٍ جُزءَ من حوارٍ نَشَره البروفيسير «تيودور خوري» من جامعة «مونستر»، جرى بين الإمبراطور البيزنطيِّ العالِمِ «مانويل الثاني» ومُثقَّفٍ فارسيٍّ حولَ المسيحية والإسلام وحقيقةِ كلٍّ منهما خلالَ إقامتِه بالمعسكر الشتوي بالقرب من «أنقرة» عام ١٣٩١.

ـ يبدو أنَّ هذا الإمبراطورَ قد سَجَّل هذا الحوارَ إبَّانَ حِصارِ القسطنطينية بين عامَي (١٣٩٤ و١٤٠٢)، يدلُّ على ذلك أن مناظرتَه كانت أكثرَ توسُّعًا من مناظرةِ مُحاوِرِه الفارسيِّ.

ـ الحوارُ تناوَلَ كلَّ ما يتعلَّقُ بشرحِ بُنيانِ العقيدةِ حسبَما وَرَد بالكتاب المقدس والقرآن، وركَّز الحوارُ ـ بصفةٍ خاصةٍ ـ على صورةِ «الرب» وصورة «الإنسان»، أو على العلاقةِ بين ما نُسمِّيه «الشرائع الثلاثة» أو «نظم الحياة

الثلاثة»، ألاَ وهي: العهد القديم، والعهد الجديد، والقرآن.

- في هذه المحاضرة لا أريدُ أن أُناقشَ هذه القضية، ولكنْ أريدُ التطرُّقَ لنقطةٍ واحدةٍ فقط - هامشيَّةٍ نسبيًّا، وشَغَلَتْني في كلٍّ هذا الحوار، وتتعلقُ بموضوعِ «الإيمان والعقل» -، وهذه النقطة تُمثِّلُ نقطةَ الانطلاقِ لتأمُّلاتي حولَ هذا الموضوع.

- ففي جولةِ الحوارِ السابعة - كما أوردها البروفيسير «خوري» - تناول الإمبراطورُ موضوعَ «الجهاد» - أي الحرب المقدسة -. ومن المؤكد أن الإمبراطورَ كان على علمٍ بأن الآية (٢٥٦) من السورة الثانية بالقرآن «سورة البقرة» تقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. إنها من أوائل السور - كما يقول لنا العارفون -، وتعودُ للحِقبةِ التي لم يكن لمحمدٍ فيها سُلطةٌ ويَخضعُ لتهديدات. ولكنَّ الإمبراطورَ من المؤكَّدِ أيضًا أنه كان على دِرايةٍ بما وَرَد في مرحلةٍ لاحقة في القرآنِ حولَ الحربِ المقدسة.

- وبدون أن يتوقفَ عن التفاصيل - مثلِ الفَرقِ في معاملة «الإسلام» للمؤمنين وأهلِ الكتاب والكفار -، طرح الإمبراطور على نحوٍ مفاجئٍ على مُحاوِرِه السؤالَ المركزيَّ بالنسبة لنا عن العلاقةِ بين الدينِ والعنفِ بصورةٍ عامة، فقال: «أرني شيئًا جديدًا أتى به مُحمدٌ، فلن تَجِدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني، مِثلَ أمرِه بنشرِ الدينِ الذي كان يُبشِّرُ به بحدِّ السيف».

- الإمبراطورُ يُفسِّرُ بعد ذلك بالتفصيلِ لماذا يَعتبرُ نَشرَ الدينِ عن طريق العنف أمرًا منافيًا للعقل، فعنفٌ كهذا يتعارضُ مع طبيعةِ اللَّه وطبيعةِ الروح، فالربُّ لا يُحِبُّ الدمَ، والعملُ بشكلٍ غيرِ عقلانيٍّ مخالفٌ

لطبيعة اللَّه، والإيمانُ هو ثمرةُ الروح وليس الجسدَ؛ لذا مَن يُريدُ حَمْلَ أحدٍ على الإيمان، يجبُ أن يكونَ قادراً على التحدُّثِ بشكلٍ جيِّدٍ والتفكيرِ بشكلٍ سليم، وليس على العُنفِ والتهديد.. لإقناعِ رُوحٍ عاقلةٍ لا نحتاجُ إلى ذِراعٍ أو سلاحٍ، ولا أيِّ وسيلةٍ يُمكنُ أن تُهدِّدَ أحداً بالقتل.

- الجملةُ الفاصلةُ في هذه المُحاججة ضدَّ نشرِ الدينِ بالعنفِ هي: العملُ بشكلٍ مُنافٍ للعقلِ مُنافٍ لطبيعة الرب.. وقد علَّق المُحرِّر «تيودور خوري» على هذه الجُملة بالقول: بالنسبةِ للإمبراطور - وهو بيزنطيٌّ تَعَلَّم من الفلسفة الإغريقية -، هذه المقولة واضحة.. في المقابل - بالنسبةِ للعقيدة الإسلامية -، الربُّ ليست مشيئتُه مطلقةً وإرادتُه ليست مرتبطةً بأيٍّ من مقولاتِنا ولا حتى بالعقل.

- ويَستشهد «تيودور خوري» في هذا الشأن بكتابٍ للعالِمِ الفرنسيِّ المتخصِّصِ في الدراساتِ الإسلامية «روجيه أرنالديز» - تُوفي في إبريل الماضي - الذي قال: إن «ابن حزم» - الفقيه الذي عاش في القرنين العاشر والحادي عشر - ذَهَبَ في تفسيره إلى حدِّ القول: إن اللَّه ليس لزامًا عليه أن يتمسَّك حتى بكلمته، ولا شيءَ يلزمُه على أن يُطلِعَنا على الحقيقة، ويمكنُ للإنسان - إذا رَغِبَ - أن يعبدَ الأوثان.

- مِن هذه النقطة يكونُ الطريقُ الفاصلُ بين فَهمِ طبيعةِ اللَّه، وبين التحقيقِ المتعمِّقِ للدين الذي يتحدَّانا اليومَ، فهل مِن الفِكرِ اليونانيِّ فقط أن نعتقدَ أنه أمرٌ منافٍ للعقلِ مخالفٌ طبيعةَ اللَّه؟ أم أن هذا أمرٌ مفهومٌ من تلقائهِ وبصورةٍ دائمة؟ أعتقدُ أنه - من هذه الوجهة - هناك تناغمٌ عميقٌ

ملحوظٌ بين ما هو إغريقيٌّ وبين ما وَرَد في الكتابِ المقدَّس من تأسيسٍ للإيمان بالرب.

أولُ آيةٍ في «سِفر التكوين» ـ وهي أولُ آيةٍ في الكتاب المقدس ككلٍّ ـ استَخدمها «يوحنا» في بدايةِ إنجيله قائلاً: «في البدء كانت الكلمة»، هذه هي الكلمةُ التي كان الإمبراطور يحتاجُها: الرب يتحاورُ بالكلمة، والكلمةُ هي عقلٌ وكلمةٌ في نفس الوقت، العقلُ القابلُ للخلق ويُمكن تناقلُه، شريطةَ أن يَظَلَّ رشداً.

يوحنا أهدانا بذلك الكلمةَ الخاتمةَ لمفهومِ «الرب» في الكتاب المقدَّس، ففي البَدءِ كانت الكلمة ـ والكلمة هي الرب ـ، الالتقاءُ بين الرسالة التي نَقَلَها الكتابُ المقدَّسُ وبين الفِكرِ الإغريقيِّ لم يكن وليدَ صدفةٍ، فرؤيا «بولس» المقدس الذي نَظر في وجهِ مقدونيًّا وسَمِعه يدعوه: «تعالَ وساعِدْنا»، هذه الرؤية يجبُ أن تفسَّرَ على أنها تكثيفٌ للتلاقي بين العقيدةِ التي يَشتملُ عليها الكتابُ المقدسُ وبين السؤالِ اليوناني.

ـ اليومَ نعرفُ أن الترجمةَ اليونانيةَ للعهدِ القديم بالإسكندرية (المعروفة باسم السبتواجنتا) ـ أي الترجمة السبعينية ـ، لم تكن مجردَ ترجمةٍ للنصِّ العِبريِّ فقط، بل إنها خُطوةٌ هامةٌ في تاريخ الوحي الإلهيِّ، التي أدَّت إلى انتشارِ المسيحية.

ـ كان هناك تلاقٍ بين الإيمانِ والعقل، بين التنويرِ الحقيقيِّ والدين، «مانويل الثاني» كان يُمكنُه القولُ من خلالِ الإحساس بطبيعةِ الإيمان المسيحي، وفي الوقت نفسِه بطبيعةِ الفِكرِ اليونانيِّ الذي اختَلط بالعقيدة

وامتَزَج بها: «مَن لا يتحاورُ بالكلمةِ فإنه يُعارِضُ طبيعةَ الرب».

ـ هنا يمكنُ ملاحظةُ أنه في نهاياتِ العصرِ الوسيطِ ظَهرت اتجاهاتٌ في التفسير الدينيِّ تَجاوزت التركيبةَ اليونانيةَ والمسيحية، فتميَّزت مواقفُ تقتربُ مما قاله ابنُ حزمٍ وتتأسسُ على صورةِ تعسُّفِ الربِّ الذي لا يَرتبطُ بحقيقةٍ أو بخيرٍ.

ـ الاستعلاءُ ـ الذي هو الطبيعةُ المخالفةُ للرب ـ تجاوزت المدى، لدرجة أنَّ رُشدَنا وفَهمَنا للحقيقةِ والخيرِ لم يَعُدِ المرآةَ الحقيقيةَ للرب، وتَظلُّ إمكانياتُها غيرُ المحدودةِ مخفيةً وغيرَ متاحةٍ لنا إلى الأبد، في مقابل ذلك تمسَّكَ الاعتقادُ الكَنَسي بحقيقةِ أنه يوجدُ بيننا وبين الربِّ وبين رُوحِ الخَلقِ الأبديةِ وبين عَقلِنا تطابقٌ.

ـ وختامًا فرغمَ كلِّ السرورِ الذي نَرى به الإمكانياتِ الجديدةَ التي أدخَلَها الإنسانُ، نرى أيضًا التهديداتِ التي تتنامى مِن هذه الإمكانيات، ويجبُ أن نسألَ أنفسَنا: كيف يمكنُ أن نسيطرَ عليها، ولن يمكنَنا ذلك إلاَّ إذا تلاقى العقلُ والإيمانُ بصورةٍ جديدة، ومِن خلال ذلك فقط يمكنُنا أن نكونَ مؤهَّلين لحوارٍ حقيقيٍّ بين الحضاراتِ والأديانِ الذي نحن في أمسِّ الحاجة إليه.

العقلُ الذي يكونُ فيه الجانبُ الربانيُّ أصمَّ ـ والدينُ ينتمي إلى الثقافاتِ الثانوية ـ هو عقلٌ غيرُ صالحٍ لحوارِ الحضارات، وقد قال «مانويل الثاني»: «إنه ليس من العقلِ ألاَّ يكونَ التحاورُ بالكلمة؛ لأن ذلك سيكونُ معارضًا لطبيعة الرب»، قال ذلك من خلال منظورِه لصورةِ الربِّ المسيحية، لمحاوِرِه الفارسيِّ. بهذه الكلماتِ وبهذا البُعدِ من العقلِ ندعو لحوارِ الحضاراتِ مع شركائِنا.

* **اتحاد العلماء يطالب باعتذار بابا الفاتيكان:**

أصدَرَ الاتحادُ العالميُّ لعلماءِ المسلمين بيانًا فنَّد فيه التصريحاتِ المسيئةَ التي أدلىٰ بها بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» حولَ الإسلام والرسولِ ﷺ.

وطالَبَ الشيخ يوسفُ القرضاوي ـ رئيسُ الاتحاد ـ بابا الفاتيكان (يومَ الخميس ١٤/ ٩/ ٢٠٠٦) بالاعتذارِ عن هذه التصريحات.

❑ **وفيما يلي نصُّ البيان:**

فوجئتُ وفوجئ المسلمون في أقطارِ الأرض بتصريحاتِ البابا «بنديكتوس السادس عشر» خلالَ زيارتِه إلىٰ ألمانيا، حولَ الإسلام وعلاقتِه بالعقلِ من ناحية، وعلاقتِه بالعُنفِ من ناحية أخرىٰ.

وكنا ننتظرُ من أكبرِ رجلِ دينٍ في العالَم المسيحيِّ: أن يتأنَّىٰ ويتريَّثَ ويُراجِعَ ويُشاوِرَ، إذا تحدَّثَ عن دينٍ عظيمٍ كالإسلام، استمرَّ أكثرَ من أربعةَ عَشَرَ قرنًا، ويتبعُه نحوُ مليارٍ ونصفٍ من البشر، ويَمتلكُ الوثيقةَ الإلهيةَ التي تتضمنُ كلماتِ اللَّه الأخيرةَ للبشرية «القرآن الكريم» الذي لم يَزَلْ يُقرأ كما كُتب في عهد الخليفة الثالثِ عثمانَ بنِ عفانٍ ؓ، ولم يَزَل يُتلىٰ كما كان يتلىٰ في عهدِ النبوة، ويَحفظُه عشراتُ الألوف في أنحاءِ العالم.

ولكنَّ البابا ـ الذي قالوا: إنه كان يَشغلُ مَقعداً لتدريس اللاهوت وتاريخ العقيدة في جامعة «راتيسبون» منذ ١٩٦٩م ـ سارَعَ بنقدِ الإسلام ـ بل بمهاجمتِه ـ في عقيدته وشريعته، وبطريقةٍ لا يَليقُ أن تصدرَ من مِثلِه.

ففي وَسَطِ الجُموعِ الحاشِدةِ التي تَزيدُ علىٰ مِئتي ألفِ شخصٍ، تحدَّث

البابا عن الإسلام دونَ أن يرجعَ إلىٰ كتابه المقدَّس «القرآن» وبيانِه من سُنَّةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، واكتفىٰ بذِكرِ حوارٍ دارَ في القرن الرابعَ عَشَر بين إمبراطورٍ بيزنطيٍّ ومسلمٍ فارسيٍّ مثقَّفٍ، وكان مما قاله الإمبراطورُ للرجل: «أرني ما الجديدُ الذي جاء به محمدٌ؟ لن تَجِدَ إلاَّ أشياءَ شريرةً وغيرَ إنسانيةٍ، مِثلَ أمرِه بنشرِ الدين ـ الذي كان يُبشِّرُ به ـ بحدِّ السيف!».

ولم يذكر البابا ما رَدَّ به الفارسيُّ المثقفُ علىٰ الإمبراطور.

ونسي البابا: أن محمداً جاء بالكثيرِ الكثيرِ الذي لم تأتِ به المسيحيةُ ولا اليهوديةُ قَبلَها، جاء بالمَزجِ بين الرُّوحيةِ والماديَّة، وبين الدنيا والآخرة، وبين نورِ العقل ونورِ الوحي، ووازَنَ بين الفردِ والمُجتمع، وبين الحقوقِ والواجبات، وقَرَّر بوضوحِ الإخاءَ بين الطبقاتِ داخلَ المجتمع، وبين المجتمعاتِ والشعوبِ بعضِها وبعض، وقال كتابه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..**﴾ [الحجرات: ١٣].

* وشَرَعَ مقابلةَ السيئةِ بمِثلها، ونَدَبَ إلىٰ العفوِ، ودعا إلىٰ السلام، ولكنْ أَمَرَ بالإعدادِ للحرب: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأنصف المرأةَ وكرَّمها إنسانًا وأنثىٰ وابنةً وزوجةً وأُمًّا وعُضوةً في المجتمع.

* ونَسَخ كثيراً من الأحكام التي كانت أغلالاً في اليهودية، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ..**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* وأمَّا ما قاله الإمبراطورُ البيزنطيُّ مِن أن محمداً لم يَجِئ إلاَّ بالأشياء الشريرة وغيرِ الإنسانية، مثلِ الأمرِ بنشرِ دينِه بحدِّ السيف! فهو قولٌ مبنيٌّ على الجهلِ المَحضِ، أو الكَذِبِ المحض، فلم يُوجدْ مَن حارَبَ الشرَّ، ودعا إلى الخير، وفَرَض كرامةَ الإنسان، واحتَرَم فِطرةَ الإنسان، مثلُ محمد ﷺ الذي أرسله اللَّه ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

* ودعوى أنه أَمَر بنشرِ دينِه بحدِّ السيف أكذوبةٌ كبرى، فهذا ما أَمَر به قرآنُه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

* والحقيقةُ أن الإسلامَ لم ينتصرْ بالسيف، بل انتَصَر على السيف الذي شُهر في وجهه من أول يوم، وظلَّ ثلاثةَ عَشَرَ عامًا يتحمَّلُ الأذى والفتنةَ في سبيل اللَّه، حتى نَزل قولُه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

* إنما فَرَض الإسلامُ الجهادَ دفاعًا عن النفس، ومقاومةً للفتنة[١]، والفتنةُ أشدُّ من القتل، وأكبرُ من القتل، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ

---

(١) كلاَّ.. ليس الجهاد في الإسلام قاصراً على «جهاد الدفع»، بل فيه أيضًا «جهاد الطلب» لإعلاء كلمة اللَّه تبارك وتعالى.. وقَصْرُ الجهاد على «جهاد الدفع» - فقط - من الأخطاء الفادحة لأصحاب «المدرسة العقلية».

عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٩٠].

* والإسلامُ لا يَقبلُ إيمانَ مَن يدخلُ عن طريقِ الإكراه، كما قال تعالىٰ: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.. ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

❑ وأما قولُ البابا فيما جاء في الكتاب المقدس في «سِفر التثنية» من التوراة: «إن البلدَ التي يدخلُها موسىٰ ومَن معه، عليهم أن يقتلوا جميعَ ذكورها بحدِّ السيف، أمَّا بلادُ أرضِ الميعاد، فالمطلوبُ دينًا ألاَّ يستبْقوا فيها نَسَمةً حيَّةً!».

يعني: الإبادةَ والاستئصالَ الذي نَفَّذه الأوربيون النصارىٰ حينما دخلوا أمريكا مع الهنود الحمر، وحينما دخلوا استراليا مع أهلها الأصليين!.

كنَّا نربأُ بالبابا أن يستدلَّ بهذا الكلامِ المبتورِ في سياقِ حديثِهِ عن الإسلامِ ونبيِّ الإسلام.

❑ وما يمارسُه بعضُ المسلمين من العنف، فبعضُه مشروع - بإقرارِ الأديان والشرائع والقوانين والأخلاق - مِثلُ دفاعِ المقاومةِ الوطنيةِ ضدَّ الاحتلالِ في فلسطينَ أو في لُبنانَ أو في العراقِ أو في غيرِها، وتسميةُ هذا عُنفًا وإرهابًا: ظلمٌ بيِّن، وتحريفٌ للحقائق.

وبعضُ ذلك أنكرته جماهيرُ المسلمين في كلِّ مكان، مثل أحداث ١١ سبتمبر، ومُعظمُ العنفِ غيرِ المشروع سببُه الأكبرُ المظالمُ التي تقعُ علىٰ المسلمين في كلِّ مكان، ويَسكتُ عنها رجالُ الدين في الغرب، وربما باركَها بعضُهم!.

❑ ويُقرِّرُ البابا في لقائِه الجماهيري: «أن اللَّه في العقيدةِ الإسلامية مُطلَقُ السموِّ، ومشيئتُه ليست مرتبطةً بأيِّ شيءٍ من مقولاتنا، ولا حتىٰ بالعقل!».

وأقام مقارنةً مع الفكرِ المسيحيِّ المتشبعِ بالفلسفةِ الإغريقية، موضِّحًا أن «هذا الفكرَ يرفضُ عدمَ العملِ بما ينسجمُ مع العقل، وكلٍّ ما هو مخالفٌ للطبيعة الإلهية».

ولو كَلَّف الحبرُ الأعظمُ نفسه، أو كَلَّف أحدًا من أتباعِه بالرجوع ـ ولو قليلاً ـ إلىٰ مَصدرِ الإسـلام الأول «القرآن»، لَوجد فيـه من عشراتِ الآياتِ ـ بل مئاتها ـ ما يُمجِّدُ العقلَ، ويأمرُ بالنظر، ويَحضُّ علىٰ التفكير، ويرفضُ الظنَّ في مجالِ العقائد، كما يرفضُ اتباعَ الأهواءِ وتقليدَ الآباء والكبراء، حتىٰ كَتَب بعضُ كبارِ الكُتَّابِ بحق: «التفكير فريضة إسلامية».

* وحسبنا قول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

❑ ولو أحببنا أن نقارنَ بين الديانتين ـ الإسلام والنصرانية ـ، لوجدنا النصرانيةَ هي التي لا تُعيرُ العقلَ التفاتًا في عقائدها، وتقولُ تعليماتها: «آمِنْ ثم اعلَمْ، اعتقِدْ وأنت أعمىٰ، أغمِضْ عينيك ثم اتبَعْني».

في حينِ أن العلمَ في الإسلام يَسبقُ الإيمان، والإيمانُ ثمرةٌ له، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، وهكذا: ليعلموا، فيؤمنوا، فتخبت قلوبهم.

لقد ألَّف الشيخ محمدُ عبده كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» ليردَّ به علىٰ أحدِ نصارىٰ الشرق الذي زَعَم أن النصرانيةَ تتسعُ للعلمِ والمَدَنيةِ بما لا يتَّسعُ له الإسلام، فكان ردُّ الشيخِ العلميُّ الموثَّقُ بالمنطقِ

والتاريخ وحقائقِ الدينِ والعلم: أن الأصول التي يقومُ عليها الإسلامُ هي التي تُثمِرُ الحضارةَ والمَدَنية، من الإيمان بالعقل، والجمعِ بين الدنيا والآخرة.. إلخ، بخلافِ المسيحية التي تقومُ في أساسها على الخوارق، ولا تؤمنُ برعايةِ السنن التي أكدها القرآنُ، والتي يقولُ أحدُ فلاسفتها الدينيين «أوغستين»: «أومنُ بهذا؛ لأنَّه مُحال، أو غير معقول»!.

ولو كان الإسلامُ يُنكِرُ العقلَ، أو يُهمِلُه، فكيف أقام المسلمون تلك الحضارةَ الشامخةَ التي جَمَعت بين العلمِ والإيمان، وبين الإبداعِ الماديِّ والسموِّ الرُّوحيِّ؟ والتي ظل العالَمُ يَستمدُّ منها أكثرَ من ثمانيةِ قرون، ومنها أوروبا التي اقتَبست منها المنهجَ التجريبيَّ الاستقرائيَّ، بَدَلَ المنهجِ القياسيِّ الأرِسطيِّ، كما شَهِد بذلك مؤرِّخو العلمِ من أمثالِ «غوستاف لوبون، وبيير بغولف، وجورج سارطون» وغيرهم.

□ وقول البابا: «إن مشيئةَ اللَّه في الإسلام مطلَقةٌ لا يَحُدُّها شيء»، صحيحٌ في الجُملة، ولكنْ أجمَعَ علماءُ الإسلام على أن مشيئةَ اللَّه تعالى مرتبطةٌ بحكمتِه لا تنفصلُ عنها، فلا يشاءُ أمرًا مخالفًا للحكمة، فإنَّ من أسمائه الحسنى التي تكرَّرت في القرآن: «الحكيم»، فهو حكيمٌ فيما خَلَق، وحكيمٌ فيما شَرَع، لا يَخلُقُ شيئًا باطلاً، ولا يَشْرَع شيئًا اعتباطًا.

● واللَّه تعالى لا يفعلُ إلاَّ ما فيه الخيرُ والصلاحُ لخَلقِه، كما قال نبيُّ الإسلام ﷺ في مناجاته لربه: **«الخيرُ بين يديك، والشرُّ ليس إليك»**[1].

ليست هذه هي المرةَ الأولى التي يقفُ البابا الحالي من الإسلام

(١) رواه مسلم.

والمسلمين موقفًا سلبيًّا، يُظهِرُ فيه الإهمالَ أو التوجُّس، أو ما هو أكثر.

ففي أول قُدَّاسٍ أشرَفَ عليه بعد انتخابه في أواخرِ إبريل ٢٠٠٥م لم يَذكرِ المسلمين بكلمةٍ، على حينِ خَصَّ «الإخوةَ الأعزَّاءَ» ـ على حدِّ قوله ـ من الشعبِ اليهوديِّ بكلماتٍ تَفيضُ مودةً وإعزازًا!!.

وفي مدينة «كولونيا» الألمانية ـ آخِرَ شهر أغسطس أثناءَ الأيام العالمية للشباب ـ التَقى بمُمثِّلين عن الجالية المسلمة في أسقفية المدينة، فأعرَبَ عن بالغِ انشغالِه بتفشِّي الإرهاب، وأكد في هذا اللقاءِ ضرورةَ «نَزعِ المسلمين ما في قلوبهم من حقدٍ، ومواجهةِ كلِّ مظاهرِ التعصب، وما يمكن أن يَصدُرَ منهم من عنف»!.

وهذه النبرةُ التوبيخيةُ كان لها وَقعٌ سيِّئٌ في نفوسِ المسلمين، لِمَا فيها من رؤيةٍ ضيقةٍ ومن تصورٍ تبسيطيٍّ لمنابعِ الإرهاب وأسبابه.

كما أن استقبالَه للكاتبة الإيطالية المقيمة في الولايات المتحدة «أوريانا فالاتشي» والتي تكتبُ كتبًا ومقالاتٍ ناريةً تؤلِّبُ على الإسلام والمسلمين، والتي لا ترَى فرقًا بين إسلامٍ متطرِّفٍ وإسلامٍ معتدل، فالإسلامُ كلُّه متطرفٌ، والتناقضُ بين المسيحية والإسلام «جوهري».

كانت هذه مواقفُ تُعَدُّ سلبيةً بالنسبة للمسلمين، أما اليوم، فقد أصبح الأمرُ يتعلَّقُ بالإسلام ذاته، ونحن ـ المسلمين ـ نعتبرُ النصارى أقربَ مودةً للمسلمين، والنبيُّ محمدٌ ﷺ يقول: «**أنا أولى الناسِ بعيسى بنِ مريمَ**»[1].

ولمريمَ عليها السلام سورةٌ في القرآن، ولأُسرةِ المسيح سورة في القرآن

(١) رواه أحمد والشيخان.

«سورة آل عمران»، وللمسيح وكتابه في القرآن مكانٌ معروف، ونحن لا نُريد أنْ نُصَعِّدَ الموقفَ، ولكن نريدُ تفسيراً لِمَا يَحدُث، وما المقصودُ من هذا كلِّه؟! كما نطلُبُ مِن حَبرِ المسيحية أن يعتذرَ لأُمةِ الإسلام عن الإساءةِ إلىٰ دينها.

☐ هل يريدُ الحَبرُ أن نُغلِـقَ أبـوابَ الحوار، ونستعدَّ للصراعِ في حربٍ ـ أو حروبٍ ـ صليبيةٍ جديدة؟!.

☐ وقد بدأها «بوش» وأعلنها صريحةً باسم «اليمين المسيحي»، ونحن ندعو إلىٰ السَّلْم؛ لأن دينَنا يأمرُنا بذلك، ولكننا إذا فُرضت علينا الحرب خُضناها كارهين، نتربَّصُ فيها إحدىٰ الحُسنَيَين، كما قال قرآننا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

[لابقرة: ٢١٦].

● وكما قال نبيُّنا ﷺ: **«لا تتمنَّوا لقاءَ العدو، وسَلُوا اللّهَ العافية، ولكن إذا لَقيتُموه فاثبُتوا، واعلَموا أن الجنةَ تحتَ ظِلالِ السيوف»** متفق عليه.

فنحن ندعو إلىٰ التسامح لا إلىٰ التعصب، وإلىٰ الرِّفق لا إلىٰ العُنف، وإلىٰ الحوارِ لا إلىٰ الصدام، وإلىٰ السلامِ لا إلىٰ الحرب، ولكنَّا لا نقبلُ أن يهاجِمَ أحدٌ عقيدتَنا ولا شريعتَنا ولا قِيمَنَا، ولا أن يَمَسَّ نبيَّنا محمداً ﷺ بكلمةِ سَوء، وإلاَّ فقد أَذِن اللّهُ لنا أن ندافعَ عن أنفسنا، فإن اللّه لا يحبُّ الظالمين.

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين/ يوسف القرضاوي

٢١ شعبان ١٤٢٧هـ ـ ١٤/٩/٢٠٠٦م

* وقفاتٌ مع كلامِ القزم القمِيءِ.. بابا الفاتيكان:

◻ هذا الكافر «يَهرِفُ بما لا يعرف»، وكلامُه: «إنَّ محمداً لم يَجيءْ إلاَّ بالأشياءِ الشريرةِ وغيرِ الإنسانيةِ مثل الأمر بنشر دينه بحدِّ السيف»، فهذا جهلٌ مَحضٌ وكَذِبٌ مَحْضٌ، ولم يُوجد مَن حارَبَ الشرَّ ودعا إلى الخيرِ مثل محمدٍ ﷺ الذي قال عنه ربُّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكيف يردِّدُ البابا مقولةَ إمبراطور بيزنطا: «أرِني ما الجديدُ الذي جاء به محمدٌ؟ لن تجد إلاَّ أشياءَ شرِّيرةً وغيرَ إنسانيةٍ.. مثل أمره بنشر الدين الذي كان يُبشِّرُ به بحدِّ السيفِ».

◻ إن قتلى كلِّ غزواتِ الرسولِ ﷺ من الجانبيْن - أي: من المسلمين وغيرِهم - كانت ٣٨٦! ويَعلمُ هذا البابا الكذَّابُ الأشِرُ الذي يَصدُقُ فيه قولُ القائل: «رَمَتْني بدائها وانسلَّتْ» أنَّ الحروبَ الدينيةَ بين البروتستانت والكاثوليك أبادت ٤٠٪ من شعوبِ وسطِ أوربا، بما يُماثِلُ ١٠ ملايين في ذلك الوقت!.

ويذكرُ التاريخُ أن الكنيسةَ الكاثوليكيةَ الرومانيةَ قد اضطَهَدت البروتستانت، حتى بَلَغ من أُحرِق في فرنسا في مدينةٍ واحدةٍ في يومٍ واحد ٢٣٠ ألفًا، وفي إيطاليا سنة ١٥٦٠م قُتِل ألوفُ الألوف، وقد أَصدر «لويس الخامس» سنة ١٥٢١م أمراً بطردِ البروتستانت مُستنداً إلى موافقةٍ من البابا.

وقَتل أحدُ الأمراء في عهدِ ابنِ الملك لويس ١٨٠٠٠ في أشهر قليلة.

أما عن اضطهادِ الكاثوليك للبروتستانت، فقد بلغ أَشُدَّه، فالولدُ لا يرثُ والِدَيْه، ولا يتعلَّمون، ولا يُعيَّنون في مناصبِ الدولة، ويَدفعون

الضرائبَ مضاعفةً، وتمَّ حَملُ كثيرٍ من رُهبانِهم وعلمائِهم بأمرِ الملكة «إليزابيث»، وتمَّ إغراقُهم في البحر.

◻ وطَردت فرنسا اليهودَ سَبعَ مراتٍ، وعددُ اليهود الذين أُخرِجوا من النمسا وحدَها ٧١٠٠٠ أسرة، وقُتِل كثيرٌ منهم، ونُهبت أموالُهم، وفي إنجلترا أَصدر «إدوارد الأوَّل» أمرًا بنهبِ أموالِهم، ثم طردِهم، فأجلىٰ ١٥ ألفًا في غاية الفقر.

◻ وارتكب الكاثوليك المذابحَ ضدَّ المسملين في أسبانيا عَقِبَ تسليمهم مدينةَ «غرناطة» لفيرناندو، وتم تشكيلُ محاكِمِ تفتيشٍ لإبادةِ المسلمين علىٰ مَدَارِ قرونٍ طويلة، حتىٰ إن المستشرقَ الفرنسيَّ «جاك ميرك» أشار إلىٰ إبادةِ أكثرِ من ثلاثةِ ملايين مسلمٍ علىٰ يدِ المَلِكِ «فيليب الثاني» مَلِكِ أسبانيا، حتىٰ إنهم كانوا يَحمِلون المسلمين بالسُّفنِ ويُلقُونهم في البحر أحياءً.

وقد قدَّم الكاردينال «سبسيزوس» النموذجَ الأبشعَ للتعصُّبِ الدينيِّ بتفنُّنه في تعذيبِ وإبادةِ المسلمين آنذاك.

◻ يقول «لورنتي» واصفًا الاضطهادَ الصليبيَّ الداميَ لمحاكمَ التفتيش: «ألقت محكمةُ التفتيش أكثرَ من (٣١٠٠٠) نَفْس في النار، و٢٩٠٠٠٠ عقوبةٍ تلي الإعدام، ولا تَشملُ هذه الأرقامُ الذينَ أَوْدَتْ بحياتهم فُروعُ هذه المحكمة الأسبانية في «مكسيكو» و«ليما» بأمريكا الجنوبية، و«قرطاجة»، و«صقلية»، و«سردينيا»، و«أوران»، و«مالطا».

◻ وبابا الفاتيكان الكافرُ الخبيثُ يَعلمُ أكثَرَ من أتباعِه أنَّ كاثوليك أوربا ـ الهَمَجَ الرَّعاعَ قُساةَ القلوب ـ قَتلوا بمباركةِ بابا آخَرَ مِثلِه سبعين ألفًا من

المسلمين في ساحاتِ الأقصىٰ يومَ دخلوا ودنَّسوا ترابَه أيامَ الحَملةِ الصليبيةِ عليه يومَ الجمعة ١٦ يوليو ١٠٩٩م.

□ يقولُ «غوستاف لوبون» في كتابه الشهير «حضارة العرب»: «كان أولُ ما بدأَ به «ريكاردوس» الإنجليزي أنه قَتَل من معسكرِ المسلمين ثلاثةَ آلافِ أسيرٍ سَلَّموا أنفسَهم إليه، بَعدَ أن قَطَعَ علىٰ نفسِه العهدَ بحَقنِ دمائهم».

□ وماذا فعل «ديتشارد قلب الأسد» الكاثوليكي بثلاثةِ آلافٍ من المسلمين في «عكَّا» بعدَ أن أجرَوا معه مُفاوضاتٍ بحَقنِ دمائِهم، فغَدَر بهم إبليسُ الغرب الكاثوليكيُّ، وذَبَحَهم عن بَكرةِ أبيهم.

□ بل ماذا يقول «بابا الفاتيكان» الرحيم هو وطائفتُه الكاثوليك عن أكلِ كاثوليكِ الغرب ـ رجالِ الحملةِ الصليبية ـ لجثثِ موتىٰ المسلمين بعد شيِّها؟!.

□ قول «رانسيمان» في كتابه عن الحروب الصليبية: «وكان الجيشُ في «مَعَرَّةِ النُّعمان» يُعاني الجوعَ بعد أن نَفِدَتِ المُؤَنُ التي استولىٰ عليها من الجوار، ولم يكن له من سبيلٍ سوىٰ أن يأكلَ لحومَ البشر».

يَشوُونَ جُثَثَ قتلاهم من الرجال والصِّبيان المسلمين ويأكلونها!!.

□ وكتب المؤرِّخُ «راؤل دي كايين» المرافقُ للفرنج قائلاً: «في مدينة «المَعَرَّة» كان رجالُنا يقومون بغَلْي شُبَّانِ الوثنيين ـ أي: المسلمين ـ في آزانات.. ويُوثِقُون الأطفالَ علىٰ الأسياخِ ويأكلونهم مشويِّين».

□ وانظر ما كتبه المؤرِّخُ الفرنسيُّ «ميشو» راجع المجلد الأول من كتابه

«تاريخ الحروب الصليبية» (ص٣٥٧، ٥٧٧)، و«ببلوغرافيا الحروب الصليبية» صفحات (٤٨، ٧٦، ١٨٣، ٢٤٨)، كلُّها تدورُ حولَ أكلِ لحومِ المسلمين الموتى بعد شيِّها على يدِ جنودِ الفِرنجةِ الصليبيين في مدينةِ «المعَرَّة» عام ١٠٩٨م[1] .

ذئابُ البشرية وأبالسةُ ووحوشُ الكاثوليك يتكلَّمون عن الطُّهرِ وأيديهم مُلَطَّخةٌ بالدماء، ثم يأتون إلى أطهرِ وأعفٍّ وأرحمِ مَن مَشَى على الأرض رسولِ اللَّه ﷺ ويتكلَّمون ـ وبئس الكلامُ كلامُهم ـ أنه ما أتى إلاَّ بكلِّ شرٍّ للبشريةِ!!!..

فِرْعــونُ لَوْ قِيســت عليه فِعالُكم لغَــدَا مســيحًا للهدايــةِ يُنتَظَــرْ
أمَّا أبو جهــلٍ فيَخجلُ عندمـــا تُتلَى مخازِيكم على سَمْعِ البشــرْ

ايهِ يا بنديكت اللعين... سابٌّ للرسولِ ﷺ ولا سيفَ عُمرَ له!!..

وغداً إذا اعتدلت موازينُ الحياة تُقتَّلُون
إن قيل للأشواك: بُعْدًا.. مَرْحبًا بالياسمينْ
إن صار همسُ الحقِّ أقوى من ضجيجِ المبطِلين
وأزاح نورُ اللَّه كلَّ غشاوةٍ فوقَ العيون
واستوطنت سُحُب الكآبةِ وجه بنديكت اللعينْ

***

وغداً إذا اعتدَلت موازينُ الحياة تُقَتَّلُون
إنْ عادَ يُمسكُ بالحياة خليفةُ المتوضِّئين

---

(١) انظر «حروب صليبية بكل المقاييس» (ص١٢) للدكتورة زينب عبدالعزيز.

وتَضَرَّمت للغَيظ نارٌ في قلوبِ الكافرِينْ

ثم اكْتَسَت بالذُّلِّ أوجُهُ مَن تنادوْا مُصبحِينْ

فحَصادُهم عَصفٌ.. هشيمٌ.. خيبةٌ.. كَدَرٌ وهُون

☐ إيهٍ يا بنديكت الفاجر، ما تقول فيما جاء في كتابك المقدَّس في سِفر «التَثنية» من التوراة «الإصحاح العشرون»: «وإن لَمْ تُسالِمْك أيُّ قرية، بل حارَبَتْك فحاصِرْها، وإذا دَفَعها الربُّ إلهُك إلى يَدِك فاضربْ جميعَ ذُكورهم بحدِّ السيف، وأما النساءُ والأطفالُ والبهائمُ، وكلُّ ما في المدينة كلُّ غنيمتها فتغتنمُها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك.. أما بلادُ أرضِ الميعاد، فالمطلوبُ دينًا ألاَّ تَستَبْقوا فيها نَسَمَةً حيَّةً!» يعني الإبادةَ والاستئصالَ الذي نَفَّذه الأوربيون النصارى حينما دخلوا أمريكا مع الهنود الحُمْر، وحينما دَخلوا استراليا مع سُكَّانها الأصليين.

☐ إن عندكم من الفضائح ما تَضِجُّ منه الأنوفُ يا بنديكت.

إن عدمَ استقبالِ رأسِ الكنيسة الأرثوذكسيةِ القبطية بمصر للبابا الكاثوليكي «يوحنا بولس» في مقرِّ الكاتدرائية وقوله: «إنه يُمثِّلُ إيمانًا مختلفًا لا يجوزُ السماحُ لصاحبه بدخولِ الكاتدرائية»! فقلوبكم شتَّى، وكفرُكم أنواعٌ متعدِّدة.

☐ يا لِفكرِكَ الأسودِ الفَجِّ يا «بنديكت»! يا لِوجهك القبيح وقولِك القبيح: «إنَّ اللَّهَ في العقيدة الإسلامية مُطلَقُ السُّمُوِّ، ومشيئتُه ليست مرتبطةً بأيٍّ من مقولاتِنا ولا حتى بالعقل»!.

ثم يدَّعي أن الفِكرَ المسيحيَّ يرفضُ عدمَ العملِ بما ينسجمُ مع العقلِ وكلِّ ما هو مخالفٌ للطبيعة الإلهيَّة.

☐ ونقول لك: إنَّ المسيحيةَ هي التي لا تُعِيرُ العقلَ التفاتًا في عقائدِها، وتقول تعليماتُها: «آمِنْ ثم اعْلَمْ.. اعتقِدْ وأنت أعمىٰ.. أغمِضْ عَينيك ثم اتبعني».

* وفي الإسلام العلم قبل القول والعمل: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] وهكذا: ليعلموا، فيؤمنوا، فتخبت قلوبهم.

* وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

والشرعُ يُخبرُ بمُحاراتِ العقول، لا بمحالاتِ العقول[1].

فلْتَخْسَإِ الحكماءُ عن ربٍّ ... له الأفــلاكُ تَسْـــجُدْ

ومشيئةُ اللَّهِ مرتبطةٌ بحكمتِه، فهو العليمُ الحكيم، الخيرُ بين يديه، والشرُّ ليس إليه.

☐ يا بنديكتُ الذميم، تظنُّ أن تستَخِفَّ بعقولِ العالَمِ كلِّه الذي سَمع تصريحاتِك بجميعِ لغاتِه عَبْرَ وسائلِ الإعلامِ المختلفهِ حين تقول: إن الناسَ أخطؤوا في فَهمِ كلامك.. وأنت الذي اخترتَ ما تنقلُه من كلامِ الإمبراطور البيزنطيِّ.. وأنت الذي أخرجتَ هذا الكتابَ من قَبره في مكتبةِ الفاتيكان لتنقلَ منه أَسوأَ ما فيه؟!.

☐ بعضُ المدافعين عنكَ قالوا: إن الاقتباسَ الذي نَقَله من ذلك الكتاب

(١) أي: الشرعُ يأتي بأمورٍ تحتارُ فيها العقولُ من عظمتها وغرابتها.. لكنه لا يأتي بشيءٍ يقول العقل: «هذا مستحيلٌ حُدوثُه».

«وُظِّف خَطَأً»، ولا أفهم هل وظَّفه خطأً المسلمون الذين غَضِبوا لدينهم ونبيِّهم؟ أم وظَّفه خطأً الذي نَقَله وأذاعه وفاخَرَ بالمحاضرة به على الناس، وصَفَّق له مستمعوه من الكافرين أمثاله؟! وصدق القائل:

لكلِّ داء دواءٌ يُستطَبُّ بـه ... إلاَّ الحماقةَ أعْيَتْ مَن يُداويها

☐ أمَّا نعيُه على الجهادِ وأنه لا يناسِبُ الربَّ، فما قولُه في أسفارِ العهد القديم، حيث تقعُ أحاديثُ الحرب في ٣٦ آيةً من ثمانيةِ أسفار، هي «التكوين، العدد، القضاء، صموئيل الأول، الملوك الثاني، حِزْقيال، التثنية، يوشع»؟ وما قوله فيما نُسِب للمسيح عليه السلام وقولِه عن الحرب: «لا تظنُّوا أني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرض، ما جئتُ لأرسيَ سلامًا، بل سيفًا، فإني جئتُ لأجعل الإنسانَ على خلافٍ مع أبيه، والبنتَ مع أُمِّها، والكَنَّةَ مع حماتها، وهكذا يصيرُ أعداءُ الإنسانِ أهلَ بيته».

*** رأي الفاتيكان في الإسلام:**

مِن أهمِّ المقولات التي قِيلت بلا هوادةٍ في المؤتمر الفاتيكانيِّ الثاني: «لابدَّ من تنصير العالم»، والوثيقةُ الخاصةُ بالإسلامِ والمسلمين تمَّت صياغتُها بإدراجِ الإسلامِ ضمنَ الديانات الآسيويةِ الكُبرىٰ، التي وُجدت بعيدًا عن المسيحية واليهودية، لاستبعادِ الإسلامِ عن رسالةِ التوحيد! وهذا التوجُّهُ غيرُ الأمين - حتىٰ في صياغةِ النصِّ المليءِ بالمغالطات - يكشفُ عن تلك النوايا التي لم تَعُدْ خَفِيَّةً علىٰ أحدٍ، فالفاتيكان - رأسُ الكفر، وقلعةُ الأبالسة، وديارُ المجرمين - لا يعترفُ بالإسلام كديانةٍ سماويَّةٍ توحيديَّةٍ مُنَزَّلةٍ.

☐ وقد لَخَّصَ الأبُ «ميشيل لولنج» هذه الحقيقة قائلاً: «إن الكنيسة

تعتبرُ المسيحَ خاتمَ الرسالة؛ لذلك فهي لا تعترفُ بنبيٍّ الإسلام الذي أدانه المسيحيون بطريقةٍ سلبيةٍ تهجُّميَّةٍ وعُدوانية».

☐ وكان الأبُ «كاسبار» قد أوضح الموقفَ نفسَه أيامَ انعقادِ المؤتمر قائلاً: «إنَّ هناك من بين رجالِ الدين الحاضرين مَنْ يعتبرون أن الإسلامَ خطأٌ مُطلقٌ لا بدَّ من رَفضِه؛ لأنَّه يُمثِّلُ خطراً بالنسبة للكنيسة، ولابدَّ من محاربته»(١).

والحقُّ أبلجُ لو يبغـــون رؤيتَــه ... هيهاتَ يُبصر مَن في ناظرَيْـه عمى
وصَرخَــةُ الحقِّ تأباها مســامِعُهم ... مَن يَسمَعِ الحَقَّ منهم يَشتكي الصَّمَمَا

فهم لا يعترفون بالإسلام كديانةٍ.. نعم هم لا يرتقون إلى مُرتَقى الإسلامِ الجميلِ الوضيءِ الذي أراده اللَّه ديناً للبشرية، وتَمنَّى إبراهيمُ أن يُحشَرَ عليه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

[آل عمران: ٨٣].

* وقال تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

[البقرة: ١٨٣].

* وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[البقرة: ١٣٣-١٣٤].

---

(١) «حرب صليبية بكل المقاييس» (ص٤٠).

* وقبلَ أن نُنهِيَ الكلامَ مع رأسِ الضلالة، نُهديه من ماضي صَلِيبِيِّي إيطاليا هذه الفقرات:

قبل الختام نذكر «لبنديكت» القائل: «إن محمداً لم يأتِ إلاَّ بالأشياءِ الشِّرِّيرة وغير الإنسانية، ونَشَر الدين بِحَدِّ السيف».. نذكرُ له صفحةً اجتمع فيها الشرُّ كلُّه وامتهانُ الآدمية لصليبيِّي إيطاليا أثناء غَزوِهم واحتلالهم لليبيا.

◻ لقد تَحدَّث عن جرائمِ الإيطاليين المجاهدُ الأميرُ «شكيب أرسلان» الذي عاصرَ الأحداثَ وشارَك فيها، وكانت له علاقةٌ حميمةٌ بقائدِ المجاهِدين الليبيين الشهيد «عمر المختار» - رحمه اللَّه -، الذي قَبض عليه الإيطاليون وحكموا عليه بالإعدام، وقبلَ أن يُنفَّذَ فيه الحكمُ راودوه أن يَخنَعَ ويَخضعَ في مقابِلِ العفوِ عنه، فأبىٰ وقال: «لئن كَسَر مدفعُكم سيفي، فلن يَكسِرَ باطلُكم حقِّي، وإن عفوتم عني فسأعودُ إلىٰ قتالِكم من جديد»..

وفي كتاب «حاضر العالم الإسلامي» شواهدُ كثيرة[١].

* عَددُ الذين شَنَقهم الإيطاليون من طرابلس وبَرْقة:

لقد قُدِّر عددُ الذين شَنَقتهم القواتُ الإيطاليةُ الصليبيةُ من أهلِ «طرابلس وبَرْقة» بعشرين ألفَ نَسَمة، وكان من بين الذين عُلِّقوا علىٰ أعوادِ المشانق عددٌ كبيرٌ من النساءِ المسلمات اللواتي جُرِّدْنَ من ثيابِهنَّ، وأبقَوهُنَّ مُجرَّداتٍ عدةَ أيامٍ، وكانوا يَسلُكون ستِّينَ شخصاً - أو سبعين - في سِلسلةٍ واحدةٍ، ويَحبِسونهم علىٰ هذه الصورة حتىٰ يموتوا، وقُذف في البحر مرةً

(١) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان (٢/ ٦٥ - ٨٥).

عِدَّةُ جُثثٍ إلىٰ ساحلِ «السَّلُّوم» مربوطًا بعضُها ببعض.

* **طَردُ الليبيين من أرضِهم المُخصبة لإسكانِ الإيطاليين مكانهم** [1] :

لقد كانت أراضي الجبلِ الأخضرِ من «بَرْقة» أجودَ أراضي طرابلس، ففيها العيونُ والمياهُ الجارية، والغاباتُ الملتفَّة، والمروجُ المَريعة، فتوجَّهت أنظارُ الطلْيان إليها، وأرغموا أهلَها علىٰ هجرِها بطريقةٍ في غايةِ الوحشيةِ والقسوة.

لقد جَمع الطليانُ من سكانِ المنطقة ثمانين ألفَ نسمةٍ ـ رجالاً ونساءً وأطفالاً ـ، وساقُوهم إلىٰ صحراء «سِرْت» في الأراضي الواقعةِ بين «بَرْقة وطرابلس» علىٰ مسافةِ عَشَرةِ أيام من أوصانهم الأصلية، وأنزلوهم في معاطِشَ ومجادِبَ لا يُمكنُ أن يعيشَ فيها بَشَرٌ ولا بقر، فمات قِسمٌ كبيرٌ منهم جوعًا وعطشًا، وماتت مواشيهم بأَسْرِها مِن فَقدِ الكلأِ والماء، فارتفع صُراخُ هؤلاء الأهالي، وراجعوا الحكومةَ الإيطاليةَ، وشكَوا إليها موتَ ذراريِّهم وموتَ مواشيهم، فما زادها ذلك إلاَّ قسوةً ومَضاءً علىٰ عزيمتها، وزادت الطينَ بِلَّةً، فأخذت منهم الرجالَ الذين بلغوا حتىٰ سنِّ الأربعين، وأدخلتهم في الجُندية، ثم عَمَدت إلىٰ الأحداثِ من فوقِ أربعِ سنواتٍ وحتىٰ سنِّ الثانيةَ عَشْرَةَ سنةً، فأخذتهم قَهراً من أحضانِ أمهاتهم، ودفعتهم إلىٰ إيطاليا لأجلِ تربيتِهم وتَنشئتهم في النصرانية!.

علىٰ الرغم من الاحتجاجاتِ الكثيرةِ من أهالي البلاد المُهجَّرين، لم تَستجبِ الحكومةُ الإيطاليةُ لإرجاعِ الأهالي إلىٰ أراضيهم وديارهم، بل

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٦ ـ ٦٨).

انتَخبت من بقاياهم أربعةَ آلافٍ، وأرجعتهم إلى الجبلِ الأخضرِ يَحرُثون ويزرعون ـ كعاملِين وليسوا مالكين ـ عند المستعمرين الإيطاليين.

* **استباحَةُ القرى والمُدُنِ بوحشيةٍ منقطعةِ النظير[1] :**

لقد قام الإيطاليون الصليبيون في سنة ١٩٣١م باحتلالِ واحةِ «الكَفْرة»، فاستباحوا قُراها ثلاثةَ أيام، فقتلوا مَن صادفوه من الأهالي، ثم انتشروا في القُرى والبساتين، ونَهبوا كلَّ ما وَقع تحت أيديهم، ولم يَرحموا الشيوخَ ولا الأطفالَ ولا النساء، وصادفوا الشيخَ «مختار الفذامسي» ـ وهو شيخٌ فانٍ بالغٌ ثلاثًا وتسعين سنةً، ومن جِلَّة علماءِ السنوسية ـ، فحمَلوه مُقيَّدًا بالحِبال على جملٍ، ونَفَوه من «الكَفْرة»؛ فمات في الطريق، ثم اغتَصبوا النساءَ في أعراضِهن، وقتلوا منهنَّ كثيرًا ممن دافَعن عن أعراضِهِنَّ، وكان نحوٌ من (٢٠٠) مئتي امرأةٍ من نساء الأشراف قد فَرَرْنَ إلى الصحراء قبلَ وصولِ الجيش الإيطالي، فأرسلوا قوةً في إثْرِهِنَّ حتى قَبَضوا عليهن، وسَحَبوهن إلى «الكَفْرة» حيث خلا بهن ضباطُ جيشِ الطليان واغتَصبوهن، ولما احتَجَّ بعضُ الشيوخِ على هَتكِ أعراضِ السيدات، أَمَر القائدُ الصليبيُّ بقتلهم.

* **الطليان يُدنِّسون المُصحفَ، ويَعمَلون على تنصيرِ المسلمين[2] :**

لقد استباح الإيطاليون الصليبيون الزاويةَ السنوسيةَ المسماة بـ «التاج»، وأراقوا فيها الخُمور، وداسُوا المصاحفَ الشريفةَ بأقدامهم، ولقد أَجلَوْا

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٧٠).

ثمانيةَ عَشَرَ ألفًا من عَرَبِ الجَبَلِ الأخضرِ عن أوطانهم، وأماتوهم جوعًا، وأخذوا أطفالَهم قهرًا إلى إيطاليا لتنصيرهم، وقد قاموا بفظائعَ تقشعرُّ لها الأبدان وتَشيبُ لهولها الوِلدان، إذ حملوا الشيخ «سعد» شيخَ قبيلةِ «الفوائد» وخمسةَ عَشَرَ شيخًا من رِفاقه بالطيارات وقذفوهم من الجوِّ على مشهدٍ من أهلهم، حتى إذا وَصل أحدُهم إلى الأرض وتَقطَّع إربًا صَفَّق الطليان طَرَبًا ونادوا العرب قائلين: «ليأتِ محمدٌ ـ هذا نبيُّكم البدويُّ الذي أمركم بالجهاد ـ ويُنقِذْكم من أيدينا»!!.

*** شهاداتُ المرافِقين للجيشِ الإيطالي على فظائعهم[1] :**

١ ـ شهادة «فرانز ماكولا» الإنجليزي:

«أَبيتُ البقاءَ مع جيشٍ لا همَّ له إلاَّ ارتكابُ جرائمِ القتل، وإنَّ ما رأيتُه من المذابح وتركِ النساءِ المريضاتِ العربياتِ وأولادِهن يُعالِجُون سكَراتِ الموت على قارعةِ الطريق: جَعَلني أكتبُ للجنرال «كانيفا» كتابًا شديدَ اللهجة، قلتُ له: إني أرفضُ البقاءَ مع جيشٍ لا أَعُدُّه جيشًا، بل عصابةً من قُطَّاعِ الطُّرُقِ والقَتَلة».

٢ ـ شهادة الكاتب الألماني «فون غوتبرغ»:

«إنه لم يَفعل جيشٌ بِعَدُوِّه من أنواعِ الغَدرِ والخيانةِ ما فعله الطليانُ في «طرابلس»، فقد كان الجنرال «كانيفا» يستهينُ بكلِّ قانونٍ حربيٍّ، ويأمرُ بقتلِ جميعِ الأسرى ـ سواءٌ أقُبِض عليهم في الحرب أو في بيوتهم ـ، وفي «سيراكوز» الآن كثيرٌ من الأسرى الذين لم يؤسَرْ واحدٌ منهم في الحرب،

---

(١) نفس المصدر (٢/ ٧٢، ٨١).

وأكثرُهم من الجنودِ الذين تُركوا في مستشفىٰ طرابلس، وقد قَبض الطليانُ علىٰ ألوفٍ من أهلِ طرابلس في بيوتهم، ونَفَوهم - بدونِ أدنىٰ مُسوِّغٍ - إلىٰ جُزرِ إيطاليةِ، حيث مات أكثرُهم من سُوءِ المعاملة.

٣ - شهادة النمساوي «هرمان رنول»:

«قد قَتل الطليانُ في غيرِ ميدان الحرب كلَّ عربيٍّ زاد عمرُه علىٰ ١٤ سنةً، ومنهم مَن اكتَفُوا بنَفيه، وأحرق الطليانُ في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١١ خلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكثرَ سكانه بينهم الشيوخ والأطفال».

وقال أيضًا: «رجوتُ طبيبَينِ عسكريَّينِ من أطباءِ المستشفىٰ أن يَنقِلوا بعضَ المرضىٰ والمصابين المطروحِين علىٰ الأرض تحتَ حرارةِ الشمس، فلم يفعلاَ، فلجأتُ إلىٰ راهبٍ من كبارِ جمعيةِ «الصليبِ الأحمر» هو الأب «يوسف بافيلاكو»، وعرضتُ عليه الأمر، وأخبرتُ شابًّا فرنسيًّا أيضًا، لكنَّ الأب «بافيلاكو» حَوَّل نَظَرَه عنِّي، ونَصَح الشابَّ بأنْ لا يُزعِجَ نفسَه بشأنِ عربيٍّ في سكرات الموت، وقال: «دَعْه يموت».

ورأيتُ علىٰ مسافةٍ قريبةٍ جنديًّا إيطاليًّا يرفسُ جُثَّةَ عربيٍّ برِجلِه.. وصباحَ اليوم التالي، وجدتُ الجرحىٰ والمرضىٰ الذين رَجوتُ الراهبَ من أجلِهم قد ماتوا، وقد رأىٰ ذلك معي «فون غوتبرغ» الألماني، وبكىٰ من تأثُّره».

٤ - شهادة المسيو «كوسيرا» مراسلِ جريدة «أكسينسور» الباريسية:

«لا يَخطرُ ببالِ أحدٍ ما رأينا بأعيُنِنا من مشاهدِ القتلِ العام، وفي أكوامِ جُثثِ الشيوخِ والنساءِ والأطفال، يتصاعدُ منها الدخانُ تحت ملابِسهم

الصوفيةِ كالبُخور يُحرقُ أمامَ مَذبَحٍ من مذابحِ النصرِ الباهر، ومررتُ بمئةِ جثةٍ بجانبِ حائطٍ قُضي عليهم بأشكالٍ مختلفة، وما فررتُ من هذا المنظر حتىٰ تَمثَّلَتْ أمامَ عينيَّ عائلةٌ عربيةٌ قُتلت عن آخرِها وهي تستعدُّ للطعام، ورأيتُ طفلةً صغيرةً أَدخلت رأسَها في صندوقٍ حتىٰ لا ترىٰ ما يَحِلُّ بها وبأهلِها. . إن الإيطاليين فَقَدوا عقولَهم وإنسانيتَهم من كلِّ وجه».

٥ ـ قال المستر «إليس إشميد برتلت» مراسِل شركة «روتر» في رسالةٍ بَعث بها من «مالطة» يَصِفُ فيها ما شاهَده بعينه هو والمستر «كرانت» مراسل «الديلي ميرور» والمستر «٠انيس» مراسل «المورننغ بوست»، وقد سُجِّلت هذه الرسالةُ في دائرةٍ رسميةٍ إنكيلزيةٍ تحت توقيعهم:

«صادَفْنا بمجردِ خروجِنا من المدينه جماعةً ـ بين رجالٍ وأولادٍ لا يَقِلُّ عددُهم عن السبعين ـ قُتلوا بدون محاكمة، وكنَّا نُشاهدُ في طريقِنا بعدَ كلِّ بضعِ خُطواتٍ جُثثَ القتلىٰ في كلِّ مكان، قُتل بعضُهم برؤوسِ الحراب، والبـ ـضُ ضربًا، وآخرون جُرحوا وماتوا علىٰ إثرِ جراحِهم. . وأبصَرْنا علىٰ مسافةٍ قريبةٍ خمسين رجلاً ووَلَداً هَلَكوا بالرصاصِ والسيوف، وشاهدنا رؤوسًا مهشَّمةً. . ومن المشاهِدِ التي رأيناها:

أ ـ شيخٌ عربيٌّ عاجزٌ، بينما هو جالسٌ بقُربِ مدرسةِ الزراعة، إذ اتخذته طائفةٌ من الجُندِ الإيطاليِّ هدفًا لرصاصِ بنادقهم فمات.

ب ـ سَمِعنا فجأةً صوتَ عِيارٍ ناريٍّ، فعَلِمنا أنه أُطلق علىٰ رجلٍ خرج من منزله، فسَقط والدمُ يتدفَّقُ منه، وخَرَجت زوجتُه وبيدها إناءٌ فيه ماء. . لعلها تريدُ أن تَسقيَه أو تَغسِلَ جِراحه. . فلما رأتنا نَكَصَتْ علىٰ أعقابها

خوفًا منا .

جـ ـ التقينا في أحدِ الشوارعِ بثُلَّةٍ من الجنود، أمسكوا ثلاثةً من العرب وصَفُّوهم عند حائط، وأخذوا يتلهَّون بإطلاق النار عليهم .

٦ ـ قال المستر «بنيت يورلي» مراسل «الدِّيلي تليغراف» :

«قَتل الطليان في ٧ نوفمبر أربعةَ آلافِ شخصٍ ـ بينهم ٤٠٠ امرأةٍ ـ، ورأيتُ رجلاً مُقْعَدًا قَتَله الجنودُ قريبًا من قنصلية النسما» .

٧ ـ قال مراسل «فرانكفورتو نسايتونغ» :

«لقد رأيتُ بعينيَّ فظائعَ هائلةً لم تَسمعْ أُذُنُ إنسانٍ بمثلها، ولقد بَلَغ إلى الآن عددُ المذبوحين من الأهالي سبعةَ آلافٍ من رجالٍ ونساءٍ وأولاد، إذ أُبيح للجنود قتلُ كلِّ مَن يصادفونه» .

هذا ولقد أُلِّفت كتبٌ في جرائمِ الإيطاليين الصليبيين في ليبيا، وأهمُّ هذه الكتب كتاب «الفظائع السُّود الحُمْر»، وكتاب «فظائع الطليان في طرابلس الغرب» .

❏ ومما جاء في الكتاب الأخير أن الطليانَ يُهينون الدينَ الإسلاميَّ، ويتعرَّضون للمسلمين في مساجدهم، ويُدخِلون جنودَهم سُكارى في الجوامعِ ليهزؤوا بعبادةِ المسلمين، ويُجبِرون المسلمَ ـ ولو كان في وَسَطِ الصلاة ـ أن يقومَ بأداءِ التحيةِ للضابط الإيطالي أو المأمورِ الإيطالي أيًّا كان .

❏ ولقد أَصدرت الحكومةُ الإيطاليةُ في لواءِ بنغازيَ أمرًا بسدِّ جميعِ الكتاتيبِ التي تُعلِّمُ الأطفالَ أمورَ دينهم وتُحفِّظُهم قرآنهم الكريم .

❏ وفاجأ «الفاشيستُ» رجلاً يدعى الشيخ «يونس بن مصطفى

البرعصي» وهو معتكِفٌ في غارٍ بزواية «الفايدية» بالجَبَل الأخضرِ، فسَدُّوه عليه، وأحرقوه مع عائلتِه المؤلَّفةِ من تِسعةِ أشخاص.

□ جَمَع الجنرالُ «غارسياني» جميعَ مشايخِ السنوسية ومتولِّيَ أوقافِها وأئمةَ المساجد والمؤذِّنين والفقهاءَ والسَّدَنة، وسَجَنهم كلَّهم في مركزِ «بنينه» وهو بناءٌ قديمٌ لا سَقفَ له، ذاقوا فيه أمرَّ العذاب جُوعًا وعطشًا وعذابًا، ثم نُقلوا إلىٰ سجون إيطاليا، وبعد أن مَكَثوا فيها مدةً أُعيدوا إلىٰ «بنينه» حيث أُفنُوا بالجوع وغيره، ولا ذنبَ لهؤلاء سوىٰ أنهم يُعلِّمون أبناءَ المسلمين كتابَ اللَّه وسُنَّةَ رسولِه الكريم ﷺ[1].

*** ووقفةٌ أخرى.. لبوم الفاتيكان وسليل النازية:**

اقرأ - أيها النازيُّ الكذَّابُ الأشِرُ - ما قاله «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب» عن محاكِمِ التفتيش في أسبانيا وهمجيَّةِ الكاثوليك:

«وكان تعميدُ العربِ كُرْهًا فاتحةَ ذلك الدَّوْر، ثم صارت محاكمُ التفتيش تأمرُ بحَرقِ الكثيرين، ولم تَتِمَّ عمليةُ «التطهير بالنار» إلاَّ بالتدريج لتعذُّرِ حَرقِ الملايين من العربِ دَفعةً واحدة، ونَصَح كاردينال «طليطلة» التَّقيُّ (!!!) بقَطعِ رؤوسِ جَميعِ مَن لم يتنصَّرْ من العرب رجالاً ونساءً وشيوخًا وولدانًا.. وقَرَّرت أسبانيا تهجيرَ العرب عن أسبانيا، فقُتِل أكثرُ مُهاجري العرب في الطريق، فأبدَىٰ ذلك الراهبُ «بيلدا» ارتياحَه لقتلِ ثلاثةِ أرباعِ أولئك المهاجرين في أثناءِ هِجرتهم، وهو الذي قَتَل مئةَ ألفِ مهاجرٍ قافلةِ

(١) «الصراع مع الصليبيين» (ص٢٦١ - ٢٦٦) للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - دار البشير - طنطا.

واحدة كانت مؤلَّفةً من مئةٍ وأربعين ألفَ مهاجرٍ مسلم (١٤٠,٠٠٠)، حينما كانت مُتَّجِهةً إلى أفريقيا، وخَسِرت أسبانيا بذلك مليونَ مسلمٍ من رعاياها في بضعةِ أشهر، ويُقدِّرُ كثيرٌ من العلماء ـ ومنهم «سيديو» ـ عددَ المسلمين الذي خَسِرتهم أسبانيا منذ أن فَتح «فرديناندُ» «غرناطة» حتى إجلائهم الأخيرِ بثلاثة ملايين، ولا نَعُدُّ ملحمةَ «سان بارتلمي» إزاء تلك المذابح سوى حادثٍ تافهٍ لا يُؤبَهُ له، ولا يَسَعُنا سوى الاعترافِ بأننا لم نَجِدْ بين وحوشِ الفاتِحين مَن يُؤاخَذُ على اقترافِه مظالِمَ قَتلٍ كتلك التي اقتُرِفت ضدَّ المسلمين.

ومِمَّا يُرثَى له أنْ حُرِمَت أسبانيا عمداً هؤلاء الملايينَ الثلاثةَ الذين كانت لهم إمامةُ السُّكَّانِ الثقافية والصناعية»[1] اهـ.

◻ يحاول الثعلبُ الماكرُ «بنديكت» التنصُّلَ من كلامِه، أو يُبدِي أنه يتراجعُ عمَّا قال ـ وهو كاذبٌ ـ، أو يقولُ: إن كلامَه فُهِم فهماً خاطئاً، فهو العاقلُ الوحيدُ وكلُّ الناسِ ليس لها عقولٌ تفهمُ بها. . فَلِم يتراجعُ «ظلُّ اللهِ في الأرض»، وصاحبُ «العِصمة المطلَقة»، وهذا لم يَحْدُثْ في تاريخ الكنيسة والفاتيكان؟!.

◻ قال «البابا شنودة» بابا الأرثوذكس إجابةً على سؤال: «هل البابا ـ أي: بنديكت ـ معصومٌ من الخطأ، وبالتالي لا يمكنُه الاعتذار؟»: «اعتقادُنا نحن أنه ليس معصوماً من الخطأ، أي أنه يُمكن أن يُخطئَ، ولكنَّ الكاثوليك يعتقدون خلافَ ذلك، فلقد قالوا: ليس هناك داعٍ للحديث عن حياتِه

(١) «حضارة العرب» (ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢) لجوستاف لوبون.

الخاصة، وهو معصومٌ من الخطأ في التعليمِ الكَنَسيِّ، أي: في كلٍّ ما يُقال من فوقِ منبرِ الكاتدرائية؛ لأن هذا التعليمَ يكونُ قد وافَقَ عليه مَجمَعُ الهيئاتِ الكَنَسيَّةِ، ويُصبحُ البابا مُعَبِّرًا عن هذا التعليمِ، لكنَّ الكاثوليك عمومًا لا يستطيعون القولَ: إن البابا قد أخطأ».

ـ معنىٰ هذا أن القدِّيسيَّة التي يَتمتَّعُ بها «بابا الفاتيكان» تُعَدُّ عاصِمَةً له من الخطأ!!.

ـ «هذا عند الكاثوليك ولكن ليس لدىٰ الأرثوذكس».

ـ «ليس هناك غيرُ مفهومٍ واحدٍ ممَّا أورده، فالعبارةُ صريحةٌ، تتحدَّثُ عن أنَّ كلَّ ما جاء به محمدٌ ﷺ كان شرًّا وغيرَ إنساني!!».

ـ «طبعًا هذا غيرُ مقبولٍ أن يُردَّ علىٰ لسان البابا، وكان يتعيَّنُ عليه أن يَحسَبَ حسابًا لردود الفعلِ في العالَم الإسلامي».

❑ ما رؤيتُكم حولَ ما أورده «بنديكت» من أنَّ الإسلامَ تمَّ نَشرُه بالسيف ـ أي: بالعُنف والقوة ـ، وأن النبيَّ محمدًا ﷺ قد أمَر بذلك؟.

ـ لا.. لم يأمُر بذلك، والدليلُ يُمكن أن نَجدَه في القرآن، علىٰ أنَّ الإسلام لم يَتِمَّ نَشرُه بالعنف..

يقول القرآن: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٢]، فدائمًا نَشرُ الدينِ يكونُ عن طريقِ الإقناع؛ لأنَّه أمرٌ يتعلَّقُ بالفكرِ والقلب.. أمَّا هل يَسلُكُ المسلمون هكذا علىٰ طولِ

الخط؟ فهذه مسألةٌ أخرىٰ[١] »[٢] اهـ.

◻ يا بنديكت اللئيم . . إن حُكمَك في تطاوُلك علىٰ سيد البشر ﷺ القتلُ، ولا شيءَ غيرَه بإجماعِ العلماء.

*** بابا روما : لا عَتْبَ عليك، فأنت بكتابك اقتَدَيت :**

◻ قال أبو إسلام أحمد عبدالله : «بابا روما، أدعو اللَّهَ كثيرًا ـ بدايةً ـ أن يَشفِيَك، وأن يَرُدَّ عليك وَعْيَك، وأن يُثَبِّتَ لك عَقْلَك، فإنَّ الذي في مكانتك محسوبةٌ عليه أنفاسه . . وإنْ أخطأَ كلُّ الناس، ففضيحةٌ كبرىٰ أن تُخطئَ أنت . . وإنْ زَلَّ كلُّ الناس، فزلَّتُك خطيئةٌ لا تُغتفر . . وإن جَهِل الناسُ بعضَ العلمِ والتاريخ، فجَهلُك جهالةٌ تُوسِمُ تاريخَ البابَوية بالتخلُّف والانحطاط، لذلك أتلمَّسُ لك العُذرَ، لكنَّني ـ عفوًا ـ لا أُحسِنُ بك الظنَّ أبدًا، فقد شاء اللَّهُ لك أن تأتيَ من بيئةٍ غيرِ سَوِيَّةٍ، ووظيفةٍ غيرِ كريمةٍ في عُرفِ الإنسانية، وهي رئاسةُ محاكِمِ التفتيشِ تحتَ اسمِ «تثبيت الإيمان»! لتحتلَّ مرةً واحدةً مكانةَ أكبرِ رجلِ دينٍ مسيحيٍّ في العالَم، ولعلَّه قَدَرُ اللَّهِ فيك أن تتعثَّرَ القُرعةُ التي اختاروك بها، لِتُعيدَ لشعوبِ العالَم ذاكرتَها، بعد أن استُغفِلت لفترةٍ ليست بالقصيرة، ظانَّةً أن «الكاثوليكية الجديدة» تناسَت أحقادَها ودَمَوِيَّتها القديمة، وتلك مشيئةٌ عظيمةٌ من ربِّ العِزَّةِ سبحانه وتعالىٰ، أن يَفضَحَ بك تاريخَك خصوصًا، وتاريخَ الكاثوليكية عمومًا، إذ

---

(١) ماذا يريد بكلامه هذا؟! عامله اللَّه بما يستحق.

(٢) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٦٩) ـ ٢ من رمضان ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦/٩/٢٥م (ص٩) ـ حوار البابا شنودة الثالث لـ «الأسبوع» ـ أجرت الحوار : سناء السعيد.

إن ملايين - بل ومليارات - الإنسانية لا يَعرِفون الكثيرَ عن الماضي الأسودِ لكنيسةِ حَبْرِكم المُبجَّل، ولا عِلمَ لهم بالإجرامِ الذي تأسَّست علىٰ قواعدِه عقيدتُكم، ويَجهلون تمامًا بشاعةَ ماضيكم المليءِ بالخياناتِ والمؤامراتِ والقتلِ والحَرقِ والسَّحْلِ والسَّحقِ والهَتْكِ والفَتْكِ وكلٍّ ما تَقشعرُّ له الأبدان.

◻ عفواً نيافةَ الحَبرْ المُبجَّل، أرجوك ألاَّ تبتئسَ كثيراً مما أقول، وإن كان حقِّي الشرعيُّ الذي تَنصُّ عليه عقيدتُك أنْ أقولَ فيك وأن أَصِفَكَ بالسُّوء الذي وَصَفْتَ به خاتَمَ الأنبياءِ والمرسلين وأكرَمَ خَلْقِ اللَّه أجمعين، لكنني - عفواً - مضطرٌّ لأن أكونَ عفيفًا في قولي لك بحسبِ وصيةِ الرسولِ الذي أسأتَ أنت إليه، ألاَّ أكون سبَّابًا، ولا فحَّاشًا.

◻ عفواً نيافةَ الحَبْرِ المُبجَّلِ، إنني مضطرٌّ للتعاملِ معك وِفقَ منهجٍ عقليٍّ مُيَسَّر يتناسبُ مع السَّقطةِ البَشِعةِ التي أَوقعت نفسَك فيها، بسبب افتقادِك أولاً للكياسة التي يجبُ أن يتحلَّىٰ بها أصحابُ المراكزِ الوظيفيةِ المرموقة، وبسبب افتقارِك لأدبياتِ الخطابِ «الدبلوماسي» الذي يَجبُ أن تتدربَ عليه طويلاً، وإلاَّ فسوف يكونُ عمرُك قصيراً للغاية علىٰ عَرشِ مملكتِك الفاتيكانية، ثم أخيراً بسبب جَهلِك الفاضحِ بتاريخِ الأمم، وكان جَهلُ حَبْرِكُمُ المُبجَّلِ مُركَّبًا؛ لأنَّ الأُمَّةَ التي أنت جَهِلْتَها أكبرُ من أن يَجهلَ سِيرتَها واحدٌ من صغارِ كَهَنَتِكم.

◻ ولأنَّ المَقامَ ليس عن تاريخِ أُمةِ الإسلام، وهو أيضًا ليس عن تاريخِ أُممٍ وطوائفِ عَبَدَةِ الصليب، إنما عن مفهومِ السُّوء حسبما تُقرِّرُه عقيدَتَيِ

المسيحية والإسلام، رُجوعًا إلىٰ وَصْفِكَ غيرِ المهذَّبِ وغيرِ الكريمِ وغيرِ اللائق بكم، علىٰ مستويين:

ـ **المستوى الشخصي**: بصفتك قد تجاوَزتَ الثمانين من عُمرك، ولديك من الرُّشدِ ما كان ينبغي أن تَعرِفَ به أقدارَ الناس، وما كان مهمًّا أن تسموَ بعقلِك في التمييزِ بين رجالِ اللَّهِ الموحِّدين، وغيرِهم من رجالِ الشيطانِ المشركين.

ـ **أما على المستوى العَقَدي**: فإنني أَعذِرُك كثيرًا فيما قلتَ من السُّوء في حقِّ خيرِ خلقِ اللَّه ﷺ، إذ قَدَّر اللَّهُ لي أن أطَّلعَ علىٰ نَبعِ المسيحيةِ الذي به تسترشدون في أقوالِكم وأفعالِكم ووصاياكم وأنشِطَتِكم، وأعرفُ ـ كما تعرفُ أنتَ وكلُّ إنسان عاقل ـ أنَّ المعانيَ الأخلاقيةَ لا يختلفُ عليها اثنانِ من البشر ـ مثل الخطأِ والخطيئةِ والذَّنبِ والمعصيةِ والفُحشِ والزنا والدعارةِ والقتلِ والكذبِ والجهلِ وسوءِ الأخلاق وسوءِ الأدب ـ، فكلُّ تلك المعاني مشتركةٌ في دلالاتها بين جميعِ البشرِ ـ مهما اختلفت عقائدُهم أو ألوانُهم أو جِنسياتُهم ـ.

ومِن هنا أبدأُ التجوُّلَ بصُحبةِ حَبْرِكُمُ المُبجَّلِ في أصولِ نيافتكم العَقَدية، دونَ عصبيةٍ، أو غَضَبٍ، أو حَيدةٍ؛ لِنُحدِّدَ سويًا ويَشهدَ علينا الملايينُ الذين سيقرؤون هذه الرسالةَ المهذَّبَةَ منِّي ـ أنا المسلم الذي أتبعُ أخلاقَ محمدٍ ﷺ ـ، إلىٰ شَخصِكم المُبجَّلِ الذي اتَّهم محمدًا ﷺ بأنه «لَم يأتِ إلاَّ بكلِّ سيِّئٍ»، وتعرفُ أن القرآنَ هو أعلىٰ وأسمىٰ ما أتىٰ به ﷺ، فسَبَبْتَ قرآنَنا قصدًا مع سَبَقِ الإصرار، أو عَفْوًا وجهالةً وسُوءَ فَهمٍ،

وحسُبك - همًّا وغمًّا لتاريخ كنيسةِ حَبْرِكم - أنك أشرتَ فيما أسميته تدليسًا «بالاعتذارِ للمسلمين» أن ذلك النصَّ البذيءَ الذي نَطَقَتْ به نيافتكم، قد نَقَلْتَه في كلمتك عن أجدادِك الأوائل في العصورِ الوسطى، لِتُجدِّدَ معهم العهدَ والوعدَ، شهادةً على موقفِكم الحاقدِ المتعصِّبِ من خيرِ بشرٍ وُلِد على الأرض، أنك مِثلُهم، وأنهم كانوا مِن قَبلُ مِثلَك نيافةَ الحَبْرِ المبجَّل، أتعشَّمُ كثيرًا أن تتحمَّلني، وتَقبلَ مني أن أُذَكِّرَك فقط على ملأٍ من البشرية؛ لأنَّ الملايينَ منهم يَجهلُ السرَّ الذي دَفَع نيافتكم لهذا السُّوءِ من القول في حقِّ خيرِ نبيٍّ لخيرِ أُمةٍ أُخرجت للناس، وهو ذلك الكتابُ الموصوفُ خطأً بالقَدَاسة، وهو لا يتجاوزُ «الفولكلور الشعبيَّ» بحسب تعبيرِ الآباء الدومينيكان، فقد رَجعتُ إليه، ووجدتُ أن سِبابَك وشَتْمَك لنبيِّ الرحمة والسلام، هو اقتداءٌ بما وَرَد زُورًا وبهتانًا على لسان «يسوع» وهو يُوزِّعُ أذاه على مَن يعرفُ ومَن لا يَعرف، معاهدًا اللَّهَ الواحدَ الأحدَ الفردَ الصمدَ، أن ألتزمَ بنصوصِ كتابِك فيما أنقُل، دون نقصٍ، أو زيادةٍ، أو تعديل، لنعرفَ جميعًا ما السَّيِّئُ، ومَن المُسيء، ومَن المُساءُ إليه، مسترشِدًا في ذلك مع نيافتِكم بقول رسولِكم «بولس» في «سِفر الأمثال»: «جَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ يَكُونَ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ».

◻ أولاً: حقيقة كتاب نيافتكم المقدس:

جاء في الدراسةِ القيمةِ المسمَّاةِ «مدخل إلى الكتاب المقدس»، والتي نَقَلَتْها الرهبانيةُ اليسوعيةُ من الترجمة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدس «إصدار الرهبانية اليسوعية»، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م: «إن أسفارَ

الكتابِ المقدَّس هي عَمَلُ مؤلِّفِينَ ومُحرِّرِينَ، ظَلَّ عددٌ كبيرٌ منهم جهولاً، لكنهم ـ على كلِّ حال ـ لم يكونوا مُنفرِدين؛ لأنَّ الشعبَ كان يُسانِدُهم».

◻ **ويقولُ الآباءُ اليسوعيون في مقدِّمة الكتاب المقدس:** «فما مِن عالمٍ كاثوليكيٍّ في عصرنا يعتقدُ أن موسى ذاتَه قد كَتَب كلَّ البانتاتيك «الأسفار الخمسة» منذ قِصَّةِ الخَلْقِ إلى قصةِ موته» (ص٤).

◻ **وتقولُ دائرة المعارف الأمريكية** [ENCYLOPAEDIA AMERICANA] طبعة ١٩٥٩ الجزء الثالث: «لَم يَصِلْنا أيُّ نسخةٍ بخطِّ المؤلِّفِ الأصليِّ لكُتُبِ العهدِ القديم، أمَّا النصوصُ التي بين أيدينا، فقد نَقَلَتْها إلينا أجيالٌ عديدةٌ منَ الكَتَبَةِ والنُّسَّاخ، ولدينا شواهدُ وفيرةٌ تُبيِّنُ أن الكَتَبَةَ قد غَيَّروا ـ بقصدٍ أو دونِ قصدٍ منهم ـ في الوثائق والأسفار التي كان عَمَلُهم الرئيسيُّ هو كتابتُها ونقلُها، وقد حَدَث التغييرُ دون قصدٍ حين أخطؤوا في قراءةِ بعضِ الكلمات.. كذلك حين كانوا يَنْسَخون الكلمةَ أو السطرَ مرَّتين، وأحيانًا يَنْسَون كتابةَ كلماتٍ ـ بل فقرات بأكملها ـ، وأمَّا تغييرهم في النصِّ الأصلي عن قَصدٍ، فقد مارسوه مع فِقراتٍ كاملةٍ حين كانوا يتصوَّرون أنها كُتبت خطأً في الصورة التي بين أيديهم، كما كانوا يَحذِفون بعضَ الكلماتِ أو الفقرات، أو يُضيفون على النصِّ الأصليِّ فقراتٍ توضيحيةً».

◻ **وتقول الترجمةُ الفرنسية المسكونية تحت عنوان «فساد النص»:** «لا شكَّ أن هناك عدداً من النصوصِ المشوَّهة التي تفصلُ النصَّ المسوري الأول عن النصِّ الأصلي، فعلى سبيل المثال: تَقفزُ عَينُ الناسخِ من كلمةٍ إلى كلمةٍ

تُشبِهُها، وتَرِدُ بعدَ بضعةِ أسطرٍ مُهمَلَةٍ كلُّ ما يَفصِلُ بينهما. . والجديرُ بالذِّكرِ أن بعضَ النُّسَّاخِ الأتقياءِ أقدموا بإدخالِ تصحيحاتٍ لاهوتيةٍ على تحسينِ بعضِ التعابيرِ التي كانت تبدو لهم معرَّضةً لتفسيرٍ عقائديٍّ خَطِرٍ» «كتب الشريعة الخمسة»: منشورات دار المشرق ـ بيروت.

وهكذا يتَّضِح للعالَمِ كلِّه أن الحَبْرَ الأعظمَ إنما يعتنقُ كتابًا هو يَعلمُ وتلامذتُه أنه ليس مقدَّسًا وليس وحيًا، وليس من كلامِ موسى عليه السلام، وليس من كلامِ عيسى عليه السلام، ورَغمَ ذلك يُدلِّسُ على الدنيا كلِّها أنَّ كتابه مُقدَّسٌ، ومَن يفعل ذلك لا بأسَ أن يُسيءَ إلى النبيِّ محمدٍ ﷺ، بل وإلى ربِّه جلَّ وعَلا.

□ ثانيًا: أخلاقُ المسيحية بحسب نُصوصِها المقدسة:

ثم أَسْبِرُ بصُحبتِك غَوْرَ ذلك الكتابِ الذي فَرَضْتَ نيافتُكم ـ والذين مِن قَبْلِكم ـ على ملايينِ البشر الإيمانَ به باعتبارِه «مقدَّسًا»، وأنت عليمٌ بأنه غيرُ مقدَّس ـ كما أشار علماءُ نيافتكم سابقًا ـ، وأبدأُ استشهاداتي إليك بما قاله «بولس»، عمادُ عقيدتكم، في رسالتِه الأولى إلى «كورنثوس» (٦ : ١٠) «بأن الشتَّامون لا يَرِثون ملكوتَ اللّه». . بينما أنت شَتَمتَ محمدًا ﷺ وكلَّ أتباعِه وقرآنَه الذي أُنزل عليه، فهل أنت ممن سيَرِثون الملكوتَ؟ أم أن مَثواك جهنمُ وبئس المصير [إذا مِتَّ على هذا الضلالِ الكبير]؟.

*** وأنتقلُ بنيافتكم إلى صُلبِ معتقَدِكم، وسبَبِ شَتْمِكم، وأصلِ اقتدائِكم، لِنقفَ مباشرةً على مستوى أخلاقِ نيافتكم:**

□ الرب يأمرُ بسرقة المصريين:

«قال الربُّ لموسى: تكلَّم في مسامعِ الشعبِ أن يَطلُبَ كلُّ رجلٍ من

صاحبه وكلُّ امرأةٍ من صاحبتها أمتعةَ فِضَّةٍ وأمتعةَ ذهبٍ، وأعطى الربُّ نِعمةً للشعبِ في عيون المصريين»، و«فَعَل بنو إسرائيل ـ بحسب قول موسى ـ، طَلَبوا من المصريين أمتعةً من فضةٍ وأمتعةً من ذهبٍ وثيابًا، وأعطى الربُّ نعمةً للشعب في عيونِ المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين» «الخروج» (١٢ : ٣٥، ٣٦).

◘ الرب يأمرُ بشرب الخمر:

«لا تكنْ في ما بعدُ شَرَّابَ ماءٍ، بل استَعمِلْ خمرًا قليلاً من أجل مَعِدَتِك وأسقامِك الكثيرة» «تيموثاوس» (٥ : ٢٣).

◘ الرب يأمرُ بالزنا:

«أولُ ما كلَّم الربُ هوشع قال الربُّ لهوشع : اذهبْ خُذْ لنفسِك امرأةَ زِنًى، وأولادَ زِنًى؛ لأنَّ الأرضَ قد زَنَت زنًا تاركةً الرب، فذهب وأَخَذ جومر بنت دبلايم، فحَبَلت وولدَت له ابنًا» «هوشع» (١ : ٢).

◘ الرب يأمر بالقُبلات بين الرجال والنساء:

«سلِّموا على تريفينا وتريفوسا وبرسيس المحبوبة وروفس وأمه أمي وهرماس بتروباس وهرميس، وعلى الإخوةِ الذين معهم، سَلِّموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس، سلِّموا بعضُكم على بعض بقبلةٍ مقدَّسةٍ». «كورنثوس» ٢(١٢ : ١٣).

◘ إله المحبة يشتم امرأةً كنعانيةً:

«عندما جاءت امرأةٌ كنعانيةٌ تسترحمُ يسوع بأن يَشفِيَ ابنتَها، ردَّ عليها قائلاً: لا يجوزُ أن يُؤخَذَ خُبزُ البنين ويُرمى للكلاب» «متى» (١٥ : ٢٦).

❑ **وشَتَم الأنبياء عليهم السلام:**

«يقول يسوع: أنا بابُ الخِراف، وجميعُ الذين جاؤوا قَبلي سارقون ولصوص». «يوحنا» (٧: ١٠).

❑ **وشَتَم مُعلِّمي الشريعة:**

«قائلاً لهم: يا أولاد الأفاعي» «متىٰ» (٣: ٧)، «أيها الجُهَّالُ العُميان» «متىٰ» (١٧: ٢٣).

❑ **ووَصَف تلميذَه الأولَ «بطرس» الذي هو خيرُ رسل الفاتيكان:**

بقوله: «يا شيطان» «متىٰ» (١٦: ٢٣).

❑ **وشَتَم آخَرين منهم:**

«بقوله: أيها الغبيَّانِ والبطيئا القلوب في الإيمان» «لوقا» (٢٤: ٢٥).

❑ **بل شَتَم الذي استضافه ليتغدَّى عنده في بيته:**

«سأله فريسيٌّ أن يتغدَّىٰ عنده، فدخل يسوع واتكأ، وأما الفريسي فلمَّا رأىٰ ذلك تعجَّب بأنه لَم يَغتسِلْ أولاً قَبلَ الغداء، فقال له الرب: أنتم الآن أيها الفريسيون تُنَقُّون خارجَ الكأس، وأما باطنُكم فمملوءٌ اختطافًا وخُبثًا يا أغبياء! ويل لكم أيها الفريسيون! . . . فأجاب واحدٌ من الناموسيين وقال له: يا مُعلِّم، حين تقول هذا تشتمُنا نحن أيضًا! فقال: وويلٌ لكم أنتم أيها الناموسيون!» «لوقا» (١١: ٣٩).

❑ **وشَتَم هيرودس:**

«قولوا لهذا الثعلب» «لوقا» (١٣: ٣٢).

❑ **وأساء يسوعُ الخطابَ مع أُمِّه أمامَ الناس:**

«عندما قال لها في فَرَح قانا: ما لي ولك يا امرأة؟!» «يوحنا» (٢: ٤).

❑ وأساءَ استخدامَ الألفاظ في خطابه مع الناس:

«لا تُعطوا القدسَ للكلاب، ولا تطرحُوا دُرَرَكم قُدَّام الخنازير» «متىٰ» (٦ : ٧).

❑ وطلب إحضار معارضيه لذبحهم بالسيف أمامه:

«أما أعدائي الذين لم يُريدوا أن أَملِكَ عليهم، فأْتُوا بهم إلىٰ هنا، واذبحوهم قدامي» «لوقا» (١٩ : ٢٧).

❑ ويلعن شجرةَ التين:

شجرةٌ لا ذنبَ لها سِوىٰ أنها لم تُثمِر؛ لأنَّه لم يكن وقتُ الثمر: «وإذ رأىٰ من بعيدٍ شجرةَ تينٍ مورقَةً، توجَّهَ إليها لعلَّهُ يجدُ فيها بعض الثَّمرِ. فلمَّا وصل إليها لم يجد فيها إلاَّ الورقَ؛ لأنَّه ليس أوانُ التِّينِ. فتكلَّم وقالَ لها: لا يأكلنَّ أحَدٌ ثمرًا منك بَعْدُ إلىٰ الأبَدِ» «مرقس» (١١ : ١٢).

❑ ممارسةُ العنف تحديًا للسلطات:

«صَعِدَ يسوع إلىٰ أورُشَليمَ، فوجدَ في الهيْكَلِ باعةَ البقرِ والغنمِ والحمامِ، والصَّيارِفَةَ جَالسينَ إلىٰ موائدهم، فجدلَ سوطًا من حبالٍ، وطردهُم من الهيكلِ، مع الغنمِ والبقَرِ، وبعثرَ نُقودَ الصَّيارِفَةِ وقَلَبَ مناضِدَهُم» «يوحنا» (٢ : ١٤).

❑ يقتل ألفيْ خنزير استجابةً للأرواح النجسة:

«وكان هناك قَطيعٌ كبيرٌ من الخنازيرِ يَرْعَىٰ عند الجبلِ، فتوسَّلتِ الأرواحُ النَّجِسَةُ إلىٰ يسوعَ قائلةً: أرسِلْنا إلىٰ الخنازيرِ لندخُلَ فيها! فأذنَ لها بذلك. فخرجتِ الأرواحُ النَّجِسَةُ ودخلت في الخنازيرِ، فاندفعَ قطيعُ

الخنازيرِ من علىٰ حافةِ الجبلِ إلىٰ البُحيرةِ، فغَرِقَ فيها. وكان عدده نحو ألفينِ» «مرقس» (٥ : ١١).

◻ يَشترط لطاعته أن يَكرَهَ الإنسانُ نفسَه وأباه وأُمَّه وزوجتَه وأولادَه:

فيقول: «إن جاءَ إليَّ أحدٌ، ولم يبغض أباهُ وأمَّهُ وزوجتَهُ وأولادَهُ وإخوتَهُ وأخواتِه، بل نفسَهُ أيضًا، فلا يُمكنه أن يكون تلميذًا لي» «لوقا» (١٤ : ٢٦).

◻ يعلن أنه جاء ليُلقِيَ سيفًا لا سلامًا:

«لا تظنُّوا أنِّي جئتُ لألقي سلامًا علىٰ الأرضِ. ما جئتُ لألقيَ سلامًا، بل سيفًا. فإنِّي جئتُ لأجعل الإنسانَ علىٰ خلافٍ مع أبيه، والبنتَ مع أمِّهَا، والكَنَّةَ مع حماتها» «متىٰ» (١٠ : ٣٤).

◻ جاء ليلقي ناراً على الأرض:

«جئتُ لألقي علىٰ الأرض ناراً، فلكم أودُّ أن تكون قد اشتعلت؟» «لوقا» (١٢ : ٤٩).

◻ يقتل الأطفال بذنب أمهاتهم:

يقول في إيزابيلا التي ادعت النبوة: «فإني سأُلقيها علىٰ فراشٍ، وأَبتلي الزانين معها بمحنةٍ شديدة، وأولادُها أقتلُهم بالموت، فستعرفُ جميعُ الكنائس أنِّي أنا هو الفاحصُ الكُلَىٰ والقلوبَ، وأجازي كلَّ واحدٍ منكم بحسبِ أعماله» «سفر الرؤيا» (٢ : ٢١ ـ ٢٣).

وهكذا نيافةَ الحَبْرِ المبجَّل، نكونُ قد أَوقفنا العالَمَ كلَّه ـ الذي يَعلمُ والذي لا يَعلم ـ، أنك عندما آذيتَ المسلمين وقرآنَ المسلمين، ولَمَّا آذيتَ

نبيَّ المسلمين ﷺ، إنما كنت مقتديًا حَذْوَ النَّعْلِ بالنعل، بما جاء في كتابك علىٰ لسانِ ربِّك، لذا لَم أَحْزَنْ منك علىٰ الإطلاق، وأدركتُ أنك رجلاً يسوعيًّا بحق، كشفتَ لنا بجِلاءٍ أن محمداً ﷺ لم يكن هو المقصودَ بسُوءِ ما أتىٰ به، إنما السوءُ كان فيما أتيتَ أنت به وأتىٰ به كتابُك، ولولا تقديري لك، واحترامي لرغبتِك في استمرارِ جهالتِك بالإسلام ونبيِّ الإسلام، لكنتُ عَرضتُ عليك شيئًا مما أتىٰ به محمدٌ ﷺ، لتعلمَ مساحةَ التباين بين ما كان عندك، وما هو عندنا، خاتمًا رسالتي إلىٰ حَبرِكمُ المبجَّلِ بقول «بولس» في سفر «الأمثال» (٤ : ٢٦): «لا تُجَاوبِ الجاهل حسبَ حماقَتِهِ، لِئَلاَّ تَعدلَهُ أنت».

معاذَ اللَّه ـ سعادةَ الحَبْرِ المبجَّل ـ أن أَعْدِلَكَ فيكونَ مقامُك هو مقامي، أو مقامي ـ والعياذُ باللَّه ـ يكون مقامك».

أبو إسلام أحمد عبداللَّه

* **من رَحمةِ النصرانية: دعوةُ أحدِ أبنائها لضربِ مكةَ بالقنبلة النووية:**

□ يقول المحررِّ الأمريكي «ريتش لوري»: «إنني أقترحُ أن تُضرَبَ مكةُ بقنبلةٍ نووية، ويكونُ ذلك بمثابةِ إشارةٍ إلىٰ المسلمين. . إنَّ «طِهرانَ وبغداد» هما الأقربُ لتلقِّي الضربةِ النووية الأولىٰ. . يجبُ علينا أن نُحذِّرَ دمشقَ والقاهرةَ والجزائرَ وطرابلسَ والرياضَ من خطرِ الإبادة النووية إذا ما أظهروا أيةَ علامةِ اعتراض»[1].

هؤلاء الصليبيون هم أعداءُ البشر، هم الذين ينشرون أفكارَهم بإبادةِ الآخرين.

---

(١) نُشر المقال في مجلة «ناشيونال ريفيو» علىٰ موقع المجلة الإلكتروني.

❑ يقول «مايكل هولي إيغل» الأمريكي في حديثه عن قتل الهنود الحمر: «تاريخُنا مكتوبٌ بالحبر الأبيض، إنَّ أولَ ما يفعلُه المنتصرُ هو محوُ تاريخِ المهزومين، ويا اللَّه ما أغزَرَ دموعَهم فوقَ دماءِ ضحاياهم! وما أسهَلَ أن يَسرِقوا وُجودَهم من ضميرِ الأرض! هذه واحدةٌ من الإباداتِ الكثيرةِ التي واجهناها وسيواجهُها الفلسطينيون.. إن جلادَنا المقدَّس واحد»[1]!!.

❑ في عام (١٧٣٠م) أصدر البرلمان الأمريكي لمن يسمُّون أنفسَهم «البروتستانت الأطهار» تشريعًا يُبيحُ عمليةَ الإبادةِ لمن تبقَّىٰ من الهنود الحمر، فأصدرت قرارًا بتقديمِ مكافأةٍ مقدارها (٤٠) جنيهًا مقابل كلِّ فروةٍ مسلوخةٍ من رأسِ هنديٍّ أحمر، و(٤٠) جنيهًا مقابلَ أسرِ كلِّ واحدٍ منهم، فكان سَلخُ الرأسِ أوفرَ لهم.

وبعدَ خمسةَ عشَرَ عامًا ارتفعت المكافأة إلىٰ (١٠٠) جنيه، و(٥٠) جنيهًا مقابلَ فروةِ رأس امرأةٍ، أو فروةِ رأسِ طفلٍ.

وفي عام (١٧٦٣م) أمَرَ القائدُ الأمريكي «جفري أهرست» برَمْي بطانيَّاتٍ كانت تُستخدَمُ في مصحَّاتِ علاجِ الجُدري إلىٰ الهنود الحمر، بهدفِ نشرِ المرض بينهم، مما أدَّىٰ إلىٰ انتشارِ الوباءِ الذي نتج عنه موتُ الملايين من الهنود، ونتج عن ذلك شِبْهُ إفناءٍ للسكان الأصليين في القارة الأمريكية»[2].

---

(١) انظر «حق التضحية بالآخر.. أمريكا والإبادات الجماعية» (ص٧) لمنير العكش - دار رياض الريس.

(٢) انظر كتاب «أمريكا والإبادات الجماعية»، فعامته عن تاريخ قتل الهنود الحمر.

وقال الرئيس الأمريكي «وليام ماكيليني»: «نحن لم نذهبْ إلىٰ الفلبِّين بهدفِ احتلالها، لكنَّ المسألةَ أن السيدَ المسيحَ زارني في المنام، وطلب مني أن نتصرَّفَ كأمريكيِّين، ونذهبَ إلىٰ الفلبِّين لكي نجعلَ شعبَها يتمتعُ بالحضارة»[1] .

* ثورةُ المَنْطِقِ في وَجْهِ البَابَا[2] :

أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! والقَسُّ جانٍ.. والمؤرِّخُ أخْرَقُ!!
والرَّبُ ثالوثٌ ـ تعالى جَــدُّهُ ـ هو واحدٌ لكنَّهُ مُتَفَرِّقُ!!
أينَ العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ والأمُّ تَحْمل بالإله وتَطْلقُ!!
فهو الجنينُ تَحَشْرَجَتْ أوْدَاجُه وهو الرضيعُ المُسْتَغيثُ المُوثَقُ!!
وهو الغريبُ هنا يُطارِدُهُ الظَّما طَوْرًا فيُسْقَى، أو يَجُوعُ فيُرْزَقُ!!
وهو الطريدُ هنا.. المُعذَّب ها هنا وهناك في عَرْضِ الصليبِ مُعَلَّقُ!!
وهو الدَّفِينُ هنا ثلاثًا فاعْجَبُوا من ذا الذي يُحيي بهن ويرزقُ؟!!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! والذَّنْبُ إرثٌ والمُخَلِّصُ يُشْنَقُ!!
ورقابُهُمْ أُسِرَتْ بزلَّةِ آدمٍ.. ما لي بوِزْرِ الآخَرِينَ أُطَوَّقُ؟!!
واللَّهُ أوسعُ رحمةً وعدالةً من أنْ يُجَرِّمَهُمْ ولَمَّا يُخلقُوا
وأرى المُخَلِّصَ لَمْ يُخلِّصْ نَفْسَه وهْو الضَّعيفُ المُسْتَباحُ المُرْهَقُ!!
وصُكوكُ غُفْرانِ الذُّنوبِ تِجَارةٌ فالقَسُّ يَجْمَعُ والكنيسةُ تَعْتِقُ

(١) «أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية والحرية والعدل» للدكتور فهد العرابي الحارثي.
(٢) لصالح بن علي العمري.

وتُقَدَّسُ الصُلْبَانُ إجماعًا وقد ... صُلبَ الإلهُ بها فأينَ المَنْطقُ؟!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... والقَسُّ يكْذِبُ والحقائقُ تُزْهَقُ
فإذا اليهودُ القَاتلونَ بِعُرْفِهِمْ ... رَمزُ البَرَاءِ.. وقسُّهم يتملَّقُ
كم هيَّجَ الأحقادَ في حَمَلاتِه ... ولِكُلِّ جَيْشٍ للقسَاوسِ فَيْلقُ!!
نيرانُ كُرهٍ في حُطامِ ملاحِمٍ.. ... والموتُ يُرْعِدُ، والعَدَاوةُ تُبْرِقُ
وَفَدوا إلى أَرْضِي بكلِّ سَرِيَّةٍ ... فَبَكَتْ فلسطينُ وضجَّ المَشْرِقُ
ومَحَاكِمُ التَّفْتيشِ يَشْهَدُ قَبْوُهَا ... بِجَحِيمها وسجونُها والخَنْدَقُ
و«أبو غريب» فضائحٌ مشهودةٌ ... وسجونُ «كوبـــا» أَنَّــةٌ تتحرَّقُ
وَغَدَتْ رُبا الأَفْغانِ قاعًا صفصفًا ... وهنا العراقُ ضغائنٌ تتدفَّقُ
عيسى رَسُولُ محبةٍ وتسامحٍ ... والقسُّ يَعْبَثُ في البلادِ ويَحْرِقُ!!
عيسى لأخْلاقِ الوَفَاءِ مَنَارةٌ ... والقَسُّ يَغْدُرُ بالعبَــادِ ويَسْرِق!!
عيسى يُقيمُ المَيْتَ من غَفَواته ... والقَسُّ يَغْتَالُ الحَيَاةَ ويُزْهِقُ!!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! ... والفِكْرُ يُغْمَطُ.. والحجا مُسْتَغْلَقُ
حاربتُمُ العِلْمَ الحديثَ بِغلْظةٍ ... ودماءُ غاليلو هُنالكَ تُهْـرَقُ!!
وغللتُمُ العَقْلَ الصَّرِيحَ تَعَنُّتًا ... فإذا رؤى الإلحــادِ ظلٌّ مُونِقُ
ولِكلِّ إنجيلٍ لديكم وُجْهَــةٌ ... والزَّيْفُ في أصْلِ الروايةِ يُوبِقُ
والسِّفْرُ عندكمُ عُـرى وثنيَّــةٍ ... عن بولس.. وهو الدَّعيُّ المُلْصَقُ
وكتابُنــا متواترٌ.. ونبيُّنـــا ... خيرُ البريَّةِ.. والحديثُ مُوثَّقُ
و«عَشاؤكم» فيهِ القساوسُ تحتسي ... أمَّ الخبائثِ والجموعُ تُصَفِّقُ

وبشرعِكم: «لا للتعددِ».. والزِّنَا متيسِّرٌ.. والزوجُ ليستْ تَطْلُقُ!!

الزاهدونَ عن الزواجِ وقَسُّهم يُثني على خُلُقِ الشذوذِ فيُغْدِقُ

أينَ العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟! وروايةُ التأريخِ لا تتملَّقُ

لَمَّا حكمْنا الأرضَ أشرقَ دينُنا نوراً.. وراياتُ الأمـانِ تُحلِّقُ

وتألقتْ شمسُ الحضَارةِ في الدُّنا عدلاً وعلـمًا وائتلافـًا يعْبَقُ

تلْكَ القصورُ الشامخاتُ شواهدٌ للدهرِ بالحَـــقِّ المُغيَّبِ تنْطقُ

فاسألْ بلنْســية وقرْطُبَة النَّدى وصروحُها بالمُعْجــزاتِ تَفَتَّقُ

واسألْ سُهولَ القِبْطِ كيف تسربلتْ أمنًا، وآياتُ العهــودِ تُوثَّقُ

حتى إذا دارَ الزمانُ لكُمْ غدتْ أرضي بأصنافِ العَــداوةِ تفْهَقُ

فإذا بلادُ الشامِ نارٌ تصْــطَلي والقُدْسُ تُسْبى والخليلُ وجلَّقُ

وإذا بذورُ الكُرْهِ تربــو نبتــةً للثــائرينَ وفَجْــرُهُمْ يَتَفــلَّقُ

فإذا فلولُك مُسْــلِمٌ ومُسلِّمٌ والهالكونُ كأنَّهُمْ لَمْ يُخلقوا

أين العدالةُ والهُــدى والمَنْطقُ؟! والعقلُ يحجبُهُ الظلامُ المُطبِقُ

مــا دينُكم يا أيُّها البابا سوى إرهابِ رُهْبَانٍ.. وحُمْقٌ يُغْرِقُ

فتكتْ بنا الفتيكانُ فَتْكًا حينما غابَ النُّهى دهراً وطاشَ المنطقُ

دعني أُخاطبُ كلَّ صاحبِ فِطْنة واللَّهُ يَهْدي من يشاءُ ويُعْتقُ

يا ابن النصارى آنَ أنْ تصحو فقدْ جَارَتْ سياستُكم وضلَّ البِطْرَقُ

* * *

* دَرْءُ تعارُضِ العقل مع الوحي والنقل:

ما عَظَّم العقلَ دينٌ ما عظَّمه الإسلامُ، و«يكفيك من العقل أن يعرِّفك صدقَ الرسول ﷺ ومعاني كلامه، ثم يُخَلِّي بينك وبينه»، و«العقلُ سلطانٌ ولَّىٰ الرسولَ، ثم عزَل نفسه»(١).

والعقلُ كالدابةِ توصِّلك إلىٰ بابِ المَلِك، ثم تدخلُ عليه بعدَ ذلك بالتسليم المطلق.

والعقولُ لا تَسْتَقِلُّ بمفردها بمعرفةِ حقائقِ الإيمانِ وتفصيلِه أو الشرائعِ دونَ الرسل.

* فعقلُ رسولِ اللَّه ﷺ أكملُ عقولِ أهلِ الأرضِ علىٰ الإطلاق، فلو وُزِن عقلُه بعقولهم لَرَجَحَها، وقد أَخبر اللَّهُ أنه قَبْل الوحي لم يكن يَدري الإيمانَ كما لم يكن يَدري الكتاب، فقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٧]، وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورىٰ [الشورى: ٥٢].

* وإذا كان أعقلُ الخَلقِ علىٰ الإطلاق، إنما حَصَل له الهدىٰ بالوحي كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا

(١) «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» لابن القيم - اختصار محمد بن الموصلي (١/ ٢٥٥) «أضواء السلف».

يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠].

* فكيف يَحصلُ لسفهاءِ العقول وأخفَّاءِ الأحلام الاهتداءُ إلىٰ حقائقِ الإيمان بمجرَّدِ عقولهم دونَ نصوصِ الوحيِ حتىٰ اهتَدَوا بتلك الهدايةِ إلىٰ المعارضة بين العقلِ ونصوصِ الأنبياء؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾

[مريم: ٨٩ - ٩٠][(1)].

□ إن للعقل دَوراً لا يتعدَّاه، فهو كالميزان الحسَّاسِ، فهو أصلحُ شيءٍ في موضعه، تَزِنُ به ما دَقَّ من الأوزان، فإن استعملته في خارجِ طَورِهِ وما أُعِدَّ له أفسَدْته، فلا يصلحُ أن تَزِنَ به جِبالَ الدنيا.

□ ولا تعارُضَ بين العقل السليم والوحي الكريم، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابٌ عظيمٌ مفخرةٌ للمسلمين هو «درء تعارض العقل والنقل»، فارجع إليه فإنه نفيسٌ نفيس يُكتب بماء الذهب.

□ والذين يدَّعون معارضةَ العقلِ للنقلِ، وقدَّموا العقلَ علىٰ الوحي إنَّما يسيرون علىٰ طريقةِ الشيخ أبي مرَّة «إبليس»، فهو إمامُهم، وهذا ميراثٌ عنه..

فعلى عُقولِكُمُ العَفَاءُ لأنكم ... عادَيتمُ المعقولَ والمنقولاَ

وطلبتمُ أَمرًا مُحالاً وهو إذْ ... راكُ الهدى لا تَتْبعون رسولاَ

وزعمتمُ أن العقولَ كفيلةٌ ... بالحقِّ أين العقلُ كان كفيلاَ؟!

---

(١) «مختصر الصواعق» (١/ ٢١٥-٢١٦).

وهو الذي يَقـضي فيَنقضُ حكمَه ... عقلٌ، ترونْ كليهما معقولاً!
وتراه يجزم بالقضـــاء وبعــد ذا ... يَلْقَـــى لديــه باطِــلاً معلولاً
لا يَستَقِلُّ العقلُ دونَ هدايةٍ ... بالوحي تأصيلاً ولا تفصيلاً
كالطَّرْف دون النورِ ليس بمُدْرِكٍ ... حتى تراهُ بُكرةً وأصيلاً
وإذا الظَّلامُ تلاطمت أمْواجُهُ ... وطَمعْتَ بالأبصارِ كنتَ مُحيلاً
وإذا النُّبُوَّةُ لم يَنَلْكَ ضياؤُها ... فالعقلُ لا يَهْدِيكَ قطُّ سبيلاً
نور النُّبُوَّة مثلُ نورِ الشمس للـ ... عينِ البصيرةِ فاتَّخِذْهُ دليلاً
طرقُ الهُدَى مسدودةٌ إلاَّ علَى ... مَن أمَّ هذا الوحيَ والتنزيلاً
فإذا عَدَلتَ عن الطريق تَعَمُّداً ... فاعلمْ بأنك ما أردتَ وصولاً
يا طالبًا دَرْكَ الهُدَى بالعقلِ دو ... نَ النقل لن تَلْقَى لذاك دليلاً
كم رَام قبلَك ذاكَ مِن مُتَلَدِّدٍ[١] ... حيرانَ عاشَ مَدَى الزَّمانِ جهولاً
ما زالتِ الشبهاتُ تغزو قلبَه ... حتى تَشَحَّطَ بينهنَّ قتيلاً
فتراه بالكُلِّي والجُزئيِّ والـ ... ـعَرَضيِّ طولَ زمانِــه مشغولاً[٢]

---

(١) تَلَدَّدَ فلان: إذا تَلَفَّتَ يمينًا وشمالاً وتحيَّر مُتَبَلِّدًا، مأخوذٌ من: لَديدَي الوادي أي جانِبَيْه. . انظر اللسان والتاج مادة (لدد).

(٢) هذه مصطلحات منطقية: «فالكلِّي»: هو اللفظُ المفردُ الذي يَصلحُ لأن يَشتركَ في معناه أفرادٌ كثيرةٌ لوجودِ صفةٍ أو مجموعةٍ من الصفاتِ في مِثلِ هذه الأفراد، مثل «شجرة» و«كتاب» و«إنسان» وهي أسماءُ الأجناسِ والأنواعِ والمعاني الكليَّة العامَّة.
وأما «الجزئي»: فهو ما يُطلَقُ علىٰ شيءٍ واحدٍ بعينه، أو هو اللفظُ المفرَدُ الذي لا يَصلحُ معناه لأن تشتركَ فيه أفرادٌ كثيرة، مثل «زيد» و«هذه الشجرة» و«هذا الفَرَس»، فإنَّ المتصورَّ من لفظ «زيد» شخص مِعيَّن لا يشاركُه غيرُه في كونه مفهومًا من لفظ زيد. =

فإذا أتـاهُ الوحـيُ لم يـأذَنْ له ... ويقومُ بين يديْ عِـداهُ مثيلاَ
ويقولُ تلكَ أدِلَّـةٌ لفظِيَّـةٌ ... معزولةٌ عن أنْ تكونَ دليـلاَ
وإذا تَمُـرُّ عليه قال لها اذهبي ... نحو المُجَسِّم أوْ خُـذِي التأويلاَ
وإذا أَبَتْ إلا النزولَ عليـه كـ ... ـان لها القِرَى التحريف والتبديلاَ
فيحل بالأعـداء ما تلقَّـاهُ من ... كيدٍ يكونُ لحقِّـها تعطيلاَ
واضرب لهم مثلاً بُعميانٍ خَلَوْا ... في ظلمة لا يهتدُونَ سبيلاَ
فتصادموا بأَكُـفِّهِـم وعِصِيِّهِمْ ... ضربًا يُديرُ رَحَى القتـالِ طويلاَ
حتى إذا مَلُّوا القتـالَ رأيتَهم ... مشـجوجًا أو مفجوجًا أو مقتولاَ
وتسامَعَ العميانُ حتى أقبلوا ... للصُّلْحِ فازدادَ الصيـاحُ عويلاَ

□ ومِن رحمةِ اللَّه تعالىٰ أنه لم يتَرِكْ عبادةً للعقل فقط، «فالمعقولاتُ ليس لها ضابطٌ، ولا هي محصورةٌ في نوعٍ معيَّن، فإنه ما مِن أُمةٍ من الأمم إلاَّ ولهم عَقليَّاتٌ يختصمون إليها ويختصُّون بها، فللفُرسِ عقليَّات، وللهند عقليَّات، وللمجوس عقليَّات، وللصابئةِ عقليَّات. . وكلُّ طائفةٍ من هذه الطوائفِ ليسوا مُتَّفِقِين علىٰ العقليات، بل بينهم فيها من الاختلافِ ما هو معروف عند المُعْتنينَ به، ونحن نُعفيكم من هذه المعقولات واضطرابها، ونحاكمُكم إلىٰ المعقولات التي في هذه الأمة، فإنه ما من مُدَّةٍ من المُدَد إلاَّ وقد ابتُدعت فيها بِدَعٌ يزعُم أربابُها أن العقلَ دَلَّ عليها»[1] .

= و«العرضى»: قسمٌ لألفاظِ الكُلِّيات الخمس.
انظر: «معيار العلم» (ص٤٤-٤٥).

(١) «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٢٠).

◻ وانظر إلىٰ المعقولاتِ عند اليابانيِّين والهنودِ وهم الذين بَرَعوا في الصناعاتِ ولم يُوجد لهم نظيرٌ يُكافِئُهم أو ينافسُهم فيها . . كيف هَدَتهم عقولُهم إلىٰ عبادة «بوذا»! ! وكيف هَدَت عقولُ الهند الهنودَ إلىٰ عبادةِ البقرة حتىٰ يقول غاندي : «عندما أرىٰ البقرةَ، لا أجدُني أرىٰ حيوانًا، لأني أعبدُ البقرة، وسأُدافعُ عن عبادتها أمامَ العالَم أجمع» .

◻ ومضىٰ عابدُ البقر يقول : «إنَّ ملايين الهنود يتَّجهون للبقرة بالعبادةِ والإجلالِ، وأنا أعُدُّ نفسي واحدًا من هؤلاء الملايين»[1] .

مَن أنتَ يا رِسْطُو وَمَن ... أفلاطُ قَبْلَكَ يا مُبَلَّدْ؟!

ومَنِ ابنُ سينا حين قَرَّر مــ ... ـا هَدَيتَ له وأرشدْ؟!

هل أنتــم إلاَّ الفــراشُ ... وقد رأى نارًا توهَّجْ؟!

فلــنا فأحــرقَ نفسَــه ... ولو اهتدى رشدًا لأبعَدْ

فلتخْسَأِ الحكمــاءُ عــن ... ربٍّ له الأفلاكُ تَسجُدْ

◻ وانظر كيف هَدَت عقولُ الجهميَّةِ والفلاسفةِ أن يَزعموا أن نصوصَ الأنبياءِ غيرُ مطابقةٍ للحقيقة، وإنما كَذَبها الأنبياءُ علىٰ العَوَام؛ لأنَّ مِن مَصلحةِ العوامِّ أن يُخاطَبُوا بما يوافِقُ عقولَهم، وقد وَضَع الفلاسفةُ قانونَهم علىٰ هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره ابن سينا في رسالته «الأضحوية»[2] .

◻ يقول ابن تيمية : «وهؤلاء يقولون : الأنبياءُ قَصَدوا بهذه الألفاظ[3]

---

(١) «نظرات في النبوة» لصلاح الدين المنجد (٤/ ٣٢)ـ مكتبة القدس ـ بغداد .

(٢) مقدمة كتاب «درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية» للأستاذ محمد رشاد سالم (ص١١) ـ دار الكنوز الأدبية .

(٣) أي الجنة والنار والملائكة واليوم الآخر .

ظواهرها، وقَصَدوا أن يَفهمَ الجمهورُ منها الظواهرَ، وإنْ كانتِ الظواهرُ في نفسِ الأمر كَذِبًا وباطِلاً محْضًا ومخالَفةً للحق، فقَصَدوا إفهامَ الجمهورِ بالكَذِبِ والباطل للمصلحة».

◻ «ثم مِن هؤلاء مَن يقول: إنَّ النبيَّ كان يَعلمُ الحقَّ، ولكنه أظْهَر خلافَه للمصلحة.

ومنهم من يقول: ما كان يعلمُ الحقَّ، كما يَعلمُه نُظَّارُ الفلاسفةِ وأمثالُهم، وهؤلاء يُفَضِّلون الفيلسوفَ الكاملَ على النبيِّ، ويفضِّلون الوليَّ الكاملَ الذي له هذا المَشهدُ على النبي، كما يُفضِّلُ ابنُ عربيٍّ الطائيُّ خاتَمَ الأولياء ـ في زعمه ـ على الأنبياء.

وكما يُفضِّل الفارابيُّ ومُبشِّرُ بنُ فاتِك وغيرُهما الفيلسوفَ على النبي»[1] ﷺ.

*** الإسلامُ هادٍ للعقل.. وشَرَفُ العقلِ سجودُه للوحي:**

«يحلو لكثيرٍ من الناسِ أن يتحدَّث عن موقفِ القرآنِ من العقل، ويَذكُرُ في بحثِه أو محاضرته أن القرآنَ هو كتابُ العقل، وأنه بأكملِه دعوةٌ صارخةٌ لتحريرِ العقل من عِقالِه، وأنه يدعونا ـ بعباراتٍ تختلفُ في أسلوبها وتتَّحدُ في معناها ـ إلى استعمالِ العقلِ ووَزْنِ كلِّ شيءٍ بميزانه، وأنه يتركُ لنا الحريةَ في أن نعتقدَ ما يُرشِدُ إليه عقلُنا، وأن نَتَّبعَ السبيلَ الذي يُنيرُه مَنطقُنا، أو يَهدينا إليه تفكيرُنا.

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (ص٩ ـ ١٠).

ويستدلُّون بالآيات الكريمة التالية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٧١].

* ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩ - ٢٢].

هذه الآياتُ الكريمة - بل والقرآنُ في جُمْلته -، والأحاديثُ الشريفةُ في جُملتها، وتاريخُ الإسلام، إنَّ كلَّ ذلك يدلُّ - حسبما يَرَوْن - علىٰ أن الإسلامَ دينُ العقل.

ويَرَون بذلك أنه يُحكِّمُ العقلَ في المسائلِ والمبادئِ والقواعد.

ويَنتهي ذلك - لا مناصَ - بأن يكونَ العقلُ هو القائدَ وليس الدينَ، وذلك قلبٌ للأوضاعِ، وانحرافٌ عن الصراط المستقيم!!.

* أما الصراطُ المستقيم فيما يتعلَّقُ بصِلَةِ الدينِ بالعقلِ فهو:

١ - أولاً: جاء الدينُ هاديًا للعقلِ في مسائلَ مُعَيَّنة، هي:

أوَّلاً: ما وراءَ الطبيعة: أي العقائدُ الخاصَّةُ باللَّه سبحانه، وبرسولِه ﷺ، وباليومِ الآخرِ، وبالغَيب الإلهيِّ - علىٰ وجه العموم -.

وثانيًا: في مسائلِ الأخلاق: أي الخيرِ والفضيلة، وما ينبغي أن يكونَ عليه السلوكُ الإنسانيُّ ليكونَ الشخصُ صالحًا.

وثالثًا: في مسائلِ التشريعِ الذي يَنتظمُ به المجتمعُ، وتَسعَدُ به الإنسانيةُ.

وجاء الدينُ هاديًا للعقلِ في هذه المسائل بالذات ؛ لأن العقلَ إذا بَحث فيها مستقلاًّ بنفسه، فإنه لا يَصِلُ فيها إلىٰ نتيجةٍ يتَّفقُ عليها الجميع.

ومعنىٰ ذلك: أنه لو تُرك الناسُ وعقولَهم في هذه المسائل، فإنهم يختلفون ويتفرَّقون فِرَقًا عديدة، ويتنازعون، ولا ينتهي الأمرُ بهم إلىٰ الوِحدةِ والانسجام، ولا إلىٰ الهدوءِ والطمأنينة.

٢ ـ وجاء القرآنُ: يَفهمُه العقلُ في المُحكَمِ فيه، ولا يُناقِضُ العقلَ في المتشابه منه، ذلك أن القرآن: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

* وقد أراد الإسلامُ مِن المسلمِ أن يستمسكَ بالمُحكماتِ استمساكًا تامًّا، وأن يعتصمَ بها اعتصامًا كاملاً: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وأن يُسلِّمَ الأمرَ للَّه في المتشابه، اللَّهم إلاَّ إذا فَتح اللَّهُ عليه بوساطةِ الإلهامِ الإلهيِّ عن شيءٍ من أسرارِ هذا المتشابِهِ الذي لا يُناقِضُ العقلَ، ولا يتعارضُ مع مبادئه.

٣ ـ وجاء القرآن حاسمًا لا يتردَّدُ ولا يُقِرُّ الترددَ، ولا يَتشكَّكُ ولا يُقِرُّ التشككَ، وكان الأمرُ كذلك لأنه جاء بالحق، الحقِّ الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلفِهِ، الحقِّ المعصوم، لقد جاء بالحقِّ العاقلِ المعقول، الحقِّ المُتَّزِنِ الموزون، لقد جاء بالحقِّ الذي كلُّ ما عداه باطلٌ، ولقد تَركَّزَ الحقُّ في

مسائلِ الدين بين دَفَّتَيْ هذا الكتابِ المُوحَىٰ، وفيما أخبر به الرسولُ صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه، شرحًا له وتفسيراً وإبانةً، وعلىٰ مَن أسلم أن يَتَّبِعَ هذه المبادئَ أو هذا الحقَّ اتباعًا لا تردُّدَ فيه ولا انحرافَ عنه.

٤ ـ وجاء القرآنُ لا يَستشيرُ الإنسانَ في شيءٍ، وتعالىٰ اللَّه عن أن يستشيرَ المخلوقَ، وتعالىٰ الربُّ عن أن يستشيرَ المربوب، وتعالىٰ العليمُ الحكيمُ عن أن يحتكمَ إلىٰ البشر أو يُحكِّمهم فيما أنزله إليهم هدايةً وتربيةً.

□ هذا هو موقفُ الدينِ من العقل، وهو موقفٌ يُقِرُّنا عليه كلُّ مَن له شعورٌ دينيٌّ سليم، وهو موقفٌ تُرشدُنا إليه الآياتُ السابقةُ نفسها، ونأخذُ منها ـ كمثالٍ عام ـ قوله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

في هذه الآيةِ الكريمة: يأمرُ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ رسولَه ﷺ أن يُخبِرَ بأنَّ ما أتىٰ به إنما هو الحقُّ، وإذا كان هو الحقَّ، فإنَّ كلَّ ما عداه باطل، وما مِن رَيبٍ في أنَّ كلَّ شخصٍ يُعمِلُ فِكرَه، ويُجِيلُ نَظَرَه ويتأمَّلُ في هذا الحق: فإنه لا مَحالةَ ـ إذا أخلَصَ ـ سينتهي بالاعترافِ والإقرارِ والإيمان.

أمَّا مَن أضربَ عن ذلك صَفْحًا، واتَّبع الآباءَ والأسلافَ ـ لمجردِ أنهم آباءٌ وأسلافٌ ـ، فإنَّ مَثَلَه كمَثَلِ البهيمة التي تَسيرُ وراءَ أصحابِها لمجردِ أنهم يقودونها، وتَتبعُهم لأنهم يَسيرون أمامها!.

ومَن شاء مِن الناس أن يؤمنَ بهذا الحقِّ الذي ليس بعدَه إلاَّ الباطل،

فليؤمنْ به ولْيَتْبَعِ الهُدىٰ الهادي، ومَن شاء أن يكفرَ بالحقِّ ويَتَّبعَ الباطلَ مُعرِضًا عن الحق، فله ذلك، ولكنْ لِيعلمْ أن اللَّهَ سبحانه أعدَّ لمن لم يَتَّبعِ الإيمانَ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

□ والقرآنُ دينُ العقلِ بهذه المعاني فهو: هادٍ للعقل، ومرشدٌ له، وقائدٌ.

وهو مبادئُ يفهمُها العقلُ في سُهولةٍ ويُسْرٍ.

وهو لا يُناقضُ العقلَ.

وعلىٰ العقلِ أن يَلجأَ إليه في كلِّ ما أتىٰ به.

٥ ـ على أن القرآنَ في حقيقة الأمر نَزَل لِيقودَ الإنسانيةَ نحوَ الكمالِ الرُّوحيِّ، والإنسانُ إنسانٌ بالجانبِ الروحيِّ منه، وكلما سَما الإنسانُ روحيًّا، كان أعلىٰ في معنىٰ الإنسانية.

والمعنىٰ الروحي، ووسيلةُ المعنىٰ الروحي: لا سبيلَ إلىٰ تحديدِهما من الإنسانِ نفسِه، وإنما تحديدُهما موكولٌ إلىٰ اللَّه سبحانه، ذلك أن السُّمُوَّ الروحيَّ قُربٌ من اللَّه تعالىٰ ـ وإذا لم يكن قُربًا من اللَّه فليس بسُموٍّ رُوحيٍّ ـ، والقُربُ من اللَّه ـ أو بتعبيرٍ أدقَّ: تقريبُ اللَّهِ للإنسان ـ إنما مرجعُه ـ هدفًا ووسيلةً ـ هو اللَّهُ نفسه.

وكلُّ مَن حاول أن يتَّخذَ طريقًا آخر، فإنما يَجري وراءَ سراب.

والغايةُ والوسيلة: حَدَّدَهما اللَّهُ في كتابه الكريم، إنه حدَّدهما بالأسلوبِ الإلهيِّ نفسه، أي أن التعبيرَ عنهما ـ التعبيرَ نفسَه ـ إنما كان من اللَّه

سبحانه، ومِن فضلِ اللَّه على المسلمين ـ وعلى اللغةِ العربيةِ ـ أنْ كانت وسيلةُ فَهمِ الإسلام هي التعبيرُ الإلهي ـ بما فيه من دِقَّةٍ كاملة، وجَمالٍ مُعجِزٍ، وكمالٍ غيرِ منقوص ـ.

وما دام الأمرُ كذلك، فليس للعقلِ إلاَّ التسليمُ والخشوعُ والخضوعُ، أو بتعبيرٍ أدقَّ: السجود.

وهو ليس سُجودًا تعسُّفيًّا أو تحكُّميًّا، وإنما هو سجودٌ مصدرُه الإيمانُ اليقينيُّ بأن هذا من عندِ اللَّه، وما دام من عندِ اللَّه، فإنه لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلفِهِ؛ لأنَّه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، ولأنَّه أُحكمت آياته، ثُمَّ فُصِّلت مِن لَدُنْ حكيمٍ خبير.

من ذلك نتبيَّنُ أن الدينَ هادٍ للعقل، وأن العقلَ يجبُ أن يَخضعَ ويَسجُدَ للوحي الإلهيِّ.

* ونعودُ من جديدٍ إلى المسألة التي بدأنا بها الحديث، نعودُ من جديدٍ إلى مسألةِ «القرآن والعقل»، سيقولون: ولكنَّ القرآنَ يُطالِبُ دائمًا بالتفكُّرِ والتدبر:

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وينعي على المشركين التقليدَ، ويتهكَّمُ بهم في اتباعهم آباءَهم، فيتساءل:

﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]؟!.

وكثيراً ما نجدُ الآيات تُختم بـ ﴿أفلا تعقِلون﴾، ﴿أفلا تتفكَّرون﴾، ﴿أفلا تُبصِرون﴾.

وكلُّ ذلك يدلُّ على أن القرآنَ يَدفعُ الناسَ إلى استعمالِ العقل.

والواقعُ أن القرآنَ لا يَستشيرُ الإنسانَ في أيَّةِ قضيةٍ من القضايا التي جاء بها الوحيُ، ولا يَحتكمُ الوحيُ إلى الإنسانِ ـ باعتبارِه حَكَمًا ـ في أيِّ مبدإٍ من مبادئه، ولا يَطلبُ منه مشورةً في أيَّةِ قاعدةٍ من القواعدِ التي شَرَعها، بل هذه الأوهامُ لا تدورُ بخَلَدِ المتديِّن قطُّ.

ذلك أن الوحيَ نَزَل على أنه رسالةُ السماءِ النهائيةُ إلى العالم، ونَزَل يُبلِّغُ أن هذه الرسالةَ صِدقٌ كلُّها، حقٌّ جميعُها، وليس فيها مبدأٌ مشكوكٌ فيه، ولا قضيةَ تحتملُ الصدقَ والكذب، وليس فيها جملةٌ زائدة، ولا كلمةٌ ليست في موضعها، ولا حرفٌ كان يَحسُنُ ألاَّ يوجد.. كلاَّ، إنها الحقُّ الخالص، مَن اتبعها فقد اهتَدى، ومَن حادَ عنها فقد انحرف، ومَن ابتغى الهُدى في غيرها أضلَّه اللَّه، ومَن تركها مِن جبَّارٍ قَصَمه اللَّه؛ لأنَّها صراطُ اللَّهِ المستقيمُ، ونورُه اللألاَءُ.

وكلُّ ما ذَكره من التفكيرِ والنظرِ والتدبرِ، إنما أراد به «الاعتبار»، وأراد أن يقول: تفكَّروا لِتَرَوا أن ذلك هو الحقُّ، انظُروا لِتعلموا أن ذلك هو الخيرُ، أمَّا إذا رأيتم غيرَ ذلك، فإنما العَيبُ في بَصركم، أو في بَصيرتكم.. إذا رأيتم غيرَ ذلك، فإن الفسادَ في عقولِكم وفي تفكيرِكم، وإذا رأيتم غيرَ ذلك، فاعلَموا أن فِطرتَكم فَسَدت لانحرافِكم، وأن قلوبكم رانَ عليها الإثمُ فضلَّت، وأن عقولَكم قد صَدِئت، فأصبحت لا تَرى الحقَّ حقًّا ولا

الخيرَ خيراً، وأصبحت مِن الضلال بحيث تَرىٰ الخيرَ شرًّا والشرَّ خيراً، وأصبح أصحابُها كالأنعامِ ـ بل هم أضلُّ سبيلاً ـ، كلُّ ذلك لانحرافِكم عن الصراطِ المستقيم.

إنَّ اللَّهَ ـ في عظمتِه وجلالِه سبحانه ـ لا يُلقي برسالتِه ليبحثَها الإنسانُ ويُبديَ فيها رأيَه نفيًا أو إثباتًا، سَلْبًا أو إيجابًا. كلاًّ، بل كلُّ من تَوهَّم ذلك فإنه لا يَقْدِرُ اللَّهَ حقَّ قَدْرِه، وتعالىٰ اللَّهُ عن ذلك علوًّا كبيراً، وإنما ألقاها سبحانه لِتُتَّبع، ولِتُتَّبَعَ في خضوعٍ وسجود، ولِتُتَّبَعَ دونَ حَرَجٍ يَحيكُ في الصدر، أو شَكٍّ يجولُ في النفس: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

وكلُّ مَن وَجَد في نفسِه حَرَجًا من قضايا الدين، وكلُّ مَن لم يُسلِّمْ تسليمًا كاملاً مطلقًا تامًّا، كلُّ مَن كان كذلك، فإنه يَحسُنُ به أن يَرجعَ إلىٰ إيمانِه لِيُصحِّحَه، ولْيَتُبْ إلىٰ اللَّه توبةً نصوحًا، وبابُ اللَّه مفتوحٌ للتائبين آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ ـ وفي كلِّ لحظة ـ.

كان سَلَفُنا الصالحُ يَنزِعون هذه النَّزعة ـ نزعةَ الخضوعِ المُطلَقِ لِمَا جاء به الرسولُ ﷺ ـ، لقد كانوا يَسجُدون للنص، يَسجدون له بجوارحِهم وقلوبِهم، وأرواحِهم وعقولِهم، لقد كانوا يُخضِعون عقولَهم للنص، ويَجعلونه القائدَ الحَكَمَ المُهيمِنَ. وكانوا يَعرفون أن إدخالَ شخصيتِهم في النصِّ إنما هو انحرافٌ يَعظُمُ أو يَقِلُّ بحسب مَدىٰ التدخُّلِ البشريِّ في النص، وكانوا يَعرفون أن الوحيَ إنما جاء هاديًا للعقل وقائدًا له في الأمور

التي لا يتأتَّىٰ للعقلِ أن يَلِجَ ميادينَها، أو يقتحمَ حِماها، أو يُدلِيَ فيها برأيٍ يتَّفقُ عليه الناس، وهذه الميادينُ هي الدين، والدينُ ليس رأيًا بشريًّا، إنه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وكلُّ موقفٍ من الشخصيةِ البشريةِ تُجاهَ النصِّ سوىٰ موقفِ السجودِ له: إنما هو موقفٌ لتبديلِ الدينِ مِن أن يكون إلهيًا إلىٰ أن يكونَ بشريًّا، ولو كان يستقيمُ الأمرُ علىٰ ذلك، لَمَا كان هناك مِن حاجةٍ إلىٰ الدين.

□ يَروي أبو داود والدَّارَقُطْنِيُّ عن سيِّدنا عليٍّ ﷺ قال: «لو كان الدينُ بالرأيِ، لكان أسفَلُ الخُفِّ أولىٰ بالمسحِ من أعلاه، لقد رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَمسحُ علىٰ ظاهرِ خُفَّيه». . «أثرٌ صحيح».

إن الدينَ ليس رأيًا، وليس بالرأي، وانظر إلىٰ الحديث التالي، إنه مُعبِّرٌ أقوىٰ ما يكونُ التعبير، دقيقٌ في مغزاه دِقةً بالغةً:

● عن البَرَاءِ بن عازب ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إذا أتيتَ مَضْجَعَك، فتوضَّأْ وُضوءَكَ للصلاة، ثم اضطَجِعْ على شِقِّكَ الأيمن، ثم قُلْ: «اللَّهم إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظَهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا مَلجأَ ولا مَنْجَا منك إلاَّ إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلتَ»، فإن مِتَّ في ليلتِك، فأنت على الفِطرة، واجْعَلهُنَّ آخرَ ما تتكلَّمُ به**».

□ البراء ﷺ: «فرَدَدْتُها علىٰ النبيِّ ﷺ، فلمَّا بلغتُ: «**آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ**»، قلت: «ورسولك»، قال: «**لا.. ونبيِّك الذي أرسلت**»[1].

---

(١) رواه الستة.

زاد البخاري والترمذي: «فإن مِتَّ في ليلتِكَ، مِتَّ على الفِطرة، وإنْ أصبحتَ أصبتَ خيرًا».

إن الصحابيَّ الجليل البراء بن عازب ﷺ قال: «رسولك» بدلَ أن يقول: «نبيك»، وكلمةُ «رسول» تتضمَّنُ معنى النبوة، فهي إذن فيها المعنى وزيادة، ويحسب منطقِنا، وبحسب عَقلِنا تكونُ صالحةً.. ولكننا لا نَرى بعقلِنا ومنطقِنا إلاَّ الشكلَ والظاهرَ.. أمَّا بواطنُ الأمور، أمَّا أسرارُ الكلمات، أمَّا حِكمةُ الأوضاع المحدَّدة، أمَّا اكتِناهُ خفايا التقديراتِ الإلهية، إنَّ كلَّ ذلك ـ إذا لَم يَكشِفِ اللَّهُ عنه، أو عن بعضِه ـ، فإننا لا نَصِلُ إليه بمنطقِ البشر، ولقد أخطأ البراءُ بنُ عازبٍ ﷺ في استبدالِ كلمة «رسول» بكلمةِ «نبي»، وأخطأنا معه حينما قَدَّرنا بعقولنا أن هذا البَدَلَ يصحُّ.

* ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

* واكتِناهُ سرٍّ هذا القَدَرِ اكتناهًا تامًّا لا يَصِلُ إليه الإنسانُ، بل لا تَصِلُ إليه الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

إنَّ العلمَ الصحيحَ الصادقَ في عالَمِ الهداية الإلهيةِ والتربيةِ الربانية، إنما هو مِن اللَّه سبحانه، وكلُّ ابتعادٍ عنه أو خروجٍ عليه أو تغييرٍ فيه، إنما هو ضلال.

وما من شكٍّ في أن الإنسانَ منذ أن وُجد على ظَهرِ الأرض: يُحاولُ أن يَنزِعَ نزعةً بشريةً بَحتةً، ويتصرَّفُ في الوحيِ الإلهيِّ نقصًا وزيادةً، وبَترًا

وإضافةً، وتغييرًا وتبديلاً، ويُحاولُ أن يُقيمَ كلَّ ذلك على قواعدَ يزعمُها صحيحةً، فيقول مثلاً:

ـ إنَّ الحكمةَ في تحريمِ شُربِ الخمر، إنما هي المفاسدُ التي تنشأُ من الشخصِ الشارب، فإذا ما انتَفَتْ تلك المفاسدُ، فلا مانعَ من شُربِ الخمر.

ـ والتكاليفُ الدينية: إنما جاءت لإصلاحِ الضمير، فإذا كان الضميرُ صالحًا فلا لزومَ للتكاليف الدينية.

ـ وأعمالُ العبادةِ إنما هدفُها القُربُ من اللَّه، فإذا حَصَل القربُ، فلا حاجةَ إليها.. إلخ.

وهكذا يخرجُ الإنسانُ بأهوائه، ولا نقولُ: بعقله ـ لأنَّ كلَّ ذلك أهواءٌ يُصورِّهُا الشيطانُ مَنطقًا معقولاً ـ عن الدين، كما خرج إبليسُ قديمًا ـ بأهوائه التي تمثَّلت لذهنه منطقًا ـ عن الدين.

والإمامُ الغزَّاليُّ ﷺ يُمثِّلُ لذلك بمثالٍ مُعبِّرٍ، فَيذكرُ قصةَ رجلٍ بَنى له أبوه قصرًا على رأسِ جبلٍ، ووَضَع فيه شجرةً من حشيشٍ طيِّبِ الرائحة، وأكَّد الوصيةَ على ولدِه مرةً بعد أخرى، ألاَّ يُخليَ هذا القصرَ عن هذا الحشيشِ طوالَ عمره، وقال: «إياكَ أن تسكنَ هذا القصرَ ساعةً من ليلٍ أو نهار إلاَّ وهذا الحشيشُ فيه»، فزَرع الولدُ حولَ القصرِ أنواعًا من الرياحين؛ وطَلَب من البَرِّ والبحرِ أوتادًا من العُودِ والعنبر والمِسك، وجَمَع في قَصرِه جميعَ ذلك من شجراتٍ كثيرةٍ من الرياحين الطيبةِ الرائحة، فانغمرت رائحةُ الحشيش لَمَّا فاحت هذه الروائح، فقال: «لا شكَّ أن والدي ما أوصاني بحفظِ هذا الحشيشِ إلاَّ لطِيبِ رائحته، والآن قد استغنينا بهذه الرياحينِ عن رائحته، فلا فائدةَ فيه الآن، إلاَّ أن يُضيِّقَ على المكان».. فرماه من القصر.

فلمَّا خلا القصرُ من الحشيش، ظَهر من بعضِ ثقوبِ القَصر حيَّةٌ هائلةٌ، وضربته ضربةً أشرف بها على الهلاك، فتَنَبَّه - حيثُ لَم ينفعْه التنبُّه - أن الحشيشَ كان من خاصيته دَفعُ هذه الحيةِ المُهلكة، وكان لأبيه بالوصيةِ بالحشيش غرضان:

أحدهما: انتفاعُ الولدِ برائحته، وذلك قد أدركه الولدُ بعقله.

والثاني: اندفاعُ الحيَّاتِ المُهلِكاتِ برائحته، وذلك مما قَصُرَتْ عن دَرَكِه بصيرةُ الولد، فاغتَرَّ الولدُ بما عنده من العلم، وظنَّ أنه لا سِرَّ وراءَ معلومِه ومعقولِه كما قال تعالىٰ: ﴿**ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ**﴾ [النجم: ٣٠].

* وقال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ**﴾ [غافر: ٨٣].

والمغرورُ من اغتَرَّ بعقله، فظنَّ أن ما هو مُنتَفٍ عن علمِه فهو مُنتَفٍ في نفسِه.. اهـ.

وما من شكٍّ في أن آراءَ المِلَلِ وكلَّ ما فيها من الأوضاعِ ليس سبيلُها أن يُمتحَنَ بالآراءِ والرويَّةِ والعقولِ الإنسية؛ لأنَّها أرفعُ رُتبةً منها، إذ كانت مأخوذةً من وحيٍ إلهي؛ لأنَّ فيها أسرارًا إلهيةً تَضعُفُ عن إدراكِها العقولُ الإنسيةُ ولا تبلغُها.

وأيضًا: فإن الإنسانَ إنما سبيلُه أن تُفيدَه المِللُ بالوحي ما شأنُه ألاَّ يُدرِكَه بعقلِه وما يَخورُ عقلُه عنه، وإلاَّ فلا معنىً للوحي، ولا فائدةَ إذا كان إنما يفيدُ الإنسانَ ما كان يعلمُه، وما يمكنُ إذا تأمَّله أن يُدركَه بعقله، ولو كان كذلك لَوُكِلَ الناسُ إلىٰ عقولهم، ولَمَا كانت بهم حاجةٌ إلىٰ نبوَّةٍ ولا إلىٰ

وحيٍ، لكنْ لم يَفعل بهم ذلك، فلذلك يَنبغي أن يكونَ ما تُفيده المِللُ من العلوم: ما ليس في طاقةِ عقولِنا إدراكُه، ثم ليس هذا فقط، بل ما تَستنكرُه عقولُ بعضٍ منَّا، فإن ما تستنكرُه بعضُ العقولِ وتَستبشعُه بعضُ الأوهامِ قد لا يكونُ في واقعِ الأمرِ منكَرًا ولا بشعًا.

فإن الإنسانَ ـ وإن بَلَغ نهايةَ الكمالِ في الإنسانية ـ، فإنَّ منزلتَه عند ذوي العقولِ الإلهية ـ العقولِ التي استنارت بالوحي وسَمَتْ بالمبادئِ الإلهية ـ منزلةُ الصبيِّ والحَدَثِ والغَمْرِ[1] عند الإنسانِ الكامل.

وكما أن كثيرًا من الصِّبيان والأغمار يستنكرون بعقولهم أشياءَ كثيرةً مما ليست في الحقيقةِ مُنكرةً ولا غيرَ ممكنة، ويقعُ لهؤلاء أنها غيرُ ممكنة؛ فكذلك مَنزلةُ مَن هو في نهايةِ كمالِ العقلِ الإنسيِّ عند العقولِ الإلهيةِ التي أفاض اللَّهُ عليها من نورِه وغَمَرَها بإلهاماته، وكما أن الإنسانَ ـ مِن قَبلِ أن يتأدَّبِ ويَتحنَّكَ ـ يستنكرُ أشياءَ كثيرةً ويستبشعُها، ويُخيَّلُ إليه فيها أنها مُحالةٌ، فإذا تأدَّب بالعلوم واحتَنَك بالتجارِب زالت عنه تلك الظنونُ فيها، وانقَلَبت الأشياءُ التي كانت عنده مُحالةً، فصارت هي الواجبةَ، وصار عنده ما كان يتعجَّبُ منه قديمًا في حدِّ ما يتعجَّبُ من ضدِّه.

كذلك الإنسانُ الكاملُ الإنسانية، لا يُمتنع من أن يكونَ يَستنكرُ أشياءَ ويُخيَّلُ إليه أنها غيرُ ممكنة، مِن غيرِ أن تكونَ في الحقيقةِ كذلك.

◘ ويَشرحُ الشيخُ الجليل أبو سليمان المنطقي كلَّ ذلك، في دقةٍ دقيقة، وفي أسلوبٍ جميل فيقول: «إن الشريعةَ مأخوذةٌ عن اللَّه عز وجل بوَساطةِ

---

(١) الغَمْر: الجاهل.

السفيرِ بينه وبين الخَلقِ من طريقِ الوحي، وبابِ المناجاة، وشهادةِ الآيات، وظهورِ المعجزات، وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلىٰ البحثِ عنه والغَوصِ فيه، ولا بدَّ من التسليم المدعوِّ إليه والمُنَبَّهِ عليه، وهناك يَسقُط «لِمَ؟» ويَبطُلُ: «كيف؟» ويزول: «هلاَّ؟» وتذهبُ: «لو» و«لَيت» في الريح!.

ولو كان العقلُ يُكتفىٰ به، لم يكن للوحيِ فائدةٌ ولا غَناء.

علىٰ أن مَنازلَ الناسِ متفاوتةٌ في العقل، وأنصباءَهم مختلفةٌ فيه، فلو كنا نستغني عن الوحي بالعقل، كيف كنَّا نصنعُ؟ وليس العقلُ بأَسره لواحدٍ منا، فإنَّما هو لجميعِ الناس.. ولو استقلَّ إنسانٌ واحدٌ بعقلِه في جميعِ حالاته، في دينِه ودنياه، لاستقلَّ أيضًا بقُوَّته في جميعِ حاجاته، في دينِه ودنياه، ولكان وحدَه يَفِي بجميعِ الصناعاتِ والمعارفِ، وكان لا يَحتاجُ إلىٰ أحدٍ من نوعِه وجِنسه، وهذا قولٌ مردود، ورأيٌ مخذول»[1].

□ يقول الشيخ الجليل أبو سليمان المنطقي: «إن منازلَ الناس متفاوتةٌ في العقل، وأنصباءَهم مختلفةٌ فيه»، معنىٰ ذلك أن هذا الذي يَروقُ لشخصٍ عقليًّا، ربما لا يَروقُ لغيره عقليًّا، ويَجبُ من أجل ذلك ألاَّ يتدخَّلَ العقلُ في الدين، وإلاَّ لاختلف الناسُ باختلافِ عقولهم، وادَّعىٰ كلٌّ أنَّ ما هو عليه إنما هو الحقُّ، وما عليه غيرهُ هو الباطل، ونَتَج عن ذلك اتِّباعُ كلٍّ أهواءه.

* ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فتتفرَّقُ الأمة، وتخرجُ عن ما أحبَّه اللَّه وأمر به.

* ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) انظر كتاب «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقِفْطي.

وإذا تساءلت الآن: ما هو إذن موقفُ العقلِ من الدين، وموقفُ الدينِ من العقل؟.

فإننا نُجمِلُ الموضوعَ في النقاط الآتية:

نَزل الدينُ هاديًا للعقل في جميعِ الأمور التي لو تُرك العقلُ وشأنَه فيها ضَلَّ السبيل، وعَجَز عن الوصولِ إلى الحقيقة.. وهذه الأمور هي:

(أ) العقائد.

(ب) المبادئ الأخلاقيةُ إجمالاً وتفصيلاً.

(ج) التشريعُ في قواعِدِه العامة، وفي بعضِ تفصيلاته، وقواعِده العامة التي تتضمنُ الجزئياتِ على مرِّ الزمن، وعلى اختلافِ البيئات.

أما الطبيعةُ والكون - من سمائه وأرضه، ومن جبالِه وبحاره، ومن كواكبه وأقمارِه وشموسه -، أما المادة والطاقة، أما أعماقُ البحار وآفاق السماء.. إنَّ كلَّ ذلك قد تركه الله سبحانه للإنسانِ يدرسُه في مَصنعِهِ ومَعمَلِهِ بآلاته وأدواته، وحثَّه على أن يُجوِّلَ في ذلك ما استطاع إليه سبيلاً، حتى يكتشفَ سُنَنَ اللَّهِ الكونية، ونواميسَه الطبيعية، ويرى صُنعَ اللَّه الذي أتقَنَ كلَّ شيءٍ.

ولَم يَحجُرِ الدينُ على الإنسانِ في هذا المجال، اللَّهم إلا الواجبَ الذي ينبغي أن يكونَ شعارُه دائمًا، وهو أن يكون هدفُه من كلِّ ذلك الخير.

والإسلام دينُ العقل بكلِّ هذه المعاني التي ذكرناها»[1].

---

(١) انظر «الإسلام والعقل» للدكتور عبدالحليم محمود (ص١٥ - ٣٠) - دار المعارف.

* السَّمْعُ الصحيح لا يَنفكُّ عن العقلِ الصريح.. والوحيُ هو الحُجَّةُ العُظمى:

قال الإمام ابن قيم الجوزية في «مختصر الصواعق المرسلة»: «إن الحُجَجَ السَّمْعيَّةَ مطابِقةٌ للمعقول، والسمعَ الصحيحَ لا ينفكُّ عن العقلِ الصريح، بل هما أَخَوانِ وَصَلَ اللَّه تعالىٰ بينهما، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

فذَكَر ما يُنال به العلوم، وهي السمعُ والبصرُ والفؤادُ الذي هو مَحِلُّ العقل.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

فأَخبروا أنهم خَرجوا عن مُوجِبِ السمع والعقل.

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فدعاهم إلىٰ استماعه بأسماعِهم وتدبُّرِه بعقولهم.

* ومثلُه قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فجَمَع سبحانه بينَ السمعِ والعقلِ، وأقام بهما حُجَّته علىٰ عبادِه، فلا

ينفكُّ أحدُهما عن صاحبِه أصلاً، فالكتابُ المُنزَّلُ والعقلُ المُدرِكُ حُجَّةُ اللَّهِ علىٰ خَلقِه، وكتابُه هو الحُجَّةُ العُظمىٰ، فهو الذي عَرَّفَنَا ما لم يكن لعقولِنا سبيلٌ إلىٰ استقلالِها بإدراكِه أبداً.

فليس لأحدٍ عنه مذهبٌ، ولا إلىٰ غَيره مَفزَعٌ في مجهولٍ يَعلمُه ومُشكِلٍ يَستبينُه، فمَن ذهب عنه فإليه يَرجع، ومَن دَفَع حُكمَه فبه يُحاجُّ خَصمَه، إذ كان بالحقيقةِ هو المرشِدُ إلىٰ الطرقِ العقليةِ والمعارفِ اليقنية، فمَن رَدَّ من مُدَّعي البحثِ والنظرِ حكومتَه، ودَفَع قضيتَه، فقد كابَرَ وعانَدَ، ولم يكن لأحدٍ سبيل إلىٰ إفهامِه.

وليس لأحدٍ أن يقول: إني غيرُ راضٍ بحُكمِه، بل بحُكمِ العقل، فإنه متىٰ رَدَّ حُكمَه، فقد رَدَّ حُكمَ العقلِ الصريحِ، وعاند الكتابَ والعقلَ.

والذين زعموا ـ مِن قاصِرِي العقلِ والسمعِ ـ أن العقلَ يجبُ تقديمُه علىٰ السمع عند معارضتِهما، إنما أُتوا من جهلِهم بحُكمِ العقل ومقتضىٰ السمعِ، فظنوا ما ليس بمعقولٍ معقولاً، وهو في الحقيقةِ شبهاتٌ تُوهِمُ أنه عقلٌ صريح ـ وليست كذلك ـ، أو مِن جَهلِهم بالسمع:

إمَّا نسبتُهم إلىٰ الرسولِ ما لم يَقُلْه.

أو نِسبتُهم إليه ما لم يُرِدْه بقوله.

وإمَّا لعدمِ تفريقِهم بينَ ما لا يُدركُ بالعقول وبين ما تُدركُ استحالتُه بالعقول.

فهذه أربعةُ أمورٍ أَوجبت لهم ظنَّ التعارضِ بين السمعِ والعقل، واللَّهُ سبحانه حاجَّ عبادَه علىٰ ألسُنِ رُسُلِه فيما أراد تقريرَهم به وإلزامَهم إياه

بأقربِ الطُّرقِ إلى العقلِ وأسهلِها تناولاً وأقلِّها تكلفًا وأعظمِها غَناءً ونَفعًا، فحُجَجُه سبحانه العقليةُ التي في كتابه جَمعت بين كونِها عقليةً سمعيةً ظاهرةً واضحةً قليلةَ المقدِّمات»[1].

* ذِكرُ الحُجَجِ العقليَّةِ التي تضمَّنها القرآنُ الكريم والأمثلةِ عليها:

* المثال الأول: مثلُ قوله تعالى فيما حاجَّ به عبادَه من إقامةِ التوحيد وبطلانِ الشِّركِ وقَطْعِ أسبابِه وحَسْمِ موادِّه كلِّها: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

* المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

* المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

* المثال الرابع: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

* المثال الخامس: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ

---

(١) «مختصر الصواعق» (١/ ١٧٦ - ١٧٩).

عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، فطالَبَهم بالدليل العقلي والسمعي.

* المثال السادس: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

فاحتَجَّ علىٰ تفرُّدِه بالإلهية بتفرُّده بالخلق، وعلىٰ بطلانِ إلهيَّةِ ما سواه بعَجزِهم عن الخلق، وعلىٰ أنه واحدٌ بأنه قهَّار، والقهرُ التامُّ يستلزمُ الوحدةَ، فإن الشَّرِكةَ تُنافي تمامَ القَهرِ.

* المثال السابع: وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

* المثال الثامن: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

* المثال التاسع: قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾

[الطور: ٣٣ - ٣٤]. ثم أسجل عليهم إسجالاً عامًّا في كل زمانٍ ومكانٍ بعجزهم عن ذلك ولو تظاهرَ عليه الثَّقلانِ، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

* المثال العاشر: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨ - ٧٠].

* المثال الحادي عشر: قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

* المثال الثاني عشر: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

* المثال الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩].

* المثال الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

* المثال الخامس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

* المثال السادس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧].

* المثال السابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٧ - ١٨].

* المثال الثامن عشر: قوله تعالىٰ عن خليله إبراهيم: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢].

* المثال التاسع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* المثال العشرون: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

[الملك: ١٣ - ١٤].

* المثال الحادي والعشرون: قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾

[الطور: ٣٥ - ٣٦].

* المثال الثاني والعشرون: قوله تعالىٰ: ﴿..قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١].

* وبعدُ: يا حَبْرَ النصارى وبابا الفاتيكان:

ما تقولُ في هذه الأمثلة. . أما زالتَ مصرًّا علىٰ قولك في أن الإسلام يُنافي العقلَ؟! أم أن هذه الأمثلةَ والحُججَ العقليةَ الناصعةَ تحتاجُ إلىٰ مجلَّداتٍ لشرحها وبيانِ عِظَمِ وجَمالِ ما فيها؟!.

* هل يصحُّ لذي عقلٍ نسبتُكم القبائحَ إلى الأنبياءِ والمرسلين:

ووقفةٌ أخرىٰ - أيها القِزمُ الذميم -، هل يَصِحُّ في العقول - إن كانت لكم عقول - نسبتُكم القبائحَ إلىٰ الأنبياء والمرسلين وإيمانُكم بما في العهدِ الجديد والقديم من هذه الرذائلِ والقبائحِ التي تَشين؟! وأنتم تُصدِّقون التوراةَ المُغَيَّرةَ المحرَّفةَ الموجودةَ اليوم، بالإضافةِ إلىٰ ما في الإنجيل المُحرَّف.

□ فأنتم تؤمنون بهذه القبائحِ الموجودةِ في العهد القديم «التوراة»، ومنها:

ـ أن نبيَّ اللَّه «هارون» صَنَع عِجْلاً، وعَبَده مع بني إسرائيل.. [إصحاح (٣٢) عدد (١) من سفر الخروج].

ـ أن «إبراهيم» خليلَ الرحمن ﷺ قدَّم امرأتَه سارةَ إلى فرعون حتى ينالَ الخيرَ بسببها.. [إصحاح (١٢) عدد (١٤) من سفر التكوين].

ـ ومِن ذلك أنَّ «لوطا» عليه السلام شَرِبَ خمراً حتى سكِر، ثم قام على ابنتَيه فزنَى بهما الواحدةِ بعدَ الأخرى.. [سفر التكوين، إصحاح (١٩) عدد (٣٠)].

✍ ومعاذَ اللَّهِ أن يفعلَ نبيُّ اللَّه لوطٌ ﷺ ذلك.

ـ وأن «يعقوب» عليه الصلاة والسلام سَرَق مواشيَ من حميِّه، وخَرَج بأهله خِلْسةً دونَ أن يُعْلِمَه.. [سفر التكوين، إصحاح (٣١) عدد (١٧)].

ـ وأن «راوبين» زنى بزوجةِ أبيه يعقوب، وأن يعقوبَ عليه السلام، عَلِم بهذا الفعلِ القبيحِ وسكَت.. [سفر التكوين، إصحاح (٣٥) عدد (٣٢)].

ـ وأن «داود» عليه السلام زنى بزوجةِ رجلٍ من قُوَّادِ جيشه، ثم دبَّر حِيلةً لقتلِ الرجل، فقُتِل، وبعدئذٍ أخذ داودُ الزوجة، وضَمَّها إلى نسائه، فولدَت له سليمان.. [سفر صموئيل الثاني ـ إصحاح (١١) عدد (١)].

ـ وأن «سليمان» ارتدَّ في آخرِ عُمره، وعَبَد الأصنام، وبَنى لها المعابدَ.. [سفر الملوك الأول، إصحاح (١١) عدد (٥)][1].

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر سليمان الأشقر (ص١٠٥، ١٠٦، ١٠٧) ـ دار النفائس.

* وهذي مخازيكم في إنجيلكم المحرَّفِ التي لا يُقِرُّ بها من له أدنى مُسْكةٍ من عقل:

❑ وَرَد في إنجيل «متى» أن عيسى من نَسلِ سليمانَ بنِ داود، وأنَّ جَدَّهم «فارض» الذي هو من نَسلِ الزنى مِن يهوذا بن يعقوب.. [إصحاح متى الأول، عدد (١٠)].

❑ وفي إنجيل [يوحنا] إصحاح (٢) عدد (٤) أن يسوع أهان أُمَّه في وَسطِ جَمْعٍ من الناس.

❑ وأن يسوعَ شَهِد بأن جميعَ الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل هم سُرَّاقٌ ولصوص.. [إنجيل يوحنا، إصحاح (١٠) عدد (٨)][1].

* بابا الفاتيكان ـ واللهِ ـ ليس لك عقلٌ، وإلاَّ فأجبني أنت وقومُك:

أعُبَّادَ المسيحِ لنا سؤالٌ ... نُريدُ جوابَه مِمَّن وَعَاهُ!
إذا ماتَ الإلهُ بِصُنع قومٍ ... أماتوه، فما هذا الإلهُ؟
وهل أرضاهُ ما نالوه منه؟ ... فبُشراهم إذا نالُوا رضاهُ!
وإنْ سَخِط الذي فعلوهُ فيه ... فقُوَّتُهم إذًا أوهتْ قُواهُ!
وهَلْ بقي الوجودُ بلا إله ... سميعٍ يَستجيبُ لِمَنْ دعاهُ؟
وَهَلْ خلت الطِّبَاقُ السَّبْعُ لَمَّا ... ثوى تحت التراب، وقد علاهُ؟
وَهَلْ خَلَت العوالمُ من إلهٍ ... يُدبِّرُها وقد سُمِرت يداهُ؟
وكيف تَخَلَّتِ الأملاكُ عنه ... بنَصرِهمُ، وقد سَمِعوا بُكاهُ؟
وكيف أطاقت الخَشَباتُ حَمْلَ ... الإلهِ الحقِّ شُدَّ عَلَى قفاهُ؟

(١) نفس المصدر السابق.

وكيف دنا الحديدُ إليه حتَّى ... يُخالطَه، ويَلحقَه أذاه؟
وكيف تمكَّنتْ أَيْدي عِداهُ ... وطالتْ حيث قد صَفَعوا قفاهُ؟
وَهَلْ عاد المسيحُ إلى حياة ... أم المُحيي له ربٌّ سِواهُ؟
ويا عجبًا لقَبْر ضَمَّ رَبًّا ... وأعجبُ منه بطنٌ قد حواهُ!
أقامَ هناك تسعًا من شهور ... لدى الظُّلُمات من حَيْض غِذاهُ!
وشَقَّ الفَرجَ مولودًا صغيرًا ... ضعيفًا، فاتِحًا للثَّدْي فاهُ!
ويأكلُ ثم يشربُ، ثم يأتي ... بلازمِ ذاك، هلْ هذا إلهُ؟
تعالى اللهُ عن إفْك النَّصارَى ... سيُسأل كلُّهمْ عمَّا افتراهُ!
أَعُبَّادَ الصَّليبِ لأيِّ مَعْنىً ... يُعظَّمُ أوْ يُقبَّحُ مَن رماهُ؟
وَهَلْ تقضي العقولُ بغيرِ كسر ... وإحراق له، ولِمَنْ بَغاهُ؟
إذا رَكِب الإلهُ عليه كُرْهًا ... وقدْ شُدَّت لتسمير يداهُ!
فذاكَ المركَبُ الملعونُ حَقًّا ... فدُسْهُ، لا تبُسْه إذْ تراهُ
يُهانُ عليه ربُّ الخَلْق طُرًّا ... وتعبُدْه!! فإنك من عِداهُ!
فإنْ عَظَّمْته من أجلِ أن قدْ ... حوى ربَّ العباد، وقد علاهُ!
وقد فُقِد الصليبُ فإن رأينا ... له شكلاً تذكَّرْنا سناهُ!
فَهَلاَّ للقبور سجدت طرًّا ... لضَمِّ القبرِ ربَّك في حشاه؟
فيا عبد المسيح أَفِقْ فهذا ... بدايتُه، وهذا مُنْتهاهُ[1]

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٩٠-٢٩٢).

* **ووقفة أخيرة لنردّ على بابا الفاتيكان باطله:**

ردًّا على مزاعمك وكذبك وتطاولك على الإسلام، وادعائك أنه يُصادم العقل نقول:

١ ـ «إن هناك أمورًا هي مصلحةٌ للإنسان، لا يستطيعُ الإنسانُ إدراكَها بمجرَّد عقلِه، لأنها غيرُ داخلةٍ في مجالِ العقل ودائرته، «فمن أين للعقل معرفةُ اللَّه تعالى بأسمائه وصفاته..؟ ومن أين له معرفةُ تفاصيلِ شرعِهِ ودينه الذي شرَعه لعباده؟ ومن أين له معرفةُ تفاصيلِ محبته، ورضاه وسخطه، وكراهيته؟ ومن أين له معرفةُ تفاصيلِ ثوابِهِ وعقابه، وما أَعَدَّ لأوليائه، وما أَعَدَّ لأعدائه، ومقاديرِ الثواب والعقاب، وكيفيتهما، ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفةُ الغيب الذي لم يُظْهِرِ اللَّهُ عليه أحدًا من خلقه إلاَّ من ارتضاه من رُسُلِه.. إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل، وبلَّغته عن اللَّه، وليس في العقل طريقٌ إلى معرفته؟!»[1].

٢ ـ «إن الذي يُدرك العقلُ حُسنَه أو قُبحَه يُدْرِكُه على سبيل الإجمال، ولا يستطيع أن يُدرك تفاصيلَ ما جاء به الشرع، وإن أُدرِكتِ التفاصيل فهو إدراكٌ لبعض الجُزئِيَّات، وليس إدراكًا كُلِّيًا شاملاً: «فالعقل يُدرك حُسنَ العدل، وأمَّا كون هذا الفِعلِ المُعيَّن عَدْلاً أَوْ ظلْمًا، فهذا مما يَعجِزُ العقلُ عن إدراكه في كلِّ فِعْلٍ وعقد»[2].

٣ ـ «أن العقول قد تحارُ في الفِعل الواحد، فقد يكونُ الفِعْل مشتملاً

---

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢/ ١١٧).

(٢) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢/ ١١٧).

علىٰ مصلحةٍ ومفسدة، ولا تعلمُ العقولُ: مفسدتُه أرجحُ أو مصلحته؟ فيتوقف العقل في ذلك، فتأتي الشرائعُ ببيان ذلك، وتأمرُ براجح المصلحة، وتَنهىٰ عن راجح المفسدة، وكذلك الفعلُ يكونُ مصلحةً لشخصٍ، مفسدةً لغيره، والعقلُ لا يدرك ذلك، وتأتي الشرائعُ ببيانه، فتأمرُ به مَن هو مصلحةٌ له، وتَنهىٰ عنه من حيثُ هو مفسدةٌ في حقِّه، وكذلك الفعلُ يكونُ مفسدةً في الظاهر، وفي ضمنه مصلحةٌ عظيمة لا يَهتدي إليها العقلُ، فتجيءُ الشرائعُ ببيانِ ما في ضِمنهِ من المصلحةِ والمفسدةِ الراجحة»[1] .

وفي هذا يقولُ ابنُ تيمية: «الأنبياء جاؤوا بما تَعجزُ العقولُ عن معرفته، ولم يجيؤوا بما تعلمُ العقولُ بُطلانَه، فهُم يُخبرون بمُحاراتِ العقول، لا بمحالات العقولِ»[2] .

٤ ـ ما يتوصَّلُ إليه العقلُ ـ وإنْ كان صحيحًا ـ، فإنه ليس إلا فَرْضيَّات، قد تَجرِفُها الآراءُ المتناقضةُ، والمذاهبُ المُلحِدة.

ولو استطاعت البقاءَ فإنها ـ في غَيبةِ الوحي ـ ستكون تخميناتٍ شتَّىٰ، يلتبسُ فيها الحقُّ بالباطل[3] .

٥ ـ «البراهمةُ ـ وهم طائفةٌ من المجوس ـ زعموا أن إرسالَ الرُّسلِ عَبَثٌ، لا يليقُ بالحكيم؛ لإغناءِ العقل عن الرسل، لأن ما جاءت به الرسلُ، إن كان موافقًا للعقل حَسَنًا عنده، فهو يفعلُه ـ وإن لم يأتِ به ـ، وإن كان

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١١٧).

(٢) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢/ ٣١٢).

(٣) «الرسل والرسالات» للأشقر (ص٣٨).

مخالفًا قبيحًا، فإن احتاج إليه فعله، وإلاَّ تَرَكه»[١] .

ويكفي للردِّ علىٰ البراهمةِ أن نُوجِّهَ الأنظارَ إلىٰ ما قادتهم إليه عقولُهم التي زعموا أنهم يستغنون بها عن الوحي، ونذكرُ ما سَبق ذكرُه من قولِ زعيمٍ من زعمائهم في القرن العشرين - وهو المهاتما غاندي - يقول مُفاخراً: «عندما أرىٰ البقرةَ لا أجدُني أرىٰ حيوانًا؛ لأني أعبدُ البقرة، وسأُدافعُ عن عبادتها أمام العالم أجمع».

◻ ولقد قاده عقلُه إلىٰ تفضيلِ أُمِّه البقرةِ علىٰ أُمِّه التي ولدته: «وأمي البقرة تفضلُ أُمِّي الحقيقيةَ مِن عِدَّةٍ وُجوهٍ: فالأمُّ الحقيقةُ تُرضِعُنا مُدَّة عامٍ أوْ عامَيْن، وتَتطلَّبُ منَّا خَدَماتٍ طولَ العُمرِ نظيرَ هذا، ولكنَّ أمنَّا البقرةَ تمنحُنا اللبنَ دائمًا، ولا تطلبُ منَّا شيئًا مقابلَ ذلك سوىٰ الطعام العادي»[٢] .

◻ يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «وقد قَرأتُ منذ مُدَّةٍ في مجلة «العربي» التي تصدُر في الكويت عن معبدٍ فَخمٍ مَكْسُوٍّ بالرُّخامِ الأبيضِ تُرسَلُ إليه الهدايا والألطافُ من شتَّىٰ أنحاءِ الهند، بَقِيَ أن تعلَمَ أن الآلهةَ التي تُقدَّم لها القرابينُ وتُرسَلُ لها النذورُ في ذلك المعبَدِ الفخم إنما هي الفئران!!! هذه بعضُ الترَّهاتُ التي هَدَتهم إليها عقولُهم التي زعموا أنَّ فيها غُنيةً عن الوحي الإلهيِّ»[٣] .

٦ - ألاَ يَعلمُ البابا أنَّ فِعلَ العقلِ (تعقلون - يعقلون) وَرَد ذِكرُه في

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ٢٥٦).

(٢) «نظرات في النبوة» (٤/ ٣٢).

(٣) «الرسل والرسالات» (ص٣٩).

القرآن ٤٩ مرَّة، وفِعلُ «التفكُّر» وَرَد ذِكره في القرآن ١٧ مرَّة، ولفظُ «الألباب» - أي العقول - وَرَد ذِكرُه في القرآنِ ١٦ مرَّةً.

٧ - القرآنُ يُخاطِبُ العقولَ المتخصِّصة بحقائقَ عِلميةٍ لم تُعرف إلاَّ بعدَ نزولِ القرآن بأكثرَ مِن ألفِ عامٍ، جَعلت «موريس بوكاي» أستاذَ الجراحة الفرنسيَّ الشهيرَ يَخِرَّ ساجداً أمامَ عَظَمةِ القرآن ويُشهِرُ إسلامه، ويؤلِّفُ كتابَه الشهير «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»، وهو مترجَمٌ بعدَّة لغات، وجَعلت «كث ألمور الكندي» وهو من أشهرِ علماءِ الأَجِنَّة يَخِرُّ ساجداً ويَدخلُ الإسلام، ويُقدِّمُ برنامجًا في التلفزيون الكندي عن عِلمِ الأَجِنة في القرآن والسُّنة يؤكِّدُ فيه أن ما جاء في القرآن مِن وصفٍ لمراحلِ الجنين تتطابقُ مع ما اكتُشف حديثًا من حقائقَ في علمِ الأجِنَّة، ودراسةُ دستورِ القرآن العالمي جعلت الدكتور «مراد هوفمان» المتحدِّث الإعلاميَّ لمُنظَّمة حِلفِ شمال الأطلنطي يقولُ أمامَ أعضاءِ المنظَّمةِ: «إن الإسلام طَوْقُ النجاةِ للحضارةِ العالميةِ المهدَّدة»، ويُشهِرُ إسلامَه بعد أن دَرَس الإسلام فوجد فيه دستوراً عالميًّا يُحقِّقُ العدلَ والتوازنَ بين الإنسانِ ونفسِه، وبين الإنسانِ وأخيه الإنسان، وبين الإنسانِ والكونِ مِن حولِه. . والكثير والكثير.

٨ - يزعمُ كثيرٌ من الناسِ أنَّ الوحيَ يُلْغي العقلَ ويَطمِسُ نُورَه، ويُورِثُه البلادةَ والخُمولَ، وهذا زَعمٌ كاذبٌ، ليس له من الصحَّة نصيبٌ، فالوحيُ الإلهيُّ وجَّه العقولَ إلى النظرِ في الكَون والتدبُّرِ فيه، وحَثَّ الإنسان على استعمارِ هذه الأرضِ واستثمارِها، وفي مجالِ العلوم المنزَّلةِ من اللَّه وظيفةُ العقل أنَ ينظر فيها؛ ليستوثِقَ من صحة نسبتها إلى اللَّه تعالى، فإنْ تَبيَّن له

صِحَّةُ ذلك فعليه أن يَستوعبَ وحيُ اللَّهِ إليه، ويستخدمَ العقلَ الذي وَهَبه اللَّهُ إيَّاه في فهمٍ وتدبُّرِ الوحي.

والوحيُ مع العقلِ كنُورِ الشمسِ أو الضوءِ مع العين، فإذا حُجِب الوحيُ عن العقلِ لم يَنتفعِ الإنسانُ بعَقلِه، كما أن المُبْصِرَ لا ينتفعُ بعَينه إذا عاش في ظُلمةٍ، فإذا أشرقَت الشمس، وانتَشر ضوؤُها انتَفع بناظِرَيْه، وكذلك أصحابُ العقول إذا أشرقَ الوحيُ على عُقولِهم وقلوبِهم أبصرت واهتَدت ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦][1] أ. هـ.

٩ - يقول الدكتور عبدالحليم محمود في كتابه «الإسلام والعقل» عن «خلفاء إبليس»: «وإنَّ مِن أحدثِ اختراعاتِ إبليسَ في هذا الزمنِ الحاضرِ إنما هو المذهبُ المسمَّى بالوجودية: وهو مذهبٌ يدعو كلَّ إنسانٍ لأن يُحقِّقَ وجودَه حسبما يَرى وتبعًا لما يريد، غيرَ متقيِّدٍ بعُرفٍ، ولا عاداتٍ، ولا تقاليدَ، ولا دِينٍ، ولا أوضاعٍ أيًّا كانت، وهو إذن يَهدِمُ نفسَه بنفسِه، لأنه لا يقومُ على أُسسٍ ثابتةٍ، ولا ينتهي إلى مبادئَ حقيقيةٍ، وأحسنُ تشبيهٍ للوجوديِّ هو ما قاله أحدُ كِبارِ الكتاب الغربيين: «إن الوجوديَّ مَثَلُه كَمَثَلِ الكلب الذي يَجري دائرًا حولَ نفسِه ليُمسكَ بذَنَبِه، فلا هو يُدرِكُ ذَنَبَه ولا هو يقفُ عن الجَريِ، وهي لُعبةٌ يلعبُها الكلاب، حينما يجدون الفراغَ فيَلهَون بما لا نتيجةَ له».

على أن هذا المذهبَ الوجوديَّ قديمٌ، إذ إنه المذهبُ السوفسطائيُّ

(١) «الرسل والرسالات» (ص٤٠ - ٤١).

اليوناني، وهو مذهبٌ يَظهرُ دائمًا في عصور الانحلال، وفي البيئاتِ المُنحلَّة، ولا وجودَ له في عصورِ الجِدِّ، ولا في البيئاتِ الجادة، ذلك أن المجتمعاتِ الناهضةَ الجادةَ، لا تُبيحُ لأفرادِها أن يَتشبَّهوا بالكلاب ـ حينما تلهُو الكلاب ـ في الجَري وراءَ أذنابِها ليُمسِكوا بها .

فالوجوديةُ إذن اختراعُ إبليس، لإخراجِ طائفةٍ من البشرِ عن نطاقِ السجود للَّه، إلىٰ نطاقِ السجود للأهواء .

□ خلفاءُ إبليس ثانيًا هم : طائفةُ الفلاسفةِ العقليين الإلهيين .

ذلك أن الفلسفةَ العقليةَ ـ مهما حاولَ المتفلسفون تزييفَ أهدافِها وتزيينَ غاياتها ـ : ليست إلاَّ محاولةَ تحكيمِ العقل فيما أتىٰ به الوحيُ .

وهي ـ من غيرِ ما رَيبٍ ـ تريدُ أن تَخترعَ عقليًّا ما فَرَغ منه الوحيُ في قضاياه ومبادئه، إنها تريدُ ابتداعَ دينٍ عقليٍّ بجوارِ الدينِ الإلهي، وهذا الدينُ العقليُّ يختلفُ من فيسلوفٍ إلىٰ آخر، وهو مِن أجلِ ذلك : يختلفُ في هذه القضيةِ أو تلك مع الدين الإلهيِّ .

فإذا كانت البيئةُ متشبِّعةً بالدين الإلهيِّ، يَغمُرُ قلبَها الإيمانُ، وتَغمُرُ وِجدانَها الهداية، حاوَلَ المتفلسفون ـ في طريقةٍ إبليسية ـ أن يُوفِّقوا بين الدينِ والفلسفة .

ومعنىٰ هذا : أنهم يَجعلون موقفَ اختراعاتِهم العقليةِ بالنسبة للدين، موقفَ الندِّ للند، فيحاوِلون التوفيق، فيُخطِئُهم التوفيق فيما يأتون وما يَدَعُون، ذلك أنهم ـ قلوبُهم وأفئدتُهم ـ هواءٌ .

وإذا كان الاتفاقُ بينهم لم يَتمَّ، فإن التوفيقَ بين أهوائِهم وظنونِهم،

وشكوكِهم وأوهامِهم، وبين الوحيِ والعِصمة، واليقينِ والهداية، إنما هو عملٌ لا يَسيرُ في رِكابه إلاَّ أتباعُ إبليس.

والفلاسفةُ إذن لم يَسجدوا للَّه.

◻ أما الطائفةُ الثالثة التي لم تَسجد للَّه إلاَّ شكلاً، فإنها طائفةُ المعتزلة من علماءِ الكلام، إنهم لم يَسجدوا للَّه سجودَ خضوعٍ وإذعان، ومذهبُهم قائمٌ على تحكيمِ العقلِ في الدين، ووَصَل بهم الأمرُ إلى أنهم يُوجِبون على اللَّهِ بعضَ الأعمالِ، سبحانه وتعالى، ويُحرِّمون عليه إتيانَ بعضِها سبحانه وتعالى، فوضعوا أنفسَهم بعَمَلهم هذا موضعَ المشرِّعين للَّه سبحانه، يُلزمونه سَلْبًا، ويلزمونه إيجابًا، وزَيَّن لهم الشيطانُ أعمالَهم، وصَدَق فيهم قولُ اللَّه تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [فاطر: ٨].

ثم إنَّهم خاضوا فيما نَصَح الدينُ بعَدَمِ الخَوضِ فيه، كالذات الإلهية، والصفات، وكالقَدَر، وكان لابدَّ - وقد اتبعوا أهواءَهم - أن يختلفوا ويتفرَّقوا وتذهبَ بهم الأهواءُ كلَّ مذهب، فكانوا فِرَقًا وأحزابًا شتَّى، لا تكادُ تدخلُ تحتَ حَصر.

وكلُّ مَن نَهَج النَّهجَ العقليَّ في الدين، في العصرِ الحاضر، إنما هو تابعٌ من أتباعِ المعتزلة، ولا مَناصَ من الإقرارِ بأن مدرسةَ الشيخ محمد عبده، إنما هي مدرسةٌ اعتزالية في مبادئِها وأصولها، وهي مدرسةٌ اعتزالية في غاياتِها وأهدافِها، ذلك أنها تضعُ قضايا الدين في ميزانِ عقلِها، فتَنفي

وتُثبت حسبما تقتضيه الأهواءُ والنزعات.

والمدرسةُ العقليةُ في الدين ـ أيًّا كانت، وفي أيِّ مكانٍ وُجدت، وفي أي زمانٍ نشأت ـ لم تَسجدْ للَّه سجودَ خضوعٍ وإذعان، وإنما سَجدت للعقل، وعَبَدت العقلَ، فتفرَّقت إلىٰ ما لا يكادُ يُحصىٰ من الفِرَق، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

وسبيلُ المؤمنين إنما هو السجودُ للَّه وحده، وذلك أيضًا سبيلُ الراسخين في العلم، إذ الراسخون في العلم هم دائمًا مؤمنون ساجدون لأمرِ اللَّه، وإليهم تُشيرُ الآية الكريمة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ومن البديهيِّ أن المؤمنَ الحقيقيَّ هو وإبليسُ علىٰ طَرَفَي نقيضٍ، ويَرسُمُ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ صورةَ المؤمنِ، فيُبيِّنُ تعارضَها مع كلِّ الصورِ الإبليسيةِ علىٰ تفرُّقها واختلافِها، ويُبيِّنُ جزاءَ المؤمنين عنده فيقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٧]»[1] اهـ.

---

(١) «الإسلام والعقل» (ص٣٨ ـ ٤٠).

١٠ـ رَحِم اللَّهُ الشافعيَّ القائل: «ما جَهِل الناسُ ولا اختلفوا إلاَّ لِتَرْكِهِم لسانَ العرب ومَيلِهم إلىٰ لسان أرسطو».

اختلف فلاسفةُ اليونـان «انكسـيمندر» عن «طاليس»، واختَلف «هرقليط» عنهما، ووَصَل الأمرُ إلىٰ أرسطو الذي اخترع المنطقَ ليعصمَ الذهنَ عن الانحراف والضلال، فلاحَظَ عليه تلاميذُه وأبناءُ مدرستِه ومناصِروه أخطاءً لا حَصرَ لها، إنهم مع ما لهم من باعٍ واسعٍ في عِلمِ الفلسفة، كانوا أعجزَ من أن يُمكنهم الدّفاعُ عن المعلِّم الأول.

وعَجَزت آلةُ عِصمةِ الذهن عن عِصمةِ ذهنِ مختَرِعها، وعن عصمةِ ذهنِ أتباعه، ولكنَّ المعترِضين علىٰ أرسطو لم يُقِرَّ أحدٌ من كِبارِ الفلاسفة لهم بالصواب المُطلَق، وإنما كانت آراؤهم هي الأخرىٰ مَثارَ جَدَلٍ واعتراضٍ وتجريحٍ ونقضٍ، وجاء الكِنْدي، والفارابي، وابن سينا، كلما جاءت أُمَّةٌ لعنت أختها.

وكَشَف الزمنُ عن أن عالَمَ الغَيبِ إنما هو حِجْرٌ محجور بالنسبة للعقلِ البشري، فلن يتأَتَّىٰ ـ بوضعِه البشريِّ ـ أن يَطَأَ حِماه، ولا أنْ يَلِجَ بابه، وتَقدَّس عالَمُ الغَيبِ عن أن يُمسِكَ بمفتاحِه، أو يَكشِفَ عن مساتيره إلاَّ مَن أَذِنَ له اللَّهُ من نبيٍّ مُكرَّمٍ، أو من رسولٍ مأذون.

❑ وللَّه درُّ الشافعيِّ إذ يقول: «رأيي في علماءِ الكلام أن يُضربَوا بالجريدِ والنِّعال، وأن يُطوَّفَ بهم في العشائرِ والأمصار، ويُقال: هذا جزاءُ مَن تَرَكَ الكتابَ والسُّنَّةَ وأقبلَ علىٰ عِلمِ الكلام».

وما أحلىٰ سجودَ العقلِ للَّه خالقه!.

أفهمتَ ـ وما إخالُك تَفهمُ ـ يا حَبْرَ النصارىٰ . . ويا رأس الفاتيكان . . يا عارَ البشرية . . ويا صورةَ الحِقدِ الصليبيِّ في أنتنِ شكلٍ . . وأوقحِ عبارةٍ . . وأرذَلِ هيئةٍ . . وأقبحِ لسانٍ؟! . . إبليسيٌّ فاق إبليس . . تَعجَّبَ إبليسُ مِن كُفره ووقاحتِه وإجرامِه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

*** إنهم لا يعتذرون!:**

عندما أساء البابا «بنديكت السادس عشر» مؤخَّرًا للعالم الإسلاميِّ أجمعَ بإهانتِه لرسولِ اللَّه ﷺ طالَبه الجميعُ بالاعتذار، حتىٰ بعضُ وسائلِ الإعلامِ الغربية التي لم يُعرَف عنها التعاطفُ مع الإسلام طالَبته بالاعتذار.

❑ لقد كتبت صحيفة «نيويورك تايمز» في افتتاحية عدد يوم السبت (١٦ من سبتمبر ٢٠٠٦م) مطالبةً البابا باعتذارٍ وَصَفَتْه بأنه يجبُ أن يكونَ «عميقًا ومقنعًا»، وعقَّبت قائلةً في نفسِ الافتتاحية: «إن العالَمَ يستمعُ باهتمامٍ لكلمات أيِّ بابا . . وإنه من الخطيرِ والمؤلمِ أن يَنشُرَ أحدٌ ما الألَمَ سواءٌ عامدًا أو غيرَ مكترثٍ . . إن البابا بحاجةٍ إلىٰ أن يُقدِّم اعتذارًا عميقًا ومقنعًا ليبيِّنَ أن الكلماتِ يُمكنُ أيضًا أن تَشفي الجراح» . . فهل اعتذر البابا؟.

❑ نقلت قناة (BCC) عبرَ موقعِها الإلكترونيِّ البيانَ الذي أصدره البابا «بنديكت السادس عشر»، والذي يقولُ فيه ـ بالحرف الواحد ـ: «إن البابا المقدَّس «آسِفٌ جدًّا» أنَّ بعضَ فقراتِ خطابِه قد بَدَت وكأنها تهاجمُ مشاعرَ المسلمين»، وأعقَبَ قائلاً: «إنه يحترمُ الإسلام، ويأملُ أن يتفهَّم المسلمون المعنىٰ الحقيقيَّ لكلماته».

لم يَعتذِرِ البابا، وإنما اتَّهَمَنا نحن بقِلَّةِ الفَهمِ، بل ويطالبُنا أن نَقبَلَ ما قال، وذَكَر أنه يَحترمَ الإسلام، ولكنه في المقابل لم يذكرْ نبيَّ الإسلام، أو يَعتذرْ عما قاله في حقِّه ﷺ، بل تعمَّد تجاهُلَ إهانتِه للنبي بكلماتِه الجارحةِ علىٰ مَسمعٍ من العالم أجمعَ، فأين هو الاعتذار؟!.

إن البابا يقول إنه «آسف جدًّا» أن عباراته بَدَت وكأنها هجومية، ولكنه لم يَعتذرْ عن هذه العبارات، أو يَشرحْ لنا كيف يمكنُ ألاَّ تكون هجوميةً.. هو فقط «آسف جدًّا» لِمَا حَدَث.. فأين الاعتذار؟! ومَن قال: إننا - في هذا المقام - نهتمُّ لمشاعره، أو نُعيرُها أدنىٰ اهتمام؟ إن البابا يستخدم حِيَلَ الإعلام المعروفة في التهرُّبِ من مواجهةِ النفس، أو مواجهةِ مَن أساء إليهم بطُرقٍ إعلاميةٍ ملتويةٍ وعباراتٍ فَضفاضةٍ، ولا يَليقُ برجلِ دينٍ في مكانتِه وقَدْرِه لمن يَعتنِقون دينَه أن يفعلَ ذلك، إنْ كان قد أخطأَ في وصفِ نبيِّ الأمة الإسلامية بأنه لا يأتِ إلاَّ بالشرِّ، فلماذا لم يَعتذِرْ عن ذلك بوضوح؟ إنه يعالِجُ الإهانةَ الأولىٰ التي جَرحت كرامةَ كلِّ مسلمٍ بإهانةٍ ثانيةٍ تَفترضُ في كلِّ المسلمين الغباءَ أيضًا!.

إنَّ هذا الأمرَ متكرِّرٌ في المواقفِ الغربيةِ تُجاهَ العالَم الإسلامي، فبعد أزمةِ الرسوم المسيئة عن نبيِّ الإسلام، ومطالَبةِ الجميعِ لرئيس الوزراء الدانمركي بالاعتذارِ باسم الحكومة الدانمركية علىٰ الإصرار علىٰ تصعيد الأزمة، حاوَرَ رئيسُ تحرير صحيفة «الأهرام ويكلي Al Ahram weekly» المصرية التي تَصدرُ باللغة الإنجليزية رئيسَ الوزراء الدانمركي، وحثَّه علىٰ الاعتذارِ لإنهاء الأزمة، فما كان من رئيسِ الوزراء إلا أن رد قائلاً: «يُسعدني

أن أقدم هذا التصريحَ بشكلٍ مكتوبٍ إلىٰ قُرائكم، ولكنك تدرك بلا شكٍّ أنه لا الحكومةُ ولا شعبُ الدانمرك يمكنُ اعتبارُهم مسؤولين عما تمَّ نشرُه»[1].

* **وعاب عليه بنو جلدته:**

أنكرت أكثرُ الصحفِ الأوربيَّة كلامَ البابا، وانتقدوه وعابوا عليه:

◻ «ففي هولندا رأت صحيفة «دي فولكسكرانت» أن ما فَعله البابا ليس سوىٰ نوعٍ من الاستفزاز لمشاعرِ المسلمين، ولا يمكنه سوىٰ أن يَلومَ نفَسه وحدَها بشكلٍ أساسي».

◻ وكَتَبت صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية تقول: «إنَّ هذا البابا البالغَ من العمر ٧٨ عامًا يرتكبُ هفواتٍ متتاليةً منذ تعيينه، وستُشكِّلُ لدينا في نهايةِ المطاف قناعةٌ بأنها ليست عَرَضِيَّةً، بل تكشفُ عن فِكرِه الدَّفين».

◻ بل إن رئيسَ وكالةِ الأنباءِ الكاثوليكية: «رنج إيفل» نفسَه قد انتقد البابا بحدَّةٍ معارِضًا تصريحاتِه، ومتنصِّلاً عنها قائلاً: «إن البابا أراد هنا ارتداءَ ثوبِ البروفيسور، واعتقد أنه يستطيعُ أن يتجرَّد من منصبِ البابا ولو لمدةِ نصفِ ساعة. . وهذا لم يكن سِوىٰ سذاجةٍ سياسية».

◻ بينما وَجَّهت صحيفة «لاريبوبليكا» التي تصدر في روما انتقاداتٍ حادةً للبابا الحالي بسببِ خطئِه في تصريحاتِه التي أَجْبَرَتْه علىٰ التراجع ليكونَ أولَ بابا في التاريخ يحاولُ التراجعَ بهذا الشكلِ عن شيءٍ قاله، مؤكِّدةً أنَّ ردَّ الفعلِ السريعَ والواضحَ للفاتيكان وتراجعَه لتفادِي تداعياتِ

---

(١) «لماذا يكرهونه ـ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ» للدكتور باسم خفاجي (ص٢٢ ـ ٢٤) كتاب البيان.

الأزمةِ سببُه أيضًا الانتقاداتُ الحادةُ التي تلقَّاها من الفاتيكان نفسِه بعد أنِ انتَهت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ إلىٰ أن «بنديكت» قد اقتَرَف هنا خطأً واضحًا لا يُمكن إنكارُه».

- وقال المؤرِّخ الديني الفرنسي «أودون فاليت» لوكالة الأنباء الفرنسية بأن البابا الحالي أكثرُ قُربًا للولاياتِ المتحدة من البابا السابق الذي عارَضَ غزوَ العراق وأفغانستان، حيث إنه لم يَقُمْ منذ تولِّيه بأيٍّ إدانةٍ للسياسةِ الخارجيةِ الأمريكية.

- وقال «فاليت»: «لا شك أنه يوجدُ بُعْدٌ سياسيٌّ في تصريحاتِ البابا، حتىٰ وإن تخفَّت وراءَ فكرٍ لاهوتيٍّ واضحٍ»[1].

*** إيه يا بنديكت بابا الفاتيكان:**

سيجيئُكَ صوتُ أبي بكرٍ
ويَصيحُ بخالد
قمْ واقطعْ رأسَ الشيطانْ
فمحمَّدُ باقٍ
ما بَقيت دنيا الرحمن
وسيعلو صوتُ اللَّهِ
ولو كرهوا
في كُلِّ زمانٍ
ومكانْ

---

(١) «جريدة الأسبوع» العدد (٤٩٧) (ص٧) ـ ٩ من رمضان ١٩٢٧هـ ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

مقالاتٌ في الدِّفاعِ عن الإسلام والردِّ على بابا الفاتيكان

* «لا لاعتذارِ البابا»:

▣ قال عُلوي بن عبدالقادر السَّقَّاف: «لم تكنْ مصادفةً أن يُعلنَ رئيسُ دولةِ الصليب أن الحربَ في العراق حربٌ صليبية، ثم يُهانُ المصحفُ في سُجونه في العراق وجوانتنامو، ثم يُساءُ إلىٰ الإسلام ونبيِّ الإسلام في رسومٍ كاريكاتيرية في أكثرَ من صحيفةٍ غربية، ثم يُتَّهمُ الإسلام بالفاشية، وأخيراً يُساءُ إلىٰ نبيِّ الإسلام ـ عليه أفضلُ الصلاة والسلام ـ علىٰ لسانِ أكبرِ زعيمٍ للنصارىٰ ـ بابا الفاتيكان ـ، لم يكن ذلك كلُّه مصادفةً ولا مستغرَبًا عنهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ولم يكن مُستغربًا أن يَغضبَ المسلمون لنبيِّهم ﷺ، بل هذا هو الواجبُ عليهم، لكنَّ المستغرَبَ هو هذه الضَّجةُ الإعلاميةُ التي انخَدع بها الكثيرون وصاروا يُطالبونه بالاعتذار، ممَّا كان سببًا في إعلاءِ شأنه، ولو أنهم تَركوه لحقارته لما عَبَأَ به أحد، فما كان منه إلاَّ أنِ اتَّهمهم مرةً بالغباء وأنهم لم يَفقَهوا قَولَه! ومرةً بأسفِهِ علىٰ الألم الذي سبَّبته تعليقاتُه، وها نحن ـ المسلمين ـ صباحَ مساءَ نذُمُّهم ونَذُمُّ دينَهم المحرَّفَ، ونَصِمُهم بالضلال يوميًّا في صلاتنا وخارجَها، ولم يُلقوا لنا بالاً، ولم يطلبوا منا أن نعتذر، ولو أن أكبرَ علماءِ المسلمين قال: «إنَّ النصارىٰ كفار، وإنَّ دينَهم محرَّف، وليس هو الدينَ الذي أتىٰ به عيسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ»، أتُراهم سيأبهون به ويطالبونه بالاعتذار؟! أجزمُ أن عقلاءَهم أعقل من عقلانيِّينا الذين طاروا في العجَّة ـ كما تقول العامة ـ، ولن يطالبوه بالاعتذار؛ لأنَّ ذلك يُعلِي من شأنه، ثمَّ ماذا لو قال لنا البابا: «أنا علىٰ استعداد أن أعتذر عن إساءتي لكم، لكن

بشرطِ أن تعتذروا أنتم أيضًا عن إساءتكم لنا بوَصمِنا بالكفر والضلال في كتابكم وعلىٰ ألسنةِ علمائكم»؟!.. أكنَّا فاعلين؟!.

ومرةً أخرىٰ أقول: إنَّ غَضبَ المسلمين أمرٌ واجبٌ عليهم، وغيرُ مستغرَبٍ، لكنَّ المستغربَ أن يطالِبَ بذلك مَن يستنكرون اليومَ عليه، وغدًا يجلسون معه علىٰ طاولةِ الحِوارِ لتقريبِ الأديان، هؤلاء هم الذين جَرَّؤوه!.

- جرَّأه الذين لا يُكفِّرونهم، ويزعمون أنهم أهلُ كتابٍ مؤمنون، واللَّهُ كفَّرهم مِن فوق سبع سماوات: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾.

- جَرَّأه مَن عدَّ النصارىٰ إخوانًا لنا في الإنسانية، في حين يَتَّهِمُ باباهم نبيَّنا - عليه أفضل الصلاة والسلام - باللاإنسانية.

- جرَّأة مَن أبلىٰ بلاءً سيئًا في رَفعِ المقاطعةِ عن دولةِ الدانمرك التي سَبَقَتْه في الإساءة إلىٰ النبيِّ ﷺ، وليس ببعيدٍ أن يأتيَ مَن يَقبلُ اعتذارَه الأخيرَ كما قَبِل البعضُ اعتذارَ الصحيفةِ الآثمةِ صاحبةِ الكاريكاتير.

- جرَّأه الذين ما زالوا يَدْعُون إلىٰ التسامحِ والتعايُشِ والحِوارِ مع الآخَرِ، والآخرُ هذا يَشتُمُهم ويَشتُمُ نبيَّهم ﷺ.

هذا وغيرُه هو الذي جرَّأ هذا الكافرَ وأمثالَه علىٰ الإساءةِ للإسلام ونبيِّ الإسلام ﷺ.

وإنَّ مِن المزالِقِ الخطيرةِ التي وَقع فيها بعضُ الذين طالَبوا البابا بالاعتذار ونُشرت في وسائل الإعلام: قبولَ بَعضِهم اعتذارَه الممجوجَ، ونَسي هؤلاء - وربَّما جَهِلوا - أنه لو اعتذر بأصرحِ عبارةٍ ممكنٍ أن يعتذرَ منها مخطيءٌ، لما قُبل اعتذارُه؛ لأنَّ هذا حقٌّ للنبي ﷺ - ليس لأحدٍ غيره -،

أرأيتَ لو أنَّ رجلاً شَتَم جارَك، ثم جاء ليعتذرَ إليك، هل من حقِّك أن تقبلَ عُذرَه؟ أم تقول له: هذا جاري دونَك، فاعتذِرْ منه؟ فحقُّ رسولِ اللَّه ﷺ أجلُّ وأعظم.

ومِن هذه المزالق دعوىٰ بعضِهم أن الجهادَ في الإسلام للدفاعِ عن النفس، لِيدفعَ تهمةَ انتشارِ الإسلام بالسيف، ونَسِي أن التاريخَ الإسلاميَّ مَلِيءٌ بالفتوحات الإسلامية.

فهؤلاء وأولئك هم الذين جرَّؤه، وسيُجَرِّؤن غيرَه علىٰ الإساءةِ للإسلام ونبيِّ الإسلام.

❑ ولهؤلاء أقول: إنْ كان الدفاعُ عن النبي ﷺ يتطلَّبُ منكم كلَّ ذلك، فلا حاجة إليه، واللَّهُ حافظٌ دينَه وكافٍ نبيَّه ﷺ، ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾». اهـ.

* «**لا تُطالبوا البابا بالاعتذار**»:

❑ قال د. محمد بن إبراهيم السعيدي، رئيس قسمِ الدرسات الإسلامية بكليَّة المعلِّمين بمكةَ: «ضَجَّ العالَمُ الإسلاميُّ ـ كما ينبغي له ـ جَرَّاءَ افتراءاتِ البابا من حينِ تَلقَّتها عنه وسائلُ الإعلام، ووقَف المفكِّرون الإسلاميون ـ كما ينبغي لهم أن يَقفِوا ـ حيالَ مِثلِ هذه الافتراءات، وأدَّت الحكوماتُ الإسلاميةُ بعضَ ما ينبغي عليها في مِثلِ هذه المواقف.

إلاَّ أننا وجدنا أبرزَ ما طُولبِ به رأسُ الكنيسة الكاثوليكية من أكثرِ القياداتِ الفكريةِ في العالَم الإسلامي وأكبرِها: أن يَعتذرَ عمَّا بَدَرَ منه، ولكنَّ أحداً لم يقل: كيف يريدُ من البابا أن يعتذر؟.

هل يكفي أن يأسفَ علىٰ إساءتِه لمشاعرِ المسلمين؟ .

إن كان كذلك، فلا يُسمَّىٰ هذا اعتذاراً، لا لغةً ولا اصطلاحًا، بدليل أن المسلمين لم يَقبَلوا مِثلَ هذه الصيغةِ من دولةِ الدانمرك .

أم عليه أن يُقِرَّ بخطئه، ويُصرِّحَ بأنَّ ما قاله، أو نَقَلَه في حقِّ النبي ﷺ غيرُ صحيح؟ .

إنْ كان هذا هو المراد، فقد كلَّفناه ما لا يستطيعُ عوامُّ النصارىٰ أن يقوموا به، فكيف برئيسِ كُهَّانِ العالم؟ .

وكيف نُطالِبُه بهذا الاعتذار، ونحن نعلمُ أن دينَ النصارىٰ لا يتمُّ إلاَّ مع الإيمانِ بما هو أعظمُ مما قاله البابا، وهو أن محمداً ﷺ كاذبٌ، وحاشاه ذلك ـ فداه أبي وأمي ـ.

كما أن مطالَبته بالاعتذارِ تعني أننا علىٰ استعدادٍ أن نَعتذرَ إذا قلنا في دينِ النصارىٰ بمِثلِ ما قاله البابا في الإسلام! .

ولْنَتصورْ أن يطالِبَ النصارىٰ أئمةَ الحَرَمِ المكيِّ بالاعتذار إذا قرؤوا سورةَ الفاتحة في صلاتِهم التي تُنقَلُ عَبرَ وسائلِ الإعلام إلىٰ جميعِ أنحاء العالم .

لِنتصورْ أن يطالِبَنا النصارىٰ بحَذفِ الآياتِ المسيئةِ للديانةِ النصرانيةِ من القرآن الكريم الذي تُوزَّعُ طبعاتُه وترجماتُه من المملكةِ العربيةِ السعودية إلىٰ جميعِ أنحاء العالم، ومِن بينها بالطبع دولُ النصارىٰ، أو علىٰ الأقل أن نحذفَ تلك الآياتِ من الطبعاتِ التي تُوزَّعُ في أوروبا . . هل نتصور ذلك؟ ! .

* أليس في القرآن الكريم تَسفيهٌ وتكذيبٌ لِمَا عليه جميعُ النصارىٰ في العالَم من الإيمانِ بألوهيةِ عيسىٰ ـ عليه وعلىٰ نبينا أفضلُ الصلاة والسلام ـ؟ قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾

[مريم: ٨٨ ـ ٩٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديثِ التي تتحدثُ عن عقيدة النصارىٰ بوصفِها عقيدةً مفتراةً، ووَصْفِ أهلِها بالكفر، وتوعُّدِهم بالنار، فهل بوُسعِنا أن نستجيبَ لأيِّ مُطالَبةٍ لنا بالاعتذار حين نقولُ هذا القولَ الذي لا نَرىٰ لِمَن يخالفُه حظًّا من الإسلام؟!.

إنني ـ وكلَّ مسلمٍ غَيُورٍ محبٍّ للّه ورسوله ـ نفرحُ بهذه الانتفاضةِ الإسلاميةِ التي تَجتاحُ العالَمَ الإسلاميَّ كلَّما أُسيءَ إلىٰ الإسلام ونبيِّه الكريم، وتتجاوبُ معها الحكوماتُ بشكلٍ إيجابيٍّ ـ وللّه الحمد والمِنَّة ـ،

ولكنني أدعو إلىٰ تجنُّبِ التورُّط بالمطالبة بالاعتذارِ لأمرين:

أحدهما: أن هذا لا يمكنُ أن يكونَ، وإذا أردتَ أن تُطاعَ فاطلُبْ ما يُستطاع، وإذا أردتَ أن يذهبَ جَهدُكَ عبثًا، فاطلب ما لا يُستطاع.

الأمر الآخر: أن المطالبةَ بالاعتذار حُفرةٌ خَطِرةٌ، نأملُ من مفكِّرينا تجنُّبها؛ لأنها تؤدِّي حتمًا إلىٰ تسويغِ مطالبتِهم إيانا بمثلِ ذلك إذا قلنا عن النصارىٰ: «إنهم مشركون، وإن ما يؤمنون به هو ديانةٌ محرفةٌ أنتجها لهم «بولس» الذي يتربَّعُ البابا علىٰ كرسيه، ونحن نعتقد أنه ـ أي: بولس ـ كذَّابٌ أَشِر!!».

والمعلومُ أن الدعوةَ إلىٰ الإسلام بين النصارىٰ لا يمكنُ أن تتمَّ إلاَّ بمناقشةِ تلك الأمورِ التي يُعِدُّها النصارىٰ من مسلَّماتهم، ونُعِدُّها نحن من مكذوباتهم.

هل يَسُرُّ أحدًا من هؤلاء الذين يُطالبون البابا بالاعتذار أن تقومَ حكوماتُ الدُّولِ النصرانية بمَنعِ المسلمين في مساجدهم من قِراءةِ الفاتحة وسورةِ الإخلاص، بحُجَّةِ أنها تسيءُ إلىٰ مشاعرِ المسيحيين؟!.

وأكثرُ ما ساءني وآلَمَني في هذه الحَملةِ ضد البابا: وقوعُ عددٍ من علماءِ المسلمين في مأزقٍ خطيرٍ، حين أصدروا بيانًا ذَكروا فيه أن الجهادَ في الإسلام إنما شُرِع للدفاع عن النفس!!.

وهذا إنْ دلَّ علىٰ شيءٍ فإنما يدلُّ علىٰ نجاحِ هذه الحَمْلة، ولكنْ لصالحِ البابا وأعداءِ الإسلام الذين اضْطَرُّوا علماءَ المسلمين إلىٰ الوقوفِ موقفًا انهراميًّا أدَّىٰ بهم إلىٰ الافتراءِ علىٰ الإسلامِ بأعظمَ مِن فِريةِ البابا عليه،

وذلك بإنكارِهم مشروعيةَ «جهادِ الطلب»، الأمرُ الذي يَلزمُ منه القولُ بأن جميعَ الفتوحاتِ الإسلاميةِ كانت حروبًا غيرَ شرعية، واستعمارًا إمبراطوريًّا لا علاقةَ له بالإسلام؛ لأنَّه لم يكنْ بحالٍ من الأحوال ـ دفاعًا عن النفس، وهذا القولُ هو عينُ قولِ البابا، بل هو قولٌ أخطرُ مِن قول البابا بصفةِ أن قائلَه مجموعةٌ من علماء المسلمين.

وأخيرًا أدعو مفكِّرينا إلى أن يكونوا موجِّهين لِمثلِ هذه الانتفاضات الشَّعبية، ومؤثِّرين فيها، لا أن يكونوا ـ كما عليه كثيرٌ منهم الآن ـ متأثِّرين ومُنساقين، وينحصرُ دورُهم في الإعلانِ عن هذه المشاعرِ دون توجيهها»[1].

* «وإذا لم يَعتَذِرِ البابا.. فكان ماذا؟»:

□ قال د. لطف الله بن ملا عبدالعظيم خوجه: «سؤالٌ مشروع.. لَمَّا صَدَرَ عن البابا اتهامُ المسلمين والإسلام بأنه «شريرٌ، وغيرُ إنساني، وغيرُ عقلاني»، طالَبه جَمعٌ كبيرٌ من الشخصياتِ والمنظماتِ الإسلامية بالاعتذار العَلَنيِّ الصريح، وأَلَحُّوا في ذلك جدًّا، وأكَّدوا، وأصرُّوا، ولم يَقبَلوا تصريحَه الثانيَ ولا الثالثَ، الذي تضمَّن أسفًا على سُوءِ فَهمِ كلامه؛ إذ لم يكنْ سوى أسفٍ وليس اعتذارًا.

وتفاعَلَ كثيرٌ من المسلمين غَيرةً على دينهم مع هذه المطالبة، وقد كانت حالةٌ تجسَّدت فيها المعاني الإيمانيةُ والغَيرةُ والاعتزازُ بالانتماء إلى الإسلام.

---

(١) «الموقع الالكتروني: الإسلام اليوم».

غيرَ أنه وَسَطَ هذه المَوجةِ من الغضب لم يسألْ أحدٌ: ما المقصودُ والغايةُ من اعتذارِ البابا؟.

وإذا لم يعتذر ـ كما هو الحال ـ فكان ماذا؟.

هل سيتضررُ الإسلام والمسلمون من ذلك؟.

وإذا اعتذر هل سيكون ذلك خيراً للإسلام والمسلمين؟.

❑ الأحداث: في محاضرةٍ له في جامعة «جنيسبرج» بولاية «بفاريا» الألمانية، في ١٢/ ١١/ ٢٠٠٦م، والتي كانت بعنوان: «العقل والإيمان»، أورد البابا حواراً جَرىٰ بين الإمبراطور «مانويل الثاني» (١٣٥٠ ـ ١٤٢٥) ومثقَّف فارسيٍّ قال فيه: «أرني شيئًا جديداً جاء به محمد، فلن تجِدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني، مِثلَ أمرِه بنَشرِ الدين ـ الذي كان يُبَشِّرُ به ـ بحدِّ السيف».

❑ وفي المحاضرة أكَّد البابا علىٰ:

ـ رسوخِ العنفِ في بِنيةِ الدينِ الإسلاميِّ، من خلال إفادته بأن آيةَ البقرة: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إنما نَزلت في بدايةِ الدعوة، حين لم يكن لمحمدٍ ﷺ قوةٌ ولا مَنَعةٌ.

ـ أن الإسلامَ يخلُو من العقل، واستَدلَّ عليه بأن مشيئةَ الربِّ في العقيدة الإسلامية وإرادتَه ليست مرتبطةً بمقولاتنا، ولا حتىٰ بالعقل، وأنَّ ابنَ حزمٍ ذهب في تفسيره إلىٰ حدِّ القولِ بأن اللَّهَ ليس لزامًا عليه أن يتمسَّكَ حتىٰ بكلمته، ولا شيءَ يلزمُه أن يُطلِعَنا علىٰ الحقيقة.

وحينما عَرَّج علىٰ المسيحية سَبَغها بكلِّ ما جَرَّد الإسلامَ منه: بالسماحة والعقلانية، واستَدلَّ عليه بأولِ نصٍّ في الكتاب المقدس، في

«سِفْر التكوين»: «في البَدءِ كانت الكلمة»، فالربُّ يتحاورُ بالكلمة، والكلمةُ هي عقلٌ وكلمةٌ في نفس الوقت.

في نهاية كلمتِه دعا إلى المحاورةِ بين الحضاراتِ بالعقل والإيمان وبالكلمة؛ ليكونَ موافقًا لطبيعةِ الربِّ.

ويُلاحَظ في كلمته هذا: محاولةُ الاستئثارِ المسيحيِّ بالربِّ والعقلِ والتسامحِ معًا، وتجريدِ الإسلامِ منها، فالمسيحيةُ هي التي تعملُ وِفقَ إرادةِ وطبيعةِ الرب، ووفقَ العقل، والإسلامُ يعملُ مُعارِضًا لطبيعةِ وإرادةِ الربِّ والعقل؛ لكونِه يتَّخذُ العنفَ والسيفَ طريقًا للإقناع، ولأنه يُلْصِقُ بالربِّ الاستعلاءَ المطلَقَ، والمشيئةَ المطلَقةَ، التي لا تتغيَّرُ ولا تتبدلُ، ولا ترتبطُ بمقولاتِنا ولا العقل..؟!!.

❑ إثرَ هذه المحاضرةِ انطلقت ردودُ الفعل - المعتادة!! - من المسلمين، تمثَّلت في التعبيراتِ التالية:

- غضبٌ إسلاميٌّ عبَّرت عنه: دولٌ، ومنظَّمات، وشخصياتٌ، ومظاهَراتٌ جماهيرية.

- استنكارُ جهاتٍ إسلاميةٍ ونصرانيةٍ شرقيةٍ - خصوصًا - من هذا التصريح.

- مطالبةٌ بالاعتذارِ العَلَنيِّ الصريح، وطَلَبُ توضيحِ موقفِ البابا من الإسلام.

- أن التصريح كان في سِياقِ تبريرِ الحَمْلاتِ الصليبيةِ الأخيرةِ على بلادِ الإسلام.

ـ الردُّ على الادعاءِ البابَويِّ حولَ العنفِ واللاعقلانيةِ المنسوبةِ إلى الإسلام، وذلك من طريق:

١ ـ نفي «جهادِ الطلب» وقَصْرِه على «جهادِ الدفع»[1] .

٢ ـ رَسمِ عقلانيةِ الإسلامِ من خلالِ موقفِ الأشعريةِ في رَفضِ إيمانِ المُقلِّد، وإيجابِ النظر، وموقفِ المعتزلةِ في إيجابِ الأصلح على اللّه تعالى[2] .

٣ ـ بيانِ تسامحِ الإسلام مع الديانات بعدَ الفتحِ الإسلامي.

٤ ـ فضحِ السلوكِ المسيحيِّ في العالم؛ احتلالاً، ونهبًا، وتقتيلاً، واضطهاداً.

وقد كان الصوتُ الأعلى هو صوتُ المطالِب بالاعتذار، الحاثِّ على غَضْبَةٍ إسلاميةٍ كبرى، ومحاولةِ دفعِ التهمةِ عن الإسلامِ والمسلمين، والذين قاموا بالردِّ بالمِثل ـ أي ببيانِ فضائحِ الاعتقادِ والسلوكِ النصرانيِّ في العالم ـ كانوا قليلين، وليست لهم من الشهرةِ كالتي للذين اكتَفَوا بطَلَبِ الاعتذار، دونَ نقدٍ للمسيحية عقيدةً أو تاريخًا!!.

❑ الاعتذار؟:

نعودُ إلى السؤال المشروع، فنقول: يُطلَبُ الاعتذارُ في العادةِ من المخطئِ بقصدِ الحدِّ من الآثارِ السلبيةِ التي تَنجُمُ عن الخطأ مِن ردِّ فِعلٍ غيرِ ملائم، يُضِرُّ بالجانبين: المخطئ، والمخطئ عليه.

(١، ٢) جاء هذا في ردّ الدكتور القرضاوي على البابا.. وهو سقيم لأنه رد على البابا بقول أهل البدع.

فالاعتذارُ يَنزِعُ فَتيلَ أزمةٍ تكادُ أن تقعَ بسببِ ذلك الخطأ.

والأزمةُ وردُّ الفعلِ يقعُ من شعورِ المخطئِ عليه بالإهانةِ التي لَحِقت به، فيسعىٰ في ردِّ الاعتبار وإزالةِ التشويه، وذلك بتقريرِ المخطئِ بخطئه، أو بطريقٍ آخَرَ هو الردُّ بالمِثل، فإنْ لم يَنْجَحْ لَجأَ إلىٰ التصادمِ ورَدِّ الاعتبار بالقوة، ومِن هنا تتدخَّلُ أطرافٌ أخرىٰ لِمَنعِ مثلِ هذا التصادم.

وفي حالةِ تصريحِ البابا، فإنه تسبَّبَ في الطعنِ في الإسلام والمسلمين، وتشويهِ الصورة، وفَتْحِ بابٍ ـ مفتوح أصلاً ـ للتصادمِ بين الإسلام والمسيحية، أو المسلمين والمسيحيين.

وهنا نفهمُ لِمَ تصدَّتْ كلُّ هذه القوىٰ الإسلامية للرد؟ إنهم يقصدون: رَدَّ الاعتبار، وإزالةَ التشويهِ الذي لَحِقَ بالإسلام والمسلمين، ومَنْعَ التصادمِ بين الحضارةِ الإسلاميةِ والمسيحية، ولأجلها طالبوا بالاعتذار، فكان الاعتذارُ وسيلتَهم الوحيدة ـ تقريبًا ـ في تحصيلِ هذه المقاصد.

لكنْ ألَمْ يكن ثَمَّةَ وسيلةٌ أخرىٰ لتحصيل هذه المقاصد؟!.

وبصورةٍ أخرىٰ: هل كانت وسيلةُ الاعتذار هي الوسيلةُ المثلىٰ، التي لا تَحمِلُ معها أيَّةَ آثارٍ سلبية؟.

في هذا التساؤل إثارةٌ لمسألةِ سلبيةِ الاعتذار، أو لِنَقلِ المُحتوىٰ الآخَرِ للاعتذار غيرَ ما ذُكر، فإن للاعتذار وجهًا آخَرَ غيرَ تلك التي ذُكِرَتْ في المقاصد، أُغفِلت، فلم يذكرْها إلاَّ القليل، وهي:

ـ أن علىٰ الطرفَينِ ألاَّ يبادرا بأيِّ فعلٍ فيه نقدٌ وطعنٌ تُجاهَ الآخر، وهكذا يستطيعُ كلُّ طَرَفٍ أن يُحاجَّ الآخَرَ، إن هو بادَرَ بنَقدٍ أو طعن، بأنه

خَرَجَ عن القاعدةِ والأصل، وعليه أن يَعتذر.

وفي حالةِ تصريح البابا، فإن مطالَبَته بالاعتذارِ يحتوي ضِمنًا التعهُّدَ بعدمِ الطعنِ والنقدِ في المسيحية، فلا يَنتقدُ المسلمون النصرانية، ولا يتكلمون في بطلانها، وتحريفِ كتابها، ومصادمتِها للمعقول.

مع أن هذا النقدَ أمرٌ من صميمِ دينِ الإسلام، وصميمِ الواجباتِ على المسلمين، لبيانِ الحق، والدعوةِ إليه، ودَحضِ الباطلِ المُبين، وعليه دَرَجَ العلماءُ حينما ألَّفوا في بطلانِ النصرانية، كابنِ حزمٍ، وابنِ تيمية، وابنِ القيم، ومِن المعاصرين: رحمت اللَّه الهندي، وأبو زهرة.

فهذا هو الأساسُ الذي بُنيت عليه فِكرةُ الاعتذار، سكوتُ كلِّ طرفٍ عن الآخر، من مبدأِ التساوي، وبه يمكنُ للمسيحيين أن يكفُّوا، وأن يطالِبوا المسلمين بالمِثل، لكنْ إذا كان نهجُ الإسلام هو الردَّ ونقضَ النصرانية، واتهامَها بمخالفةِ المعقولِ والمنقول، فإن ذلك يُضعِفُ موقفَ المطالبين بالاعتذار، فهل كان هؤلاء مُدرِكين لمثلِ هذه النتيجة؟ أم أنهم مُستعدُّون للكفِّ عن نَقدِ النصرانية؟.

إن كانوا غيرَ مُدرِكين، فعليهم أن يُدركوا.

وإن كانوا مُدرِكين، وهم مستعدُّون للكفِّ وعدمِ الخوض في بطلانِ النصرانية، فتلك هي الداهية!!.

ويُسأل عن سببها: هل هو إيمانٌ بفِكرةِ «وحدةِ الأديان»، أم شعورٌ بالضعف؟.

أما وحدةُ الأديان، فنُبرِّؤهم منها، ونُعيذهم، لكنا ذكَّرنا بها؛ لأن موقفَهم يَنسجمُ تمامًا مع فكرةِ «وحدة الأديان»، التي تقومُ على اعتبارِ صحَّةِ

جميعِ الأديان، وتساويها، ومِن ثَمَّ فلا وجهَ لِنَقدٍ أو طعنٍ يُوجَّه تُجاهَ إحداها.

لكنه شعورٌ بالضعف ـ يبدُو ـ يَحملُ علىٰ السكوتِ أمامَ عدوٍّ نصرانيٍّ كبير، يَحملُ معه كلَّ أدواتِ التدمير، ويَتحكَّمُ في مصيرِ ملايينِ المسلمين، محاولةً للإبقاءِ علىٰ المسلمين، نظرًا إلىٰ عدمِ تكافؤِ القُوىٰ، وهذا هدفٌ نبيلٌ لا شك، غيرَ أن المتابعةَ للأحداثِ تدلُّ علىٰ أن هذه الطريقةَ غيرُ نافعةٍ في تحصيلِ الهدف، بل ضارَّةٌ، فإنَّ علىٰ أهلِ الحقِّ بيانَ الحق، وإنْ عُذِروا حينًا، فلا يُعذَرون كلَّ حينٍ في السكوت علىٰ الباطل.

ومُداراةُ المسيحيين ومحاباتُهم ـ طلبًا للسلامة وكفِّ شرورهم ـ، بهذه الطريقة لم تنجح، بل زادت شرَّهم، فمنذ عقودٍ وبعضُ المسلمين في محاولةٍ لِـمَدِّ جُسورِ التواصُلِ والتقارُبِ والحوارِ والتعايُشِ.. إلخ.. ولو بالسكوت عن نقدِ المسيحية، ودعوةِ المسيحيين للإسلام، لكنْ لم يَظهرْ في الأُفقِ المسيحيِّ سوىٰ العُدوانِ الصريحِ، فهم الذين احتلُّوا: أفغانستان، والعراق، والشيشان، ودمَّروا البوسنة، وكوسوفا، ولبنان، وهم الداعِمون لإسرائيل، وقد عَبَّروا عن صليبيتهم في كلمة الرئيس الأمريكي «چورچ بوش الابن» الأخيرة: «إنها حربٌ صليبية»، وموقفُهم من الرسومات المسيئةِ للنبيِّ واضح، فدولٌ أوربيةٌ كثيرةٌ حَذَتْ حَذوَ الدنمارك، آخِرُها النرويج قبلَ أيام، أعادت نَشرَ الصور، ثم هذا البابا يخرجُ بمِثلِ هذه التصريحات، مع أن «الفاتيكان» هي الراعيةُ للحوار بين الحضارات!.

فكلُّ ما بَذَله هؤلاء المسلمون من الحوار، والتقارب، والتعايش، والذي حَمَلَهم علىٰ السكوتِ عن نَقدِ النصرانية، لم يُفِدْ بشيءٍ، بل زاد مِن

هَجمتهم ضدَّ الإسلام، وصَدَق ربُّنا إذ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فهذا موقفٌ خاطئٌ مِن هذه المنظَّماتِ والشخصياتِ المطالِبة بالاعتذار، خطأً واقعًا ـ كما تقدم ـ، وخطأً شرعًا، فإنَّ الشرعَ يأمرُ بقَولةِ الحق، والصَّدعِ بها، لا عَقْدِ تحالفاتٍ لغضِّ النظرِ عن فسادِ المعتقَدات، والسكوتِ عن بيان الحق، مهما كانت الدعاوىٰ، مِن ضَعفٍ أو عَجْزٍ، فإنه إذا نظرنا في تاريخِ الدعوة، فإن الدينَ كان ضعيفًا، ثم ما زال يَقْوَىٰ بالدعوةِ والبلاغ؛ ببيانِ محاسنِ الإسلام، ومساوئِ ما سواه ـ ومن ذلك النصرانية ـ، وعلىٰ هذا دَرَجَ القرآن.

فإذا ما اتُّخذ مبدأُ السكوت بداعي الضعف، فمتىٰ يُهدَىٰ الناسُ إلىٰ الإسلام، ومتىٰ يَنتشر ويَقْوَىٰ، وقد عُلم أن قُوَّته إنما تتحصَّلُ بالدعوةِ والبلاغ، التي تَزيدُ من أتباعِهِ المتمسِّكين به؟!.

إن الموقفَ الصحيحَ في الردِّ علىٰ البابا ـ وكلِّ تصريحٍ من هذا النوع هو:

الردُّ بالمِثلِ، وفي التاريخِ والدينِ النصرانيِّ من النقاطِ السوداءِ الكبيرةِ ما لا تُعجِزُ ناقدًا ـ حتىٰ لو كان عاميًّا ـ ببيانِ فسادِ المُعتقَد النصرانيِّ، ومعارضتِه للعقل وللرحمة، وتأييد ذلك بالتاريخ المسيحي.

«فالتثليثُ» و«الصَّلبُ»، و«الفِداءُ»، و«العَشاءُ الرباني»، عقائدُ مسيحيةٌ معارِضةٌ للعقل، كانت سببًا في رِدَّةِ طائفةٍ من النصارىٰ، ورفضها للمسيحية.

وتاريخُ الحروب الصليبية شاهدٌ علىٰ دَمَويـةِ وعنفٍ وإرهابِ

المسيحيين، منذ أيامِ الحاكم الروماني «قسطنطين»، و«نيرون»، واضطهاد الكاثوليك ـ حِزب البابا ـ للأرثوذكس في مصرَ وغيرها، والآريوسيين. . وما حَدَث في حقِّهم من مجازِرَ أمرٌ لا يخفىٰ.

ـ كما أن محاكمَ التفتيش في أسبانيا ـ والتي قُتل فيها مئاتُ الآلافِ من المسلمين علىٰ الهُويَّةِ الإسلاميةِ، تَركت نَدبةً سوداءَ في تاريخِ أوربا المسيحية.

ـ ومِثلُها ما حَدَث من تطهيرٍ عِرقيٍّ في البوسنة، وتحديداً في «سربرنتشا»، تحتَ سَمعٍ وبصرٍ ـ بل وعَون ـ «النيتو»، و«الأمم المتحدة»، و«دول أوربا»، و«أمريكا»، سُفك الدمُ الحرامُ لما يَزيدُ عن ثمانيةِ آلافِ مسلم، قُتلوا بدمٍ بارد، ودُفنوا في مقابرَ جماعية، هذا عَدَا إجرام أمريكا الصليبيةِ في أفغانستان، والعراق، حيث قُتل مئات الآلاف.

فبعدَ كلِّ هذا، ألاَّ يستحي البابا من اتهامِ المسلمين بالعنفِ واللاعقلانية؟!.

وألم يَجِدِ الذين غَضِبوا من تصريحِه حلاً لردِّ الاعتبار سوىٰ المطالبةِ بالاعتذار؟!.

إن صفحةَ المسيحيين سوداءُ مُخزيةٌ مليئةٌ بالإجرام، كان يكفي هؤلاءِ المُخلِصين أن يُسلِّطوا الضوءَ علىٰ إحداها، بدلَ المطالبةِ بالاعتذار، الاعتذارُ يُعطيه قيمة، ويُرسِّخُ مفهومَ التساوي والسكوتِ عن بيانِ الحق فيهم، وهذه هي الداهية.

كان عليهم بعدَه التعريجُ علىٰ محاسِنِ الإسلام، وصنائعِه المباركةِ في

العالم وتاريخِه أجمعَ، حتىٰ شَهِد بعَدلِه وبِرِّه وإحسانِه وقِسطِه المنصفون من أتباعِ الديانات، من كاثوليك، وأرثوذكس.

إنها لفرصةٌ تاريخيةٌ لإحياءِ الدعوةِ إلىٰ الإسلام من جديد في العالَم كلِّه، وفضَحِ الدينِ المسيحيِّ في عقيدته وتاريخِه كان من الواجب استغلالُها؛ بنشرِ المؤلَّفات الميسَّرة للذكر والفهم، بكافةِ اللغات، وبالبرامج والمحاضرات والندوات الفضائية المكثَّفة، علىٰ نِطاقٍ شاملٍ وواسع؛ لتكونَ تصريحاتُ البابا أداةَ وصولِها إلىٰ الأسماع في الأصقاع.

لكنْ وبدلاً من ذلك، اتَّجه الحلُّ إلىٰ المطالَبة بالاعتذار، واستَنفدَ هؤلاء المُخلِصون جَهدَهم ورأيَهم وكَلِمَتَهم فيه، مع تمنُّعٍ وتمتُّعٍ نصرانيٍّ بهذا الإلحاح، ثم لم يَخرجوا من البابا بشيءٍ يُذكر، ففي كلِّ مرةٍ يخرجُ فيها، يُربِّتُ علىٰ أكتافِ الغاضبين، يُهدِّئُ من رَوعهم، ويقولُ لهم كمُعلِّم: «هذه الحقيقة، فاسمعوها، ولو غضبتم.. فنحن نعمل علىٰ ترشيدكم وترقيتِكم إلىٰ ما هو أسمىٰ»!!.

هذا هو معنىٰ أَسَفِه من سُوءِ فَهمِ المسلمين كلامَه، وعدمِ اعتذاره.

لدينا خللٌ في التعاطِي مع المخالِفين، بين مَن لا يَرىٰ إلاَّ السيفَ معهم حلاًّ وحيدًا، وبين مَن لا يَرىٰ سوىٰ التقاربِ والكفِّ حتىٰ عن بيانِ الحق فيهم، تحت ذرائعَ شتىٰ.

لكن أين مَن يقولُ لهم: نحن لا نتعدَّىٰ عليكم، لكنَّ دينَكم باطل.. نحن لا نَظلِمُكم، لكنكم ضالُّون.. نحن نحبُّ لكم الخيرَ، فتعالَوا إلىٰ الإسلام.. أنتم في شقاءٍ، فتعالَوا إلىٰ الراحةِ والنعيم.. أنتم في ضِيقٍ

وظُلمة. . فتعالَوا إلىٰ السَّعَةِ والنور؟! وصَدَقَ اللَّه تعالىٰ إذا يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]». اهـ.

*** وقفاتٌ مع اقتباساتِ بنديكت:**

◘ قال مهران ماهر عثمان نوري: «الحمدُ للَّه رب العالمين، والصلاةُ والسلام علىٰ خيرِ المرسَلين وخاتمِ النبيين، وعلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ أجمعين، أمَّا بعد:

فإن أُمةَ الإسلام لم تَنْسَ الجريمةَ النكراءَ التي وَقعت فيها الدنمارك، حتىٰ فُوجئت بإساءةٍ ألمانيةٍ جديدةٍ لنبيِّنا ﷺ ولدينِ الإسلام.

فقد قام أكبرُ رَمزٍ دينيٍّ كاثوليكيٍّ ـ وهو البابا الكاثوليكي «بنديكت السادس عشر» ـ بإلقاءِ محاضرةٍ يومَ الثلاثاء التاسعَ عَشَرَ من شعبان ١٤٢٧ بعنوان «العقل والإيمان». . حيث لا عَقلَ ولا إيمان!.

◘ **لا عَقلَ لما يلي:**

١ ـ يعتقدون أنَّ الإلهَ يمكنُه أن يُولَدَ كما يولَدُ البشرُ من فَرْجِ المرأة!.

٢ ـ يقولون: «إن الأصغرَ يحوي الأكبر»، فعندهم أنَّ رَحِمَ مريمَ ـ وهي ناسوت ـ احتوىٰ علىٰ عيسىٰ عليه السلام ـ وهو لاهوت ـ.

٣ ـ يعتقدون أنَّ أعداءَ عيسىٰ عليه السلام صَلَبوه وأبُوه لم يفعلْ شيئًا.

٤ ـ عندهم أنَّ عيسىٰ صُلب حتىٰ يُخلِّصَ اللَّهُ الناسَ من الخطيئة.

باللَّهِ عليكم لو أنَّ لوالدٍ ولدَيْنِ أذنَبَ أحدُهما فعاقب الأبُ الآخرَ، ما تقولون في هذا الوالد!!.

٥ ـ لو سلَّمنا بأنَّ عيسىٰ عليه السلام صُلب ـ ولا نُسلِّم ـ لكان الأجدرُ أنْ

يُمتَهَنَ الصليبُ ـ رمزُ صَلَبِ إلههم ـ لا أنْ يُكرَمَ ويُوضَعَ على الصدور.

٦ـ يعقلون أنَّ إلهًا يُطارَدُ ويُصلَبُ ولا يَقدِرُ على دَفعِ السوء عن نفسه.

□ وأمَّا لا إيمان، لأنه كافرٌ بعيسى عليه السلام، فنحن نعتقدُ أنَّ مَن كَفَرَ برسولٍ واحدٍ، فقد كَفَر بكلِّ المرسلين.

جاء في هذه المحاضرة اقتباساتٌ اقتبسها من حوارٍ بين إمبراطورٍ بيزنطيٍّ وزعيمٍ فارسيٍّ في القرنِ الرابعَ عَشَرَ عندما حاصر المسلمون القسطنطينية، وأقِفُ مع اقتباسين:

الأول: قولُ البيزنطي للفارسي: «أرِني الجديدَ الذي جاء به محمد، سوف لن تَجِدَ إلاَّ الشرَّ واللا إنسانية».

الثاني: فكرةُ الجهاد تخالفُ إرادةَ اللَّه.

وكلٌّ من اقتبس كلامًا وسلَّم به، فله حكمُ قائلِه.

ولي حيالَ هذا الكلام وقفاتٌ، وسؤالٌ، وتنبيهٌ.

أما الوقفات:

١ـ أما الجديدُ الذي أقرَّ البابا أنَّه لا يُوجدُ فيما جاء به محمدٌ ﷺ، فهذا يدلُّ على جهلٍ مُطبَقٍ بسيرةِ هذا النبيِّ العظيم، وأُذَكِّرُه بجديدٍ واحدٍ فقط..

لقد بُعث النبيُّ ﷺ في قومٍ كانت الحروبُ تَنشَبُ بينهم لأتفهِ الأسباب، كان القريبُ يقتلُ قريبَه على مَوردِ الشاة، فلما بُعث النبيُّ ﷺ ـ اسمع إلى الجديدِ يا أيها البابا ـ لَمَّا بُعث كان حالُهم كما قال أنس بنُ مَالك«: قدم عبدالرحمن ابن عوفٍ، فآخَى النبيُّ ﷺ بينهُ وبين سعدِ بن الربيعِ الأنصاري، وعند الأنصاريِّ امرأتَان، فعَرَضَ عليه أن يُنَاصِفَهُ أهلَه ومالَه، فقال: بَارَكَ اللَّهُ

لك في أهلِكَ ومَالِكَ، دُلُّونِي على السُّوق».

إلى هذا الحدِّ آتت الأُخُوَّةُ الإيمانيةُ التي غَرَس بِذرتَها نبيُّنا ﷺ في نفوسهم ثمارَها.

٢ـ وأما الشرُّ، فأي شرٍّ يُنسب إلى النبيِّ ﷺ؟ أيُّ شرٍّ يُنسَبُ إلى نبيٍّ ضَمِنَ اللَّهُ له إجابةَ دعوةٍ، وكان بالإمكان أن يَخُصَّ بها نفسه، أو يدعو بها للمؤمنين ويُشركَ نفسه معهم.. ولكنه رسولُ اللَّه، الرحمةُ المهداة.. عيسى عليه السلام تَعجَّل دعوته، وجميعُ الأنبياء تعجَّلوها، إلاَّ رسولَنا ﷺ، تأَمَّل ماذا قال.. قال: **«لكلِّ نَبيٍّ دَعْوَةٌ مُستَجَابَةٌ، فتَعَجَّلَ كلُّ نَبيٍّ دَعْوَتَهُ، وإني اخْتَبَأتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأمَّتِي يَوْمَ القِيامَةِ، فهيَ نَائلةٌ ـ إنْ شاء اللَّهُ ـ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللَّه شيئًا»**[1].

وإذا رَحِمْتَ فأنتَ أمٌّ أو أبٌ هذانِ في الدنيا هُما الرُّحَماءُ

٣ـ وأمَّا قوله: «واللا إنسانية»، فأكتفي بإيرادِ حديثٍ واحدٍ لا علاقةَ له بالإنسانية! ولكنه يَدحضُ فِريةَ اللاإنسانية هذه!!: عَن نافعٍ عن عبداللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«عُذِّبَت امْرَأَةٌ في هرَّةٍ سَجَنَتهَا حَتَّى مَاتَت، فَدَخَلَتْ فيهَا النَّارَ، لا هي أطعَمَتْها وسَقَتْهَا إذ حَبَسَتْها، ولا هِي تَركَتها تأكُلُ مِنْ خَشَاش الأَرْضِ»**.

هذا في هِرَّةٍ.. فما بالُك بمَن يدخلون في إطار «الإنسانية»!!.

لقد أخبَرَ النبيُّ ﷺ أنَّ مَن قَتل كافراً معاهَدًا، فلا يمكنُ أن يَدخلَ الجنَّة، أمَا عَلِم المسكينُ المقتبِسُ بهذا الكلام.

(١) رواه البخاري ومسلم.

٤ـ وأمَّا اقتباسُه الثاني الذي أقره «فكرة الجهاد تخالِفُ إرادة اللَّه». . فأقول: نعم يا «بيندكت»، ما فَعَلَه الصِّربُ في البوسنة يوافقُ إرداةَ اللَّه؟ اغتصابُ الروس لأخواتنا في الشيشان يوافقُ إرادةَ اللَّه؟ غزوُ أمريكا للعراق وجرائمُها في «أبي غريب» يوافق إرادة اللَّه؟ قتلُهم للمدنيِّين في أفغانستان يوافق إرادة اللَّه؟ أمَّا أن ندافعَ عن أنفسِنا، وندحرَ عدوَّنا فهذا أمرٌ يخالفُ إرادةَ اللَّه، ثم تُحدِّثُنا عن العقل يا. . يا بابا.

سؤال أطرحُه على «الحَبْر الأعظم»!! أوَ مَا قرأتَ ما قاله «رودي بارد»، الذي ينتمي إلى طائفتِك وبلدك، فهو ألمانيٌّ كاثوليكي، يقول: «كان من بين مُمثِّلي حركةِ التنوير مَن رأوا في النبيِّ العربي أدلَّةَ اللَّه، ومُشرِّعًا حكيمًا، ورسولاً للفضيلة، وناطقًا بكلمةِ الدين» [«الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية» (ص١٥)]. هذا قولُ عُقلائكم في بلادِكم من طائفتكم في عدوِّكم.

◻ وأختمُ بعزاءٍ فيه تسليةٌ لمحبِّي رسول اللَّه ﷺ: كلمةٌ مشرقةٌ تُكتبُ بماءِ العَين على جِدارِ القلبِ، سطَّرها التاريخ للإمام السَّعدي، قال ـ رحمه اللَّه ـ: «قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: بك وبما جئت به، وهذا وَعدٌ من اللَّهِ لرسوله أنْ لا يضرَّه المستهزئون، وأن يَكفيَه اللَّهُ إياهم بما شاء من أنواعِ العقوبة، وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهَرَ أحدٌ بالاستهزاءِ برسولِ اللَّه ﷺ وبما جاء به، إلاَّ أهلكه اللَّه وقَتَله شرَّ قِتلة»[1].

* ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٣٥).

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾

□ الحمدُ للَّه، والصلاة والسلامُ على رسول اللَّه محمد، وعلى آله وصحابته ومن والاه، أما بعد:

فإن كتابَ اللَّه - تعالى - فيه خَبَرُ ما قبلنا، ونَبَأُ ما بَعدَنا، هو الجِدُّ ليس بالهَزْل، مَن أنزله مِن نفسِه هذه المَنزلةَ نَفَعه اللَّهُ بما فيه، وسَعِد به في الدنيا والآخرة، وعَرَف صديقَه من عدوِّه، وتمكَّن من إفسادِ «مُخطَّطات» الأعداءِ بمجردِ متابعتِه، حتى ولو لم يَعلمْ بهذه المخطَّطات، وقد أظهر اللَّهُ - تعالى - في كتابِه كثيراً مما يريدُه بنا أعداؤُنا من أهلِ الكتاب، حتى لقد بَدَتِ البغضاءُ من أفواههم، لكنْ رغمَ كثرةِ هذه الظاهرة؛ فما تُخفي صدورهم أكبر.

* قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ثم يُعقِّبُ القرآنُ على تلك الحقيقةِ الثابتةِ في عَداوةِ أهلِ الكتاب للمسلمين: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

فتبيَّن أن الذين يَتبيَّنُ لهم عداوةُ الكفارِ للمسلمين هم الذين يَعقِلون، وأنَّ مَن غابت عنهم هذه الحقيقةُ فهم من ناقِصِي العقل.

□ يقول ابنُ كثير - رحمه اللَّه تعالى -: «قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، أي: قد لاح على صَفَحاتِ وجوههم، وفَلَتاتِ ألسنتِهم من العداوة، مع ما هم مُشتمِلون عليه في صدورِهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مِثلُه على لبيبٍ

عاقل؛ لهذا قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]»[1].

□ وقال القرطبي: «قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، إخبارٌ وإعلامٌ بأنهم يُبطِنون من البغضاءِ أكثرَ ممَّا يُظهِرون بأفواههم».

وقد ظَهرت في هذه الأيام مِن بعضِ المسلمين اتجاهاتٌ تحاولُ تبرئةَ الكفارِ أعداءِ اللَّه ورسولِهِ من كلِّ هذه الأمور التي أثبتها القرآنُ لهم، فزَعَموا أن هذه الأحكامَ كانت في أولِ الأمرِ حين كانت العلاقةُ بين الإسلامِ وبين مخالِفيه متوتِّرةً، ولكنْ بعدَ استقرارِ الأوضاع عادت العلاقاتُ بين المسلمين وبين مخالفيهم من أهلِ الكتاب إلىٰ مَجراها الطبيعيِّ من حيثُ التعاونِ من خلال التعدُّدية التي هم عليها، فكانت هذه الاختلافاتُ مَدعاةً للتعاون والتكامُل، وليس التناحرَ والتطاحن.

فها هم يَقفِزون علىٰ كلِّ النصوصِ الشرعيةِ وكلِّ حقائقِ التاريخ، في سبيلِ ترويجِ هذه الفِرية، لكنَّ اللَّهَ ـ تعالىٰ ـ يأبىٰ إلا أن يكشفَ خَطَلَهم وخَلَلَهم من خلالِ الوقائعِ التي لا يُماري في دلالتها إلاَّ الذين لا يَعقِلون.

* فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فاللَّه ـ تعالىٰ ـ يُري الناسَ مِن الدلالاتِ والعلاماتِ التي يتبيَّنُ بها أن ما أخبَرَ به ـ سبحانه ـ حقٌّ وصدقٌ لا يَتخلَّف؛ لأنَّه كلامُ مَنْ هو بكلِّ شيءٍ عليم.

---

(١) «تفسير ابن كثير».

❑ قال ابنُ كثير ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ: «﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، أي: سنُظهِرُ لهم دلالاتِنا وحُجَجَنا علىٰ كونِ القرآن حقًّا منزَّلاً من عند اللَّه ـ عز وجل ـ علىٰ رسولِه ﷺ بدلائلَ خارجيةٍ ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ من الفتوحاتِ وظهورِ الإسلام علىٰ الأقاليم وسائر الأديان»[1] .

❑ وقد تواتر من العلاماتِ والدلالاتِ علىٰ مَدارِ التاريخ ما يُبيِّنُ أنَّ ما أخبَرَ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ به في هذه القضيةِ هو الحق؛ فهناك الحمْلاتُ الصليبيةُ التي استمرَّت قرنَين من الزمان، حاول فيها أهلُ الكتاب النَّيلَ من الإسلام؛ لكنها ـ بفضلِ اللَّه ـ اندَحَرت بعد طُولِ مواجهات، ثم جاءت فترةُ الاحتلالِ العسكريِّ تحت مسمَّىٰ «الاستعمار»، والتي ظَلَّت ما يَقرُبُ من قرنَينِ من الزمان، ولم تتوقفْ في تلك الفترة الحَمْلاتُ التنصريةُ علىٰ المسلمين، حتىٰ إن جَهْدَهم في تنصيرِ المسلمين وإخراجِهم من دينِهم أكبرُ من جَهدِهم في دعوةِ الوثنيِّين إلىٰ دينهم، ومع دخولِ التقنيات الحديثةِ في وسائلِ الاتصالِ لم تنقطعْ حَملاتُهم من خلالِ الطعنِ في الإسلام وفي رسولِ اللَّه ﷺ؛ فها هي القنواتُ التنصريةُ الموجَّهةُ إلىٰ المُستمعِ المسلم، ثم ها هي عملياتُ الغزوِ والاحتلالِ لبلادِ المسلمين، التي لم يَخْجَلْ مَن يقومُ بها بتسميتها باسمِها الصريح وهو «الحرب الصليبية» ـ وإن كان هناك مِن بَنِي جِلْدَتِنا مَن يحاولُ أن يُخرجَ تلك الألفاظَ عن ظاهرها ـ، ثم ها هي الحملاتُ الإعلاميةُ للقَدحِ في رسولِ اللَّه ﷺ؛ وما خَبَرُ الصورِ القبيحةِ التي رسمتها الصحيفةُ الدانماركيةُ لرسولِ اللَّه ﷺ خيرِ الورىٰ، ثم تَبِعَتْها فيه كثيرٌ من صُحف

---

(١) المصدر السابق.

النصارىٰ في سباقٍ محموم، حتىٰ وَصَل الأمرُ أن يَخرُجَ زعيمُ النصارىٰ وكبيرُهم ورأسُ المشركين وعابدي الأوثانِ ليُعلِنَ ويُصرِّحَ بالقَدحِ في الإسلام وفي رسول اللَّه ﷺ.

والمسلمون في مشارِقِ الأرض ومغارِبها يؤمنون برسولِ اللَّه ﷺ وأن ما جاء به هو الحقُّ، وأن هذه الأقـوالَ الفاسـدةَ التي يتقيَّـؤُها كبيرُ النصارىٰ ـ ومَن هم علىٰ شاكلته ـ لن تؤثِّرَ في يقينهم وإيمانهم، وهم لا يحتاجون بعدُ حتىٰ إلىٰ جوابٍ عن تلك الشبهات.

والإسلام لم يَنتشرْ بين الناس بحدِّ السيف ـ كما يُروِّجُ لذلك مَن يُروِّجُ له ـ، وإنما انتَشر بين الناس لِمَا حواه من الحقِّ الذي لا تَملِكُ معه النفوسُ السويةُ والقلوبُ السليمةُ إلاَّ التسليمَ والإذعانَ والقبولَ به عن رضًا واختيار، وإلاَّ فلْيقُلْ لنا هؤلاء: كيف آمَن أبو بكر ﷺ وغيرُه من سادات المسلمين؟ بل لِيَقُلْ لنا هؤلاء: كيف آمنَ النجاشيُّ مَلِكُ الحبشةِ في زمنِ البعثة، قَبلَ أن يُفرَضَ الجهادُ وهو في بُقعةٍ بعيدةٍ من الأرض لا تنالُه فيها جيوشُ المسلمين ولا سيوفُهم؟ بل كيف آمَنَ عبدُاللَّه بنُ سلام الحَبرُ اليهوديُّ مع مَقْدَمِ رسولِ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينةِ بمجردِ رؤيتهِ ومعرفتهِ بالعلاماتِ التي دَلَّ عليها كتابُهم، وغيرُ هؤلاء من كبارِ القومِ الذين دَفَعهم ما في الإسلام من براهينَ قطعيَّةٍ علىٰ صِدقِ الرسول ﷺ وعلىٰ صوابِ ما جاء به إلىٰ الإيمانِ به والدعوةِ إليه، وليكونوا من جُنوده الأوفياء؟.

إن الإسلامَ لم تكن منه حربٌ واحدةٌ من أجل استعبادِ الناسِ وسَرِقَةِ خيراتهم واحتلالِ بلادهم، وإنما كان الجهادُ فيه من أجلِ إعلاءِ كلمةِ اللَّه

تعالىٰ ولإخراجِ الناسِ من ظُلمةِ الجهالةِ إلىٰ نورِ الحقِّ واليقين، وقد تَجشَّم المسلمون في سبيلِ هدايةِ الناسِ وإخراجِهم من الظلماتِ إلىٰ النورِ الكثيرَ من الصِّعاب؛ فما أحسَنَ أثَرَهم علىٰ الناس، وأقبَحَ أثرَ الناس عليهم!.

إن جيوشَ المسلمين ـ التي كانت تَخرجُ في سبيلِ اللَّه ـ كانت تخرجُ لإخراجِ العِبادِ من عِبادةِ العبادِ إلىٰ عِبادةِ ربِّ العِباد، ومن جَورِ الأنظمةِ القائمةِ إلىٰ عَدلِ الإسلام؛ فلم تؤمنْ بلدةٌ أومَحِلَّةٌ وكانت من المسلمين إلاَّ كان لها ما للمسلمين، وعليها ما علىٰ المسلمين دون أدنىٰ فرقٍ، بل كان المسلمون يولُّون علىٰ أهلِ الأرض المفتوحة أمراءَهم الذين كانوا عليهم قبلَ دخولِ الإسلام، فلم يكن جهادُ المسلمين لاستعبادِ الناسِ، أو العلوِّ بالباطل عليهم، أو سرقةِ خيَراتِ بلادهم.

◻ أخرج البخاري في «صحيحه» أن مَيْمُونَ بن سِيَاه سأل أنس بن مالكٍ قال: «يا أبا حمزةَ، ما يُحرِّمُ دم العبدِ ومالَه؟ فقال: من شَهِد أن لا إله إلاَّ اللَّهُ، واستقبَلَ قِبلَتَنَا، وصلَّىٰ صلاتَنَا، وأكلَ ذَبِيحتَنَا فهو المسلمُ، له ما للمُسلمِ، وعليهِ ما علىٰ المُسلمِ».

لِيَقُلْ لنا كبيرُ النصارىٰ ـ ومَن سار علىٰ طريقه ـ: أيُّ معركةٍ قام بها أتباعُه من أجلِ إقامةِ حقٍّ أو دفعِ باطل؟ ولْيَقُلْ لنا: ما المُسوِّغُ الذي استباحت فيه النصرانيةُ قَتلَ مئاتِ الآلاف من اليابانيين بالأسلحةِ التي يَسْعَون لحرمانِ مُخالِفيهم منها؟ وما المُسوِّغُ الذي استباحت به النصرانيةُ قَتلَ الهنودِ الحُمْرِ أصحابِ البلادِ الأصليين والاستيلاءِ علىٰ بلادِهم وديارِهم وأراضيهم وسَلْخِهم كما تُسلَخُ الشاةُ وهم أحياءٌ؟ بل ما المُسوِّغُ الذي استَباحت به النصرانيةُ طَرْدَ شَعبِ فِلسطينَ من أرضِه وإعطاءَ دُورهم

وبلادِهم لليهود ومعاونتَهم بكلِّ سبيلٍ علىٰ التمكُّنِ من الأرضِ المسروقة، حتىٰ يَندُرَ أن يمرَّ يومٌ لا يَقتلُ اليهودُ فيه فلسطينيًا أو جماعةً من الفلسطينين؟ بل ما المُسوِّغُ الذي استباحت به النصرانيةُ الهجومَ علىٰ البلاد الأفريقيةِ واختطافَ أهلِها منها وجَلْبَهم إلىٰ بلادِ النصارىٰ وبَيْعَهم في أسواق النِّخاسة كما تُباعُ الماشيةُ ليكونوا لهم عبيدًا؟.

والإسلامُ كان وما زال دعوةً إلىٰ الخيرِ والبُعدِ عن الشر.

☐ يقول الرسول ﷺ - فيما يتكلَّمُ به عن اللَّه تعالىٰ -: «**والشرُّ ليس إليك**»، فأقوالُ ربِّنا وأفعالُه وما شَرَعه للناس ليس فيه شرٌّ، بل فيه الخيرُ كلُّ الخير، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

لكن لِيَقُلْ لنا كبيرُ النصارىٰ المُشرِكُ عابِدُ الأوثان: هل هناك شرٌّ أكثرُ مِن عقيدةٍ تزعمُ أن اللَّهَ - تعالىٰ عما يقولون - قَتَل ابنَه ليُخلِّصَ الناسَ من الخطيئة؟ فأيُّ رحمةٍ أو خيرٍ فيمن يَقتُلُ ابنَه ليُخلِّصَ غيرَه من الخطايا والذنوب والآثام؟ وإذا كان إلهُهم عندهم علىٰ كلِّ شيءٍ قديرًا؛ فما الذي أحوَجَه إلىٰ التضحيةِ بابنه لتكفير الخطايا؟ ألاَ يَستطيعُ ربُّهم وإلهُهم أن يُكفِّرَ خطاياهم بغيرِ هذا الطريقِ الدَّمَويِّ الذي يدلُّ علىٰ أن دينَ هؤلاء قائمٌ علىٰ سَفكِ الدماءِ بالذرائعِ الكاذبة، وهو ما يُثبِتُه الواقعُ في تعامُلِهم مع مخالفيهم حتىٰ مِن بني مِلَّتِهم؟.

لكننا نعودُ ونقول: ما الذي جَرَّأ هذا المُشرِكَ الضالَّ عابدَ الأوثانِ علىٰ إظهارِ الطعنِ في دين الإسلام ورسولِ ربِّ العالمين؟.

قد لا يكونُ مستغربًا أن يَكفُرَ أهلُ الكتابِ بالإسلام رَغمَ ما في كُتبهم من البِشارةِ برسولِ اللَّه ﷺ، قد لا يكونُ مستغربًا أن لا يُحبَّ أهلُ الكتابِ

رسولَ اللَّه ﷺ . . قد لا يكون مستغربًا أنْ يكرَهَ أهلُ الكتابِ دينَ الإسلام، وأن يَحقِدوا على رسول اللَّه ﷺ الذي أبان شِركَهم وضلالَهم وانغماسَهم في ظُلماتِ الجهل، والذي أخرج بالحقِّ الأبلج ـ الذي جاء به مِن ربِّه ـ كثيراً من النصارى من ديانتِهم الباطلة إلى دينِ الحق، والذي أزال مُلْكَهم عن كثيرٍ من البِلدان والمَمَالِكِ التي تَسلَّطوا عليها ظُلماً وقَهْراً، والذي ما زال حتى الآن ـ رغمَ ضَعفِ أتباعه ـ يُخرِجُ كثيراً من نوابغِ العلماءِ منهم ومِن غيرِهم بالحقِّ الذي احتَواه ـ يُخرِجُهم مِن كُفرِهم وضلالِهم إلى توحيدِ اللَّهِ ـ عز وجل ـ ونَفيِ الشريكِ والصاحبةِ والولدِ، الذي تُثبتُه ديانةُ النصارى.

لكن لماذا تجرَّأ كبيرُ المشركين في العالَم ورأسُ عابدي الأوثان على إظهارِ ما بداخلهم من الحقدِ والغَيظِ والكُرهِ للإسلام، وكانوا من قبلُ يُخفُون كثيراً منه؟.

إنَّ ما حَدَث لم يكن زَلَّةَ لِسانٍ أو سُوءَ فهم، وإنما هو عن عَمدٍ وإصرار، والذي نراه اليومَ ما هو إلاَّ جُزءٌ من حَربٍ يَشُنُّها النصارى في العالَمِ على الإسلام، يُشاركُ فيها السياسيون والفنانون والإعلاميون والقساوسةُ والرهبان.

ولسنا في حاجةٍ إلى التذكير بأن أهلَ العهدِ إذا كان لهم عهدٌ عند المسلمين فإن عَهدهم يُنتقضُ بإظهارِ الطعنِ في دين الإسلام، ولسنا في حاجةٍ إلى الردِّ على سخافاتِ هذا الجاهلِ الكبير؛ فإنَّ كلماتِه أحقرُ من أن يتكلَّفَ المسلمُ الردَّ عليها، بل هو من أوائلِ مَن يَعلمُ كَذِبَها وبُطلانَها.

فهل أظهَرَ كبيرُ المشركين في العالَم هذا الطعن؛ لأنه رأى أن حُكَّامَ المسلمين لا يَشغَلُهم غيرُ الحِفاظِ على كراسيِّهم، وأنهم حريصون بكلِّ سبيلٍ

علىٰ التقرُّبِ من كبيرِ رُعاةِ البقر، وإظهارِ المودَّةِ له، وعدمِ إغضابه ـ ولو علىٰ حساب دينِهم وأوطانِهم وشعوبِهم ـ؟

هل أظهَرَ ذلك لأنه رأىٰ مِن كثيرٍ مِن علماءِ الدين التهالُكَ علىٰ حُطامِ الدنيا ومتابعة ـ السياسيين في بلادِهم وتسويغَ كلِّ تصرُّفاتهم؟

وهل أظهَرَ ذلك؛ لأنه رأىٰ ضَعْفَ الشعوبِ وعَدَمَ قُدرتِها علىٰ الاستمرارِ في عملٍ يُهدِّدُ النصارىٰ أو يُضيِّقُ عليهم؟ فهذه المقاطعاتُ الشعبيةُ لا تَلبثُ أن يَخْمَدَ لَهيبُها بالالتفافِ عليها من قِبَلِ بعضِ الناسِ، حتىٰ تُصبحَ المقاطعاتُ غيرَ ذاتِ جدوىٰ.

وهل أظهر ذلك لأنهم عَلِموا أن القوةَ الماديةَ التي تَحسِمُ كثيراً من نتائجِ الحروب صاروا هم صُنَّاعَها والمالكين لتقنيَتِها، وأن المسلمين ليس عندهم من وسائِلها إلا ما يشترونه من دُولِ الكفر، وأن الأسلحةَ التي تشتريها دولُ المسلمين ليست للدفاعِ عن العقيدة، وإنما للدفاع عن كراسيِّ الحكم المهزوزةِ في كثيرٍ من البلدان؟.

إذا كان السببُ هو أحدَ هذه الأسبابِ المتقدمةِ أو كلَّها مجتمعةً، أو غيرَ ذلك من الأسباب، فإننا ـ بمجموعِ الأمة ـ مدعوُّون بكلِّ قوةٍ إلىٰ الثبات علىٰ دينِنا والمحافظةِ عليه والردِّ علىٰ الطاعنين فيه، وتأديبِهِمُ التأديبَ اللائقَ المُوجعَ الذي يَعلمون به أنَ الطعنَ في الإسلام ليس مجردَ نزهةٍ فكرية.

إنَّ طَلَبَ الاعتذارِ ممن يَسُبُّ دينَنا ورسولَنا ﷺ في ظلِّ ضَعْفِنا وتخاذُلِنا عن نُصرةِ دينِنا، لا يَعدُو أن يكونَ مُجردَ استعطافٍ لهم، وهل يكفي في هذا اعتذارٌ حتىٰ لو فعلوه؟ إنَّ مَن لا يَملِكُ القدرةَ علىٰ العقاب، فكيف يَعتذرُ له اللئامُ عن خطيئاتهم؟.

فهل يَعي المسلمون الدرسَ، ويَعرِفون حقيقةَ أعدائهم، أم لا يزالُ كثيرٌ منهم يَسبحُ في أوهامِ حواراتِ الأديانِ والتحالفِ من أجلِ مقاومةِ اللادينية؟ .

نريدُ اليومَ مشروعًا عَمَليًّا قابلاً للتنفيذِ والبقاءِ والتأثير، وليس مجردَ هَبَّةٍ أو غَضْبَةٍ بحَسَبِ الظروفِ والأحوال، ولا مَندوحةَ عن الوصولِ إلىٰ ذلك المشروع، فهل نتداعىٰ جميعًا من أجلِ أن يرىٰ هذا المشروعُ النورَ، وأن ننصرَ دينَنَا وكتابَنا فنعملَ به ونحكِّمَ شريعتَنا في الدقيقِ والجليل، ونؤدِّبَ كلَّ مَن تُسوِّلُ له نفسُه الضالَّةُ المنحرفةُ عن سبيل الهدىٰ أن يقتربَ من حياض الإسلام؟ ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ [الحج: ٤٠][1] .

* انتشارُ النصرانية بالسَّيف :

◻ قال الأستاذ الدكتور «جعفر شيخ إدريس» في مقاله بمجلة «البيان» عدد (٢٣٠) : «نقل البابا عن الإمبراطور البيزنطيِّ كلمتَه الفاجرةَ التي قال فيها لمن زَعَم أنه مُحاوِرُه: «دُلَّني علىٰ شيءٍ جاء به محمدٌ كان جديداً، ولن تجدَ إلا أشياءَ شريرةً وغيرَ إنسانية، مثلَ أمرِه بأن تُنشرَ العقيدةُ التي جاء بها بالسيف، إن اللَّهَ لا تَسرُّه الدماءُ، ولا تَسرُّه التصرفاتُ غيرُ العقلية» .

فقلتْ سبحان اللَّه! رَمَتْني بدائها وانسلَّت، وهل عَهِدَ الناسُ أهلَ دينٍ هم أبعدُ عن العقلانية وأكثرُ ولوغًا في الدماء وفي ظُلمِ العِباد من المنتسبين إلىٰ ما يُسمُّونه بالمسيحية؟! .

رَدَدْتُ علىٰ السخافات التي جاءت في محاضرة البابا كما ردَّ عليها

(١) مجلة البيان ـ العدد (٢٣٠ ص٦ ـ ٨).

كثيرون غيري من المسلمين وغيرِ المسلمين[1] ، وبينَّا أن الحروبَ التي خاضها المسلمون كانت حروبًا ضدَّ الظلم، الظلمِ بكلِّ أنواعه، ظُلمِ المعتدين على المسلمين، وظلمِ الصادِّين الناسَ عن الدين، وظُلمِ الناقِضين لعهودٍ أبرموها مع المسلمين، ولم تكن أبدًا لإدخالِ الإيمانِ كُرهًا في قلبِ أحدٍ من العالمين.

وبينَّا أنهم لم يحاولوا ذلك؛ لأنهم عَلِموا مِن دينهم أن الإيمانَ مسألةٌ قلبية، وأنه لا مخلوقَ له سلطانٌ على قلوب العباد.

لكننا في هذا المقال نودُّ أن نقولَ للبابا: إنه كان يَجدُرُ به أن يتكلمَ عن العنف الذي استَعمله قومُه الغربيون على مرِّ الزمانِ لإكراه الناس على قبولِ دينهم وثقافتهم، ولا نريدُ أن نفعلَ كما فَعَل هو حين استَشهد على افترائه بشهادةِ رجلٍ من بني دِينه عدوٍّ حاقدٍ مغلوب، لن نستشهدَ على زَعمنا بشهادةِ رجالٍ مسلمين، وإنما سنُشهِد عليه شهداءَ من غيرِ المسلمين، فنقول:

أولاً: هذه هي المؤرِّخة الشهيرة (Karen Armstrong كيرن آرمسترونج) تكتُبُ ردًّا على محاضرة البابا تبين فيها:

١ ـ إن زَعمَ رجالِ الفاتيكان بأن غَرضَ البابا هو «أن يُنمِّي اتجاهَ احترامٍ وحوارٍ نحوَ الأديان والثقافات الأخرى، ومن البديهي نحوَ الإسلام» ليس أمرًا واضحًا في كلماتِه.. وتُشبِّهُه في هذا برجلِ دينٍ مِثلِه في القرنِ الثاني عَشَرَ وَجَّه رسالةً إلى المسلمين بدأها بقوله: «إنني أريدُ أن أُواصلَكم بالكلماتِ لا بالسلاح، وبالعقلِ لا بالعنف، بالحبِّ لا بالبغض».

(١) تجدُ كثيرًا من هذه الردود في موقع «النُّصرة ـ Ncsrp.com».

لكنه جَعل عنوانَ رسالتِه «مُلخَّص لهرطقة العرب الشيطانية كلها»، وتحدَّث فيها عن «قسوة الإسلام الحيوانية»، وزَعم أن محمدًا وطَّد أمرَه بالسيف: «هل كان محمدٌ نبيًّا حقًّا»؟ تساءل ثم أجاب: «سأكونُ أسوأَ من حمارٍ إذا وافقتُ، أسوأَ من الأنعام إذا أقررتُ».

٢ ـ تُنكِر المؤرخةُ أن يكونَ الإسلامُ قد انتَشر بالسيف، وهي صاحبةُ كتابٍ بالإنجليزية عنوانه «موجز لتاريخ الإسلام» A Short History of Islam.

٣ ـ وتُذكِّر البابا «بأن بعضَ الصليبيين الأوائلِ بدؤوا رِحلتَهم إلىٰ الأرضِ المقدَّسةِ بذَبحِ كلِّ الجماعاتِ اليهوديةِ الساكنةِ علىٰ ضِفافِ نهر «الراين»، وأنهم أنهَوا حَربَهم الصليبيةَ في عام ١٠٩٩ بعد أن ذَبحوا ثلاثين ألفَ مسلمٍ ويهوديٍّ في القدس».

ثانيًا: كَتب رئيسُ حركة الإسلام الإسرائيلية «يوري أفنيري» الذي وَصف نفسه بأنه يهوديٌّ مُلحِد ـ ردًّا علميًّا علىٰ البابا، ذكر فيه مِن بين ما ذَكَر المسائلَ التالية:

١ ـ أن الحوارَ المزعومَ أمرٌ مشكوكٌ فيه، وأن الإمبراطورَ لم يَذكرْ لنا اسمَ الرجلِ الذي حاوره.

٢ ـ أن الإمبراطور «عمانويل الثاني» الذي تولَّىٰ الحُكمَ في عام ١٣٩١ كان علىٰ رأسِ إمبراطوريةٍ تُحتضرُ؛ إذ لم يَبْقَ لها من محافظاتِها إلاَّ القليل، وكان هذا القليلُ واقعًا تحتَ تهديد الأتراك.

٣ ـ في يوم ٢٩ من شهر مايو عام ١٤٥٣ وبعد عِدَّةِ سنينَ من موتِ هذا الإمبراطور سَقطت عاصمتُه «القسطنطينية» (إسطنبول) في يدِ الأتراك.

٤ ـ إبَّان حُكمِه تجوَّل هذا الإمبراطور في أوروبا محاولاً أن يُقنعَ الأوروبيين بمساعدتِه ضدَّ الأتراك، وأن يبدؤوا حربًا صليبيةً جديدةً، واعدًا إياهم بأنه سيُوحِّدُ الكنيسة، وأن هذه الرسالةَ كُتبت في هذا الوقتِ لأسباب سياسية.

٥ ـ محاضرةُ البابا «بنديكت السادس عشر» كانت أيضًا خدمةً للإمبراطور الجديد «جورج بوش» الذي يسعىٰ لتوحيد العالَم النصرانيِّ ضدَّ محورِ الشرِّ الذي هو في غالبه مسلم، وضدَّ مجيء الأتراكِ إلىٰ أوروبا.

٦ ـ إن قضيةَ معاملةِ المسلمين لأهلِ الأديان الأخرىٰ يجبُ أن يُحكمَ عليها بسؤالٍ بسيط: ماذا فَعلوا بهم عندما كانت لهم القدرةُ علىٰ إكراهِهم علىٰ الإسلام؟ إنهم لم يَفعلوا شيئًا من هذا، لقد حَكم المسلمون اليونانَ لعدَّةِ قرون؛ فهل صار اليونانيون مسلمين؟ لقد تبوَّأ اليونانُ النصارىٰ مناصبَ كبيرةً في الإدارةِ التركية، لقد عاش البلغاريون والصِّربُ والرومانيون والهنغاريون وغيرُهم من الأمم الأوربية تحتَ الحُكمِ التركيِّ في وقتٍ أو آخَرَ، لكنَّ أحدًا لم يُكرِهْهم علىٰ الدخولِ في الإسلام، فظلوا علىٰ دينِهم النصراني.

٧ ـ في عام ١٠٩٩ تَغلَّب الصليبيون علىٰ القدسِ، وذَبحوا سُكَّانها من المسلمين والنصارىٰ ـ في ذلك الوقت ـ، وبعد ٤٠٠ عام من الحكمِ الإسلاميِّ كان النصارىٰ ما زالوا أغلبيةً في القطر.

٨ ـ ليس هناك من دليلٍ ألبتةَ علىٰ فرضِ الإسلام علىٰ اليهود، وكما هو معروفٌ؛ فإن اليهودَ تمتَّعوا تحتَ الحُكمِ الإسلاميِّ في أسبانيا بازدهارٍ

ليس له مثيل إلاَّ في ما يُقارِبُ هذه الأيام، كانوا كُتَّابًا وشعراءَ ووزراءَ وعُلماءَ، لقد كان ذاك هو عهدَهم الذهبيَّ؛ فكيف يُمكنُ لهذا أن يَحدُثَ إذا كان النبيُّ ﷺ قد أَمَر بنشر الإسلام بالسيف؟!.

٩ ـ عندما استولى الكاثوليكُ على أسبانيا مرةً أخرى، فإنهم أنشؤوا عهدًا من الرُّعبِ الديني؛ إذ إنهم خيَّروا المسلمين واليهود بين أن يتنصَّروا وبين أن يُذبَحوا أو يغادروا البلاد.. أين ذهب اليهودُ الذين فَضَّلوا البقاءَ على دينهم؟ هاجروا إلى العالَم الإسلامي، وانتشروا فيه من دولةِ «المغرب» في الغرب إلى «العراق» في الشرق، إلى «بلغاريا» (التي كانت تابعةً لتركيا) في الشمال، إلى «السودان» في الجنوب.

١٠ ـ إن كلَّ يهوديٍّ مُخلِصٍ يَعرفُ تاريخَ قومِه لا يَملِكُ إلاَّ أن يشعرَ بالعِرفانِ العميقِ للإسلام الذي حَمَى اليهودَ لمدةِ خمسين جيلاً، بينما كان العالَمُ المسيحيُّ يُعذِّبُهم ويُحاولُ إكراهَهم بالسيف على التخلِّي عن دينهم.

ثالثًا: إن استعمالَ النصارى للعُنفِ في فرضِ ثقافتِهم على غيرهم لم يَنْتَهِ بنهايةِ القرونِ الوسطى، وإنما هو أمرٌ مستمرٌّ إلى يومنا هذا، استمع إلى «هنتنجتون» وهو يقول في كتابه الشهير «صراع الحضارات» وفي صراحةٍ عجيبة: «لم يَتغلَّبِ الغربُ على العالَم بتفـوُّقٍ في أفكارِه، أو قِيَمِه، أو دينِه ـ الذي لم تَعتنقْه إلاَّ قلَّةٌ من أبناء الحضارات الأخرى ـ، وإنما غَلب بتفوُّقه في العُنفِ المنظَّم، إن الغربيين كثيرًا ما يَنْسَون هذه الحقيقة، لكنَّ غيرَ الغربيين لا يَنسونَها أبدًا».

رابعًا: إنَّ غَزْوَ الغربِ للعالم باستعمال ذلك العنف المنظَّم كان أمرًا

تواطَأَ عليه كلُّ الناس في الغرب إلاَّ ما نَدُر؛ فها هو الأستاذ «إدوارد سعيد» يُحدِّثنا في كتابه «الاستعمار الثقافي» Cultural Imperialism أنه كان أمراً تواطَأَ عليه السياسيون والمفكِّرون والفلاسفةُ والشعراءُ وكُتَّابُ القَصَصِ الشهيرةِ من أمثال «ديكنز» وغيرهم.

□ أقول: ونحن كثيراً ما نَنسىٰ أمراً يؤيِّدُ كلام «إدوارد سعيد» هذا: إن الحركةَ الإمبريالية الاحتلاليةَ للعالم كانت بقراراتٍ ديمقراطيةٍ في كلِّ البلاد الأوروبية، وإن حركةَ استجلابِ الأفارقةِ من بلادِهم واسترقاقِهم كانت أيضًا بقراراتٍ ديمقراطية - بينما لم يكن تحريرُهم بقرارٍ ديمقراطيٍّ كما يحدِّثنا «فريد زكريا» في كتابه عن مستقبل الحرية - مما يعني أن غالبيةَ ممثِّلي الأمةِ - بمَن فيهم المتدينون - كانوا مؤيِّدين لها.

خامسًا: وهذا «كيفن فيلبس» يُصدِرُ كتابًا جديداً يُسميه «أمريكا الثيوقراطية» يَذكرُ فيه حقائقَ مذهلةً عن العلاقةِ القويةِ بين الدينِ وسياسةِ أمريكا الخارجيةِ، بل والتأثيرِ الكبيرِ للدين علىٰ سياسةِ أوروبا طوالَ القرون.

□ من هذه الحقائق:

١ - أن الاستعمارَ الأوروبيَّ للعالَم - ولا سيَّما العالَمَ الإسلاميَّ - كانت له دوافعُ أو مُسوِّغاتٌ دينية، بل كانت هنالك روابطُ قويةٌ بين التوسُّعِ الإمبراطوريِّ وبين الدُّعاةِ الدينيين.. انظر إلىٰ المبشرين الذي صارت أسماؤهم رموزًا للاستعمار: «ديفيد لفنجستون» المستكشف، الجنرال «غردون» الذي ذُبح في الخرطوم، والجنرال «هنري هيفلوك» (ص٢٥٥).

٢ ـ ينقلُ الكاتبُ عن المؤرِّخ «آرثر ماروك» قوله: «إن كبارَ رجالِ الكنيسةِ أقدموا بحماسٍ على «الحرب المقدسة»، وقوله ـ نقلاً عن قسيس كاتدرائية «سنت جايلز» بأدنبرة ـ: «إن الكنيسةَ قد صارت إلى حدٍّ مؤسفٍ أداةً في يدِ الدولة، وإنه في كثيرٍ من المنابرِ الكَنَسية كان الواعظُ قد تقمَّص مهمةَ الرقيبِ العسكري المكلَّف بالتجنيد، وإن العَلَمَ البريطانيَّ ارتفع على كلِّ أماكن العبادةِ في طولِ البلاد وعَرضَها» (ص٢٥٥).

٣ ـ أما الدوافعُ الدينيةُ لبوش وجماعتِه في سياستهم الخارجية ـ بل والداخلية ـ، فأمرٌ لا شك فيه ـ كما يُبيِّنُ الكاتب ـ، فهو يقول: إنه ثَبَت عن بوش قوله: «أعتقدُ أن اللَّهَ يتكلمُ بوساطتي، ولولا ذلك لما استطعتُ أن أؤدِّي مهمتي».

وينقلُ عن «توم دي لاي» قوله: «إن اللَّهَ يستعملُني دائمًا وفي كلِّ مكانٍ للدفاع عن نظرةِ الكتاب المقدسِ العالمية في كلِّ ما أفعلُ وحيثما كنت، إنه هو الذي يُدرِّبُني».

٤ ـ قُبيلَ الهجومِ الأمريكيِّ على العراق في عام ٢٠٠٣ كَتبت مجلة «نيوزويك» مقالاً عن رِحلة «بوش» من العَرْبدة إلى التدين، ذَكَرَتْ فيه أن الرئيسَ ينغمسُ كلَّ صباحٍ في قراءةِ مواعظَ تبشيريةٍ للواعظ الأسكتلندي المتجول «أوزولد شيمبرز» الذي كان قد قَضى أيامَه الأخيرة في وعظِ الجنودِ الأستراليين والنيوزيلنديين الذين كانوا قد حُشدوا في مصر في عام ١٩١٧ تمهيدًا لغزو فلسطين والاستيلاء على القدس في يوم عيد الميلاد.

٥ ـ بعد عامٍ من استيلاءِ الجيشِ الأمريكيِّ على بغداد كانت هناك ثلاثون منظمةً تبشيريةً، كما وَجدت جريدة «لوس أنجلوس تايمز» في

استطلاعٍ لها أَخبَرَها فيه المديرُ الإداري لرابطة المبشِّرين القومية: «أن العراقَ سيكونُ المركزَ الذي تنتشرُ منه رسالةُ المسيح عيسىٰ إلىٰ إيرانَ وليبيا وكلِّ مكانٍ في الشرق الأوسط».

□ وقال مسؤولٌ في منظمةٍ أخرىٰ: «إن الأحوال في العراق: حربٌ من أجل الأرواح».

ولهذا فإنه في غُضونِ سنتين انطلقت سبعُ منظَّماتٍ تبشيريةٍ في بغداد وحدها.

□ أقول: إن ما يحدثُ في العراق هو ديدنُ الحركةِ الإمبريالية منذ بداياتها، إن قوَّاتِها تكونُ دائمًا هي الحاميةَ للمنظماتِ التبشيريةِ، حَدَث هذا في السودان حينَ انتشرت المنظَّماتُ التبشيرية في الجنوبِ، وكان من نتائجِ ذلك ما كان، وهي تنتشرُ الآن في «دارفور».

□ وأقول: إذا لم يكن كلُّ هذا نشرًا للمسيحية بالسيف؛ فلستُ أدري ما معنىٰ النشرِ بالسيف؟ لقد كنا نُقلِّلُ من أهميةِ الدافعِ الدينيِّ في السياسةِ الخارجيةِ الغربية، وأعتقدُ أن الأمرَ - كما يظهر - إنما هو مطامعُ اقتصاديةٌ ونزواتٌ سياسية، لكنَّ عزاءَنا أنه هكذا كان يَظنُّ كثيرٌ من علماءِ السياسة ومُنظِّروها من الغربيين أنفسِهم كما يقول صاحبُ هذا الكتاب، حتىٰ كان غُلُوُّ «بوش» هو الذي نَبَّههم إلىٰ أن الأمرَ ليس كما كانوا يظنون، وأنه إذا كان «بوش» قد غلا في الأمر، فإنه ليس أولَ مَن بدأه، وإنما هو شيءٌ دَرَجَتْ عليه السياسةُ الغربيةُ، ولا سيَّما فيما يتعلقُ بالعالم الإسلامي.

فماذا بعد أنِ انتبهنا وعَرَفنا الحقيقة؟»[1] اهـ.

(١) «مجلة البيان» عدد (٢٣٠) (ص٤٨ - ٥٠).

لهذا لم يَعتذرِ البابا.. ولهذا لم تَرتَدعِ الدانمارك

□ تحت هذا العنوان كتب الدكتور عبدالعزيز حامد يقول: «تتوالىٰ طُعونُ الغربيين النصارىٰ عَبْرَ السنواتِ والشهور الأخيرة بشكلٍ لافت، إلىٰ كلِّ مقدساتِ وحرماتِ المسلمين، في حَملةٍ حضاريةٍ وثقافيةٍ صليبية، تتزامَنُ مع الحملةِ العسكرية والأمنية، فبَعدَ جريمةِ الرسوم المسيئةِ إلىٰ الرسول ﷺ في الدانمارك منذ عام، خَرج الفاتيكان بموقفٍ أشنَعَ، لم يُمثِّلْه مجردُ رسَّامٍ هابط، أو كاتبٍ باحثٍ عن الشهرة، أو صحيفةٍ تريدُ الرَّواج، وإنما صَدَر من أكبرِ رأسٍ دينيٍّ نصرانيٍّ في العالَم الكاثوليكيِّ، في تصريحاتٍ قبيحة، تَنُمُّ عن عداوةٍ صريحةٍ، تَحَوَّل بها العَداءُ الخاصُّ إلىٰ استعداءٍ عام، في نوعٍ من توزيعِ الأدوار بين طوائفِ النصارىٰ الثلاث، فالبروتستانت الأمريكان - علىٰ ما يَظهَر - تفاهموا مع رأسِ الكنيسة الكاثوليكية في العالَم «البابا بنديكت السادس عشر» علىٰ أن يَنضمَّ إلىٰ الحملةِ العالميةِ ضدَّ الإسلام، ولكن في جانبها الفِكريِّ والثقافي، ولم يتأخَّرِ «البابا» في تقديمِ هذه الخدمةِ لأمريكا، اتساقًا مع الدَّورِ المشبوهِ للفاتيكان منذ أيام البابا السابق، في خدمةِ أهدافِ أمريكا، أثناءَ صراعِها مع الاتحاد السوفيتي السابقِ ودولِ أوروبا الشرقية، لكنَّ البابا أدَّىٰ الخدمةَ بخُبثٍ أشدَّ مما أُريدَ منه، وهو أنه باعتبارِه رأسًا للديانةِ الكاثوليكية، ومتواطِئًا مع التوجُّهات البروتستانتية، تحدَّث عن الرسول ﷺ بـ«قِلَّة أدب» أرثوذكسية؛ إذ إنَّ ما نَقَله من نصوصٍ حاقدةٍ، إنما نَسَبه إلىٰ إمبراطورٍ أرثوذكسي، لتجتمعَ أحقادُ الطوائفِ كلِّها في موقفٍ موحَّد.. فالمتحدِّثُ يُمثِّلُ

الكاثوليكية، وصاحبُ النص من كبارِ الأرثوذكسية، لحسابِ أصحابِ المشروعات البروتستانتية الإجرامية.

ولم يَكَدِ العالَمُ الإسلاميُّ يسترخي بعد انتفاضَتِه وغَضْبَتِه الثانية، بصورةٍ شعبيةٍ عالميةٍ انتصاراً لنبيِّه ﷺ بعدَ تصريحاتِ بابا الفاتيكان، حتى شَرَع الطاعنون الحُقَراءُ من طَرَفِ الحكومةِ الدانماركية اليمينيةِ البروتستانتيةِ في معاودةِ الإساءةِ للرسول ﷺ مرةً أخرى، وبطريقةٍ أخسَّ وأنجسَ مما أقدَموا عليه في العام الماضي؛ إذ رَتَّبت إحدى منظَّماتِ الشبيبةِ التابعةُ للحزب الحاكم في الدانمارك «مسابقةً» لأكثرِ الرسومِ سخريةً وهُزءً برسول الإسلام ﷺ!! والتفاصيلُ في الموقِفَينِ الحقيرَينِ الأخيرَينِ للبابا ولدولة الدانمارك أصبحت معروفةً للجميع.

لكنَّ خطورةَ الأمر، لم تَعُدْ مُقتصرةً على أفعالٍ عَدائيةٍ مقصودةٍ منهم، ثم ردودِ أفعالٍ تلقائيةٍ محدودةٍ في تداعياتها وآثارِها من طرفنا، وإنما تعودُ الخطورةُ إلى تحوُّلِ التطاوُل إلى ظاهرة تتَّسمُ بالعِناد والتنوع، وبالاطِّرادِ والتصعيدِ بشكلٍ متتابعٍ يُحاولُ أن يُحوِّل الظاهرةَ المنكرةَ إلى شأنٍ عاديٍّ وسلوكٍ مقبولٍ باسمِ «الحرية».

والهدفُ في النهاية تَعجيزُنا عن الدفاعِ عن أعزِّ ما لدينا من رموزٍ وقيمٍ وعقائد.

* **اعتداءاتٌ بلا اعتذار... واحتجاجاتٌ بلا آثار:**

عندما أقدم الدانماركيون على جريمتِهم الأولى في العام الفائت، وطُولبوا بالاعتذار؛ امتَنعوا جميعًا من الاعتذار، بدءً من المَلِكة ثم رئيس

الوزراء، ثم الصحيفةِ التي نَشرتَ الرسومَ المسيئة. . . ولم يكن في وُسعِ المسلمين في العالم إلاّ أن يُظهِروا الاحتجاجَ عن طريقِ المُظاهَراتِ السِّلمية والمقاطعةِ الاقتصاديةِ للبضائع الدانماركية. . ولكن ماذا كانت النتيجة. . ؟!

لقد اختلفنا ـ نحن المسلمين ـ فيما لا ينبغي أن يُختلفَ فيه بعدَ زمنٍ قليلٍ من الحماس، وراح كلٌّ صاحبِ اجتهادٍ يحاولُ فَرضَ اجتهادِه على الأمةِ الغاضبة، حتى فُرِّغ هذا الغضبُ من مضمونه وتَمَيَّعَتِ القضية، وفَتَرَ الحماسُ للمقاطعة، بل بدأ البعضُ بتصنيف الشركات الدانماركية إلى شركات «معادية»، وشركات «محايدة» وشركات أخرى أصبحت «صديقة» لأنها «اعتذرت» بالنيابة عن المَلِكةِ ورئيسِ الوزراءِ والحكومةِ اليمينيةِ والصحيفةِ الصهيونية!!.

ولما كانت الجماهيرُ قد عَرفت القليلَ من أسماءِ أشهرِ المنتجات الدانماركية التي تُشكِّلُ قيمةً في اقتصاد الدولةِ المعتديةِ على ديننا، فقد كان من الصعبِ أن تُكلِّفَ تلك الجماهيرُ بعمليةِ «تحري» الحلال من الحرام فيمن يُتعاملُ معه ومَن لا يُتعامل معه، وفقَ تقسيماتِ الشركات الدانماركية، وانتَهزت المحلاتُ المستفيدةُ من ترويج تلك البضاعةِ في بلاد المسلمين من ذلك الاختلاف، فالتفَّت على المقاطعة، والفضلُ يعودُ إلى الفتاوى والمواقف المتميِّعة!.

وقد أظهر هذا الارتباكُ ردودَ الفعلِ الإسلاميةِ على أنها مجردُ تشنُّجاتٍ وقتيَّةٍ وعواطفَ آنِيَّةٍ، سَرعانَ ما تتلاشى سُحُبُها في سماءِ الرغباتِ والشهواتِ غير الحاجية أو الضرورية.

والسؤالُ هنا: كيف فَرَّطنا في سلاحٍ ماض ـ هو المقاطعة ـ كان يمكنُ أن يُؤدَّب به الدانماركيون حتى لا يتجرؤوا على إعادةِ الكرَّة مرةً أخرى؟!.

الذي حَدَث أن الدانماركيين عادوا إلى الجريمة بشكلٍ أشنع ومن طريقٍ لا يَبعُدُ عن تواطؤِ الحكومةِ نفسِها التي تمادت في التحدي؛ لأن مَن أَمِنَ العقوبةَ أساء الأدب.

ومِن غير المتوقَّعِ أن تَعتذِرَ في المرة الثانية... بعد أن امتَنَعت في المرة الأولى ولم تَجِدْ ما يَردعُها، فلا سفارةٌ أغلقت، ولا علاقةٌ قُطعت، ولا مقطاعةٌ رسميةٌ اتُّخذت، ولا شعبيةٌ استمرت!.

أما بابا الفاتيكان، فقد أثار الاستهجانَ بعدمِ اعتذارِه أكثرَ مما أثاره بتصريحاته، وقد فُوجئ الكثيرون بإصرارِ البابا على عدمِ الاعتذار الصريح، والشيءُ الذي ربما لم يُدرِكْه الكثيرون من المسلمين، أن مَن أَجرَمَ في حقِّ النبي الخاتمِ المعصوم ﷺ، قد فعل ذلك وهو معتقِدٌ في نفسه ويعتقدُ فيه أتباعه أنه هو المعصوم!!

فبابا الفاتيكان في ديانةِ الكاثوليك «إنسانٌ لا يخطئ»!! هكذا يقولون وهكذا يعتقدون!!.

*** ما ذَنبُنا نحن..؟!**

لأن باباهم لا يخطئ؛ فليس من حقِّنا أن نَطلَبَ اعتذارَه وهو «المعصوم»؟ مع أن سابِقه المشؤوم؛ اعتَذَر لليهودِ عن اضطهاد الكنيسة لهم عَبْرَ التاريخ؛ فهل كان بابواتُ تلك الكنائس يومَها غيرَ معصومين؟! وهل كان هو قَبلَ اعتذارِه غيرَ معصوم؟! لقد اعتَذَر أيضًا على المَحْرَقَة اليهوديةِ

وأدانها، مع أن سابقَيه لم يفعلوا ذلك. . أما الخطأ في حقِّ المسلمين، فإنه ليس بخطأ. . لا في الحروب الصليبيةِ القديمةِ التي لم يَعتذر عنها البابا السابق. . ولا في الحرب الصليبيَّةِ الجديدةِ التي لم يُدِنْها البابا الحاليُّ.

ربما لم يُدرِكْ بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» اتساعَ الأصداءِ السلبية لتصريحاتِه القبيحةِ عن الإسلامِ ونبيِّ الإسلام ﷺ، ولكنه في الوقت نفسه، كان يُدرِكُ جيداً أن هذه الأصداءَ من الاحتجاجاتِ والمظاهراتِ والتصريحاتِ، مهما تضاعَفَت؛ فإنها لن تُرغِمَه، ولا يَصلُحُ أن تُرغِمَه؛ على الاعترافِ بالخطأ، ومِن ثَمَّ الاعتذار عنه؛ لأن ذلك يعني ببساطةٍ أنه تنازَلَ بإرادته عن صِفةٍ يتفرَّدُ بها عن بقية البشرِ الساكنين على الأرض وهي صفةُ «العصمة من الخطأ»!!.

لقد صدر «قرار» مَجْمَعِ قساوسة الفاتيكان في عام ١٨٧٠ للميلاد بعِصمة البابا، فأضاف عقيدةً جديدةً إلى المَذهب، لم يكن يَعلمُ بها البابواتُ القُدامى منذ بدأت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ حتى ذلك العام!.

ومنذ صَدر ذلك القرار، والعالَمُ النصرانيُّ الكاثوليكيُّ يعيشُ تحتَ ولايةٍ دينية «معصومة» برغمِ كلِّ الجرائمِ والحروبِ وأنواعِ الإفسادِ التي باركها البابواتُ طيلةَ هذه السنين، وبرغم ما اشتُهر من أخطاءَ وخطايا لبعضِ البابوات، كان منها عَزْلُ بعضهم، وعدمُ الاعتراف ببعضهم، وتعدُّدُ المتولِّين للبابَويةِ في زمنٍ واحدٍ بسبب التنافسِ على المنصب.

لقد فَلْسَفَ المُحرِّفون لدينِ النصرانية هذه العِصمةَ لبابا الكاثوليك دون بقيةِ البابوات في الطوائفِ لأخرى، مُستنِدين إلى أن «الروح القدس» - أي

جبريل عليه السلام - يؤدِّي وظيفةَ الوحي الذي لم يَنقطع عن طريقِ الكنيسةِ ورِجالاتها، ممثَّلين في شخصِ البابا، وبما أن «الإيمان» في العقيدةِ النصرانية يقومُ على ثلاثةِ أُسس، هي: الإيمان بـ «الأب، والابن، والروح القدس»، فسيَظلُّ تطبيقُ الأساسِ الثالثِ مرتبطًا بعصمةِ البابا الذي له وضعيَّةٌ خاصة مع «الروح القدس» كم يزعمون، وأيضًا لأن ذلك البابا - من ناحيةٍ أخرى - هو النائبُ المفوَّضُ للقيامِ بوظيفة «بطرس الرسول» أحدِ تلاميذ المسيح عليه السلام، الذي يَدَّعون أن عيسى قال له: «فوقَ هذا الهيكل - يعني: الجسد - سوف أبني كنيستي»، يعني ستكونُ كنيسةُ المسيح في المكان الذي سيموتُ فيه، ولما كانت وفاةُ «بطرس» في روما، فقد أصبح لروما - أو جزءٍ منها وهو الفاتيكان - خصوصيةٌ كَنَسِية، وهي خصوصيةٌ تَرْقَى إلى أن يكونَ المسؤولُ الأولُ عن تلك الكنيسةِ مُفوَّضًا عن الإلهِ في الحلِّ والربطِ، مثلَما فَوَّض المسيحُ تلميذَه «بطرس» بذلك، عندما قال له - كما يُدَّعى -: «وأُعطيك مِفتاحَ ملكوتِ السماوات، فكلُّ ما تربِطُه على الأرض يكونُ مربوطًا في السماوات، وكلُّ ما تَحُلُّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات» [إنجيل متَّى ١٦ - ١٩].

إن بابا الفاتيكان الذي يَعتقدُ في نفسه، ويَعتقدُ فيه أتباعُه أنه واسطة «الروح القدس» وخليفةُ «الرسول بطرس» قد صَدَّق أن لديه تفويضًا من اللَّه، يَحُلُّ ما يَحُلُّ، ويَربِطُ ما يربِط كما يشتهي، فاتَّجه إلى دينِنا يَحُلُّ فيه ويربط، ويُرغي فيه ويُزبِد، ولهذا قرَّر - بناءً على قرارِ العصمة - أن العقيدةَ في الإسلام لا تتماشى مع المنطق أو العقل، وأن الإسلامَ الذي يَدينُ به

خُمْسُ سكانِ العالم، إنما انتشر بالإكراه، وتحتَ التهديد بحدِّ السيف.

*** لا أملَ في الاعتذار.. لكن لابدَّ من إعذار:**

نعم! لا أملَ في اعتذار البابا هذه المرة، ولا في المراتِ التالية من التطاولِ علىٰ الإسلام؛ فقد نصَّ قرار «العصمة» علىٰ أن «الحَبْرَ الرومانيَّ رأسَ مَجْمَعِ الأساقفة، يَنْعَمُ بالعصمة بحُكمِ وظيفته عندما يُعلنُ التعليمَ المتعلِّقَ بالإيمان والأخلاق، بصفته أعلىٰ راعٍ ومعلِّمٍ للمؤمنين.. إن تعاليمَ الحَبرِ الأعظمِ الصادرةَ عنه شخصيًّا بصفتِه بابا، غيرُ قابلةٍ للتعديلِ أو المراجعة من أي سلطانٍ آخر، كَنَسِيًّا كان أو بشريًّا»[(١)] .

لا أملَ أيضًا في أن تعتذرَ الحكومةُ الدانماركية عن إساءاتها السابقةِ، أو إساءاتِها اللاحقة.. لأنها ـ باختصار ـ لم تَجِدْ مَن يُوقفُها عند حدِّها، لكن لابد لأمةِ المليار، أن تُقدِّمَ الإعذارَ إلىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ بطريقةٍ أخرىٰ غيرِ رجاءِ الأشرارِ بالاعتذار، ولن نَعدِمَ حِيلةً، إنْ كنَّا مؤمنين حقًّا بنُصرةِ رسولنا ﷺ نصرًا يَليق بأعظمِ إنسانٍ مَشىٰ علىٰ الأرض؛ فهل هان علينا رسولُ اللَّه ﷺ، حتىٰ نَعجِزَ عن الانتصار له..؟!.

*** ﴿إِلاَّ تنصرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾** [التوبة: ٤٠]، **﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** [محمد: ٣٨]»[(٢)] اهـ.

*** لغةُ الهزيمة:**

لغةُ الهزيمة لغةٌ وضيعةٌ، تسقطُ فيها كلُّ ألوان العزَّةِ والكرامة..!

---

(١) نقلاً عن كتاب «نور الأمم» (ص٢٢).

(٢) «مجلة البيان» ـ العدد (٢٣٠) ـ (ص٧٦ ـ ٧٧).

لغةُ الهزيمة لغةٌ تافهــة، مُقيَّدةٌ بإســارِ التَّبَعيةِ، لا تُجيــدُ إلاَّ المحاكاةَ والتقليدَ الأعمىٰ.

إنها آيةٌ من آياتِ السقوطِ الفكريِّ والإنسانيِّ، تتقاصرُ بكلِّ مهانةٍ عند مخاطبةِ مَن يُسمُّونهم بالآخَر، وتتعالىٰ بكلِّ قسوةٍ علىٰ الأهل والأصحاب، فعُقدةُ تحقير الذات تحاصرُها من كلِّ زاوية.

خَبَرْنا هذه اللغــةَ رَدْحًا طويلاً من زمن العنتريَّات العُروبية الثورية، وها نحن نَجني ثمراتِها في الخِطابِ الليبرالي المتزيِّن بقُبَّعةِ الغرب.

خَبَرنا هذه اللغة؛ فهي ليست جديدةً علينا، لكنَّ المؤسفَ حقًّا أنَّ بعضَ معالمِ ذلك الخطابِ المنهزمِ بدأ يتسلَّلُ أحيانًا إلىٰ بعضِ رُوَّاد الخِطابِ الإسلاميِّ، ممَّن كان ينبغي أن تكونَ العزَّةُ شعارَه والأنَفَةُ دثارَه؛ فصار بعضُ خطابِه واهِنَ القوىٰ، مخفوضَ الصوت، يَسري علىٰ استحياء!.

❑ وحسبُنا ها هنا أن نذكِّر ببعض الأمثلة:

فبعدَ الهبَّةِ الشعبيةِ لنُصرةِ النبيِّ الخاتم ﷺ، وبعدَ أزمةِ الرسومِ الدانمركيةِ، ظهرت عند بعضِ المفكِّرين والدعاةِ لغةٌ اعتذاريةٌ باردةٌ لا يَخفىٰ ضَعْفُها، بل لا يَخفىٰ انحرافُها: «فنحن نحبُّ السلام، ونحترمُ جميعَ الأديان وندعو إلىٰ التعايش، ولا نستعدي الآخرين، ولا ندفعُ العالم إلىٰ الصراعِ الحضاري؛ فلماذا تَستفزُّون شعوبَنا»؟!.

وعندما تجرَّأ بابا الفاتيكان وانتَقد الإسلام، وعرَّض بالنبيِّ ﷺ، بادَرَ بعضُهم للمطالبة بالهدوء وعدمِ التشنُّج، ودعا إلىٰ الحوار والاعترافِ بالآخر، وأنه لا سبيلَ لإطفاءِ التطرُّفِ من الطرفين إلا بالتقارُبِ بين

العقلاء، بل نَهىٰ بعضُهم عن تكفيرِ النصارىٰ، وعَدَّ ذلك من الإجراء الذي لا ينبغي ذِكرُه في هذه المرحلة!.

وعندما زعم البابا أن الإسلامَ انتَشر بحدِّ السيف، بادَرَ بعضُهم إلىٰ نفي التُّهمة، وأنكرَ «جهادَ الطلب»، وقَصَر الجهاد في الإسلام علىٰ «جهاد الدفع» فحسب.

وعندما دَخل بعضُ الإسلاميين حَلْبَةَ المُعتَرَكِ السياسي، شَنَّ العلمانيون هجومًا شرسًا علىٰ المشروع الإسلاميِّ وما أسمَوه بـ «الدولة الثيوقراطية»، فلم يَجِدْ بعضُ هؤلاء إلاَّ المناداةَ بالدولةِ المَدَنية، ونحوَ ذلك من الشعارات الانهزامية!.

إنَّ هذه الانهزاميةَ تُرسِّخُ نمطًا من أنماطِ التَّبَعةِ التي هَمُّها إرضاءُ الناس، ولا تلتفتُ كثيراً إلىٰ رضا الخالقِ سبحانه وتعالىٰ.

صحيحٌ أن زمنَ الاستضعاف له فِقهُهُ أولوياتُه، لكن لم يَقُلْ أحدٌ من أئمةِ العلمِ: إن تحريفَ الدينِ أو التنازلَ عن بعضِ أصولِه وأحكامِه مِن الفقهِ في شيءٍ؛ فمَن لم يستطعْ أن يقولَ الحق، فلا يجوزُ له أن يقولَ الباطل»[1].

أَفَتَنتشرُ هذه اللغةُ وتَصيحُ لها الأبواقُ، بينما مَكْرُ الليلِ والنهارِ قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ من كلِّ غربيٍّ صليبيٍّ: «بوش»، «كونداليزارايس» - ابنة القس -، «ديك تشيني»، «دونالد رامسفيلد»، والمخطِّطَيْنِ البارزَين أعدىٰ أعداء الإسلام «كارل روف» و«بول وولفويتز»؟!.

---

(١) «مجلة البيان» - لعدد (٢٣٠) (ص٥).

*** البابا بنديكت السادس عشر :**

◻ قال الدكتور باسم خفاجي في كتابه «لماذا يكرهونه؟» : «تَزَعَّم البابا «بنديكت السادس عشر» مؤخَّرًا الهجومَ على الإسلام من جديد، وهو أعلى رمزٍ دينيٍّ في الغربِ المسيحي، اختار البابا أن تكونَ مقدِّمةُ محاضرتِه التي ألقاها في جَمْعٍ من العلماء الألمان في جامعة «ريجينسبرج» يوم ١٢ من سبتمبر ٢٠٠٦م عبارةً عن هجومٍ صريحٍ على نبيِّ الإسلام ـ نَقَلها عن غيره ـ قائلاً : «أَرِني ماذا قدَّم محمدٌ من جديد، سوف لن تجدَ إلاَّ أموراً شيطانيةً وغيرَ إنسانية، مِثلَ أوامرِه التي دعا إليها بنشرِ الإيمان عن طريق السيف» .

المدهشُ أن المحاضرةَ كانت عن العلاقةِ بين «الإيمان والمنطق» وأهميةِ الحوارِ بين الثقافاتِ والأديان، فهل كان اختيارُ الهجومِ على النبيِّ ﷺ مصادفةً، أم خطأً غيرَ مقصودٍ من الرمزِ الغربيِّ الأعلى للمسيحية المعاصرة؟! .

اختار البابا أن يُقدِّمَ لمحاضرتِه باقتباسٍ طويلٍ من أحدِ الكُتب التاريخية، عن أهميةِ استخدامِ المنطقِ في التعرُّفِ على وجودِ الإله، ولم يكنْ الاقتباسُ إلاَّ هجومًا غيرَ مبرَّرٍ على النبيِّ وعلى الإسلام، لقد قَدَّم البابا محاضرتَه قائلاً العباراتِ التالية نقلاً عن النصِّ الرسميِّ الصادر عن الفاتيكان للخطاب : «لقد تذكرتُ ذلك [التفكيرَ في العلاقةِ بين المنطقِ والإله] عندما كنتُ أقرأُ مؤلَّفَ البروفيسور «تيودور خوري» الذي يتحدَّثُ في جزءٍ منه عن الحوارِ الذي حَدَث ربما عام ١٣٩١م في الخنادقِ الشَّتويةِ بالقُربِ من «أنقرة»، بين الإمبراطورِ البيزنطيِّ المفكِّر «عمانويل الثاني باليولوجس» وبين أحدِ المثقَّفين الفُرس عن موضوعِ المسيحيةِ والإسلام،

وحقيقةِ كلٍّ منهما.

من المحتَمَلِ أن الإمبراطورَ نفسَه هو مَن رَتَّب هذا الحوارَ خلالَ فترةِ حصارِ القسطنطينية بين عامَي ١٣٩٤م و١٤٠٢م، ولعلَّ ذلك ما يُفسِّرُ أن نقاطَ الإمبراطور كانتَ أكثرَ تفصيلاً من ردودِ المثقَّفِ الفارسي، لقد دار الحوارُ بتوسُّعٍ حولَ أُسسِ الإيمانِ في كلٍّ من الإنجيل والقرآن، وتَركَّزَ خاصةً حولَ صورةِ الإلهِ وصورةِ الإنسان، مع العَودةِ بشكلٍ متكررٍ إلى العلاقةِ بين «كتب التشريعات الثلاثة»: العهد القديم، والعهد الجديد، والقرآن.

قال البابا: «إنني في هذه المحاضرة أودُّ أن أناقشَ نقطةً واحدة ـ قد تكونُ هامشيةً بالنسبة إلى ذلك الحوارِ نفسه ـ ولكنني وجدتُها بالنسبة إلى موضوعِ «الإيمان والمنطق» مثيرةً للاهتمام، ويمكنُ أن تُفيدَ كنقطةِ بدايةٍ لتأمُّلاتي حول هذا الموضوع.

ففي النقاشِ السابعِ والذي حَرَّره البروفيسور «خوري»، يُناقشُ الإمبراطورُ فِكرةَ «الجهاد» (الحرب المقدسة). لابد أن الإمبراطورَ كان يعرفُ سورة البقرة التي تنصُّ على: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إنها واحدةٌ من سُور الفترة الأولى [من الرسالة] عندما كان محمدٌ بلا قوَّةٍ وتحتَ التهديد، ولكنْ من الطبيعيِّ أن الإمبراطورَ أيضًا كان يعرفُ التعاليمَ التي تكوَّنت فيما بعدُ، والتي دُوِّنت في القرآنِ بخصوصِ الحربِ المقدسة.

وبدون الانزلاقِ إلى التفصيلاتِ ـ مثلِ اختلافِ المعاملةِ الذي مُنح لـ«أهل الكتاب» عن «الكفار» ـ، فقد واجَهَ الإمبراطورُ مُحاوِرَه بأسلوبٍ مباشرٍ وجافٍّ ـ إلى حدٍّ ما ـ حولَ السؤالِ المِحوريِّ عن العلاقةِ بين الدين

وبين العنفِ بوجهٍ عامٍّ من خلالِ هذه العبارات، وأنا أنقلُها هنا: «أرِني ماذا قدَّم محمدٌ من جديد، سوف لن تَجِدَ إلاَّ أموراً شيطانيةً وغيرَ إنسانية، مِثلَ أوامرِه التي دعا إليها بنَشرِ الإيمانِ عن طريقِ السيف». . واستمرَّ الإمبراطورُ يَشرحُ بالتفصيل كيف أن نَشْرَ الإيمانِ من خلالِ العنفِ أمرٌ غيرُ منطقيٍّ، إن العنفَ لا يَتناسبُ مع طبيعةِ الإله، وكذلك طبيعةِ الروح، ويقول [الإمبراطور]: «إن الإلهَ لا يَفرحُ بإراقةِ الدماء، والتصرفُ بشكلٍ غيرِ منطقيٍّ هو مخالفٌ لطبيعةِ الإله، إن الإيمانَ يُولَدُ من الرُّوح، وليس من الجسد، إنَّ مَن يدعو شخصًا ما إلىٰ الإيمانِ يَحتاجُ إلىٰ القُدرةِ علىٰ الحديثِ الجيِّدِ والتفكيرِ المنطقيِّ المقبولِ دون عنفٍ أو تهديدات. . لكي تُقنعَ نفسًا عاقلةً، لا يحتاجُ الشخصُ إلىٰ ذراعٍ قوية، أو سلاحٍ من أيِّ نوعٍ، أو أيِّ وسيلةٍ أخرىٰ لتهديدِ شخصٍ ما بالموت. . ».

إن الفكرةَ الغالبةَ في هذا الحوارِ ضدَّ التحوُّلِ [إلىٰ دينٍ ما] بالعُنف هي التالي: إن عدمَ التصرفِ طبقًا للمنطقِ أمرٌ مخالفٌ لطبيعةِ الإله، ويلاحظُ محرِّرُ الكتاب «تيودور خوري»: بالنسبةِ للإمبراطورِ البيزنطيِّ الذي تَشكَّلَ فِكرُه من خلالِ الفلسفةِ اليونانيةِ، فإن هذه العبارةَ تُدلِّلُ علىٰ نفسِها، أما بالنسبةِ للتعاليمِ المُسلمةِ، فإن الإلهَ «لا محدود»، إن إرادتَه لا تَحُدُّها أيٌّ من تقسيماتنا، حتىٰ فيما يَتعلَّقُ بممارسةِ المنطق، ويَنقُل هنا «خوري» عن الكاتب الفرنسي المهتمِّ بالإسلام «أر. أرنالدز» إشارتَه إلىٰ أن ابنَ حزمٍ قد وَصَلَ إلىٰ درجةِ القول: إن الإلَهَ لا تَلزمُه حتىٰ وُعودُه هو، وليس هناك ما يُجبِرُه أن يُوضِّحَ لنا الحقيقة، وإذا شاء الإلهُ، فيمكنُ أن نُجبَرَ علىٰ ممارسة

عبادة الأصنام».

انتهىٰ هنا كلامُ البابا المتعلِّقُ بالإسلام ونبيِّ الإسلام والجهاد، وهي عباراتٌ أثارت حَفيظةَ المسلمين في كلِّ أنحاءِ العالم، ولكنه رَفَض أن يعتذرَ عنها بشكلٍ صريحٍ وواضح.

إن مواقفَ هذا البابا من الإسلام معروفةٌ مسبَقًا، ولكنَّ الأمةَ الإسلاميةَ آثرت في السابق أن تُعطِيَ لهذا البابا فرصةَ إعادةِ النظرِ في تلك المواقفِ بعدَ أن تولَّىٰ أعلىٰ المناصبِ الدينيةِ في العالَم الغربي.

☐ إن هذا البابا هو مَن عارَضَ ـ وبشدَّةٍ ـ دخولَ تركيا إلىٰ الاتحاد الأوربي، ولم يَتنازل عن هذا الموقفِ حتىٰ الآن، وكان تفسيرُه لتلك المعارضةِ أن تركيا «تنتمي إلىٰ دائرة ثقافية أخرىٰ»، وأن دخولَ تركيا إلىٰ الاتحادِ الأوروبي سيكون «خطأً جسيمًا يَسيرُ عكسَ أمواجِ التاريخ»، فهل كان يُشيرُ إلىٰ التاريخِ الذي وَقَف فيه العثمانيون علىٰ أبواب «فيينا»؟، أم تاريخِ الحروب الصليبية التي تَسبَّبت في قتلِ مئاتِ الآلافِ من المسلمين بدعوىٰ نَشرِ المسيحية؟.

إن هذا البابا يَبحثُ عن إحياءِ أوروبا المسيحية، ولا أتمنىٰ أن يكونَ بحثًا في طيَّاتها عن أوروبا الصليبيةِ مرةً أخرىٰ، إنه يُنقِّبُ دائمًا في التاريخ عن ذلك، ويَنوي بعد كلِّ ما قال أن يَزُورَ تركيا أيضًا في شهر نوفمبر القادم، **«وإذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شئتَ»**.

☐ إن هذا البابا قد كَتَب في عام ١٩٩٦م أن «الإسلام لا يمكنُ أن يتعايشَ مع العالم المتمدِّن»، فهل هذا هو احترامُ الإسلام الذي يَقصِدُه هذا

البابا؟ إنه نفس البابا الذي هاجَمَ في العام الماضي قياداتِ المسلمين في ألمانيا بدعوىٰ أنهم قد فَشِلوا في «إبعاد أبنائهم عن ظلامِ البربرية الجديدة». . حقًّا إنه يحترمُ مشاعرنا! .

◻ وفي اجتماعٍ سِرِّيٍّ عُقد في مدينة «كاستيل جوندولوفو» الإيطالية بحضور البابا في سبتمبر من عام ٢٠٠٥م، وحَضَره أحدُ الأساقفةِ من «فلوريدا» بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو الأسقف «جوزيف فيسيو»، نَقَل هذا الأسقفُ أن البابا تَحدَّث في الاجتماعِ المُغلَقِ عن الإسلام، وذكر أن البابا أعرَبَ من رأيهِ أن الإسلامَ «بخلافِ كلِّ الأديان الأخرىٰ لا يمكنُ إصلاحُه، ولذلك فهو لن يتوافَقَ أبداً مع الديمقراطية؛ لأن حدوثَ ذلك يقتضي إعادةَ تفسيرٍ جَذريةً للإسلام، وهذا مستحيلٌ بسببِ طبيعةِ القرآنِ نفسِه وعلاقةِ المسلمين به».

وعندما ناقَشَه أحدُ الأساقفة أن ذلك ما يزالُ ممكنًا، اعتَرَض البابا بوضوحٍ كما ينقُل عنه الأسقف «جوزيف فيسيو» قائلاً: إن البابا عَلَّق علىٰ ذلك بهدوءٍ ووضوحٍ قائلاً: «هناك مشكلةٌ أساسيةٌ في هذا الرأي، أن الرؤيةَ التاريخيةَ الإسلاميةَ تؤمنُ أن اللَّهَ قد أَنزل كلماتِه علىٰ محمدٍ، وأنها كلماتٌ باقيةٌ إلىٰ نهايةِ الزمان، وهي ليست كلماتِ محمد. . وبالمقابل فإن هناك منطقًا داخليًّا للإنجيل المسيحي تَسمحُ له وتطالبُه أن يتغيَّرَ ويتأقلَمَ مع المواقف المتجددة».

◻ وفي تعليقٍ آخَرَ علىٰ نفسِ الاجتماع، ذَكر الباحثُ في الإسلام «سمير خليل سمير»، الذي حَضَر أيضًا الاجتماعَ المُغلَقَ أن البابا يرىٰ إمكانيةَ تغيُّرِ الإسلامِ فقط إن أمكن «إعادة تفسيرِ القرآنِ بشكلٍ جذريٍّ

وكاملٍ، وإعادةِ النظرِ بالكاملِ في مبدإِ عصمةِ الوحي».

فهل الحوارُ مع الأديانِ الأخرىٰ يمكنُ أن يَتقدمَ من خلالِ تلك الرؤيةِ السَّوْدَاويَّةِ للإسلام؟! لماذا لا يكونُ البابا صريحًا وواضحًا في مواقفِه بدلاً من محاولاتِ الاستخفافِ بالأمةِ بشكلٍ مَهينٍ بعباراتٍ مِن مثل «حزين جدًّا» التي لم تَعُدْ تنطلي علىٰ أحد؟!.

◻ قام أحدُ الصحفيين بسؤالِ البابا بشكلٍ مباشرٍ ومُفاجئ: إنْ كان يعتبرُ «الإسلامَ دينَ سلام»؟ رَفَض البابا أن يَصِفَ الإسلامَ بدينِ السلام، وإنما قال بثقة: «إنني لا أرغبُ في استخدامِ الكلماتِ الكبيرةِ لوصفِ أمورٍ عامة.. إن الإسلامَ بالتأكيد يَحتوي علىٰ عناصرَ يُمكنُ أن تَميلَ إلىٰ السلام، ولكنه أيضًا يتكوَّنُ من عناصرَ أخرىٰ.. ولابد لنا أن نختارَ دائمًا أفضلَ العناصر».

إن البابا يريدُ لأمة الإسلام أن تكونَ انتقائيةً في تعامُلِها مع ما يأمرُ به هذا الدينُ، ولكنه في الوقتِ نفسه لا ينتقي من هذا الدينِ أفضلَ ما فيه لكي يتحدثَ عنه، ولكنه يَكتفي بالهجومِ غيرِ المبرَّرِ والدائمِ والمتكررِ علىٰ الإسلام وعلىٰ رموزِ الإسلام، وفي اليومِ السابق لهذا التصريحِ الصحفي، قام البابا أيضًا بتوجيهِ النصيحةِ التالية للمسلمين: «ارفضوا طريقَ العنفِ الذي تَسبَّب في معاناةٍ ضخمةٍ للسكان المدنيين، واعتنقوا بدلاً من ذلك سياسةَ السلام».

لم يُكلِّفِ البابا نفسَه عَناءَ توجيهِ نفسِ الرسالةِ إلىٰ قادةِ الغربِ الذين يَقتُلون باسم «الديمقراطية» عشراتِ أضعافِ مَن يُقتلُ ظلمًا وزورًا باسم الإسلام، ولم يُكلِّفِ البابا نفسَه أيضًا عَناءَ مخاطبةِ قادةِ الكيانِ الصُّهيونيِّ أن

يلجؤوا إلىٰ السلام بدلاً من القتلِ اليوميِّ والمتكررِ لأبناءِ الأمةِ الإسلامية في فلسطينَ ولبنان»[1] .

*** اخسأ أبا الفاتيكان :**

❑ قال محمد أبو الهيثم : «الحمد للَّه القائلِ : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** ﴾ [المائدة: ٧٣]، والقائلِ : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [المائدة: ١٧].

ضاقت أفعىٰ الفاتيكان بما يحتويه صَدرُها مِن سُمٍّ، فلم تَستطعْ نَفْثَه إلاَّ في وجهِ محمدٍ ﷺ والإسلام، في وقتٍ أصبحَ الإسلامُ عُرضةً لكلِّ نافثِ سُمٍّ بسبب ضَعفِ أبنائِه، وعَمَالةِ حُكامِهم، وشراءِ الكثيرِ من علمائِه دنياهم وبَيْعِهم دينَهم بأبخسِ الأثمان، إلاَّ مَن رَحِمَ ربي ـ وهم قليل ـ.

فيا أفعىٰ الفاتيكان، إياكِ أن تَنسىٰ أنه لولا محمدٌ ما استنارتِ الدنيا في وقتٍ كنتم فيه عُميانًا، وما خَرجتم من عَماكم وظلامِكم إلاَّ في ظلِّ محمد وعلىٰ فُتاتِ نُوره.

فلمَّا استقامت لكم دنياكم بفُتاتِ محمدٍ ﷺ، قَفَزتم علىٰ أُمَّته بالفِتنِ والحروبِ وإثارةِ القلاقلِ وشراء الذِّمَمِ، حتىٰ طَعِمتم ما في أفواهِ أُمَّته، واغتَنيتم علىٰ جُثَثِ وأشلاءِ أبناءِها، وبَنيتم حضارتَكم علىٰ حسابِ تقهقرِها، فسُحقًا لحضارةٍ تُورِّثُ أبناءَها الوقاحة.

أبا الفاتيكان تقول: «إن عقيدتكم مَنطقيةٌ علىٰ عكس عقيدة الإسلام»!! فيا ابنَ الجاهلين، أينَ منطقُكم حين استبدَّت كنيستُكم بآرائها،

---

(١) «لماذا يكرهونه» (ص٤٢ـ٤٧).

واستبدَّ قساوستُكم بالحُكم، وقَتلتم علماءَكم، وأنشأتم محاكمَ التفتيش التي لم تتركْ عالِمًا خالَفَ الكنيسةَ ولا مُسلمًا إلاَّ سحقته؟! فحاربتم العلمَ والعلماءَ بسبب استبدادِكم وجَهلِكم وتمسُّكِكم بتحريفِكم لكتابِكم وكَذِبِكم على نبيِّكم، اسأل «جاليليو» وإخوانَه عن تاريخِ كنيستِكم التي بُنيت على المنطق كما تدعي!.

يا أبا الجاهلين، أمحمدٌ هو الذي لم يأتِ إلاَّ بكلِّ سيِّءٍ؟ أم حروبُكم الصليبيةُ القديمةُ والحديثةُ؟!.

اسأل أهلَ بيتِ المقدسِ الذين قُتل منهم سبعون ألفًا حتى غاصت الخَيلُ في دمائهم.

ويا أبا الجاهلين، اسألِ الهنودَ الحُمرَ عن إبادتِهم باسمِ الكنيسة والدين، وبناءِ مَجْدِكم الحديثِ على دماءِهم وأوطانهم.

يا أبا الكذابين، وشيخَ المتعصبين، وكبيرَ المارقين، هل سَئِمتُم من تحريفِكم المستمرِّ لكتابكم، وانتَهزتَ قوةَ مجنونِ أمريكا لتستعرضَ عضلاتِك على دينِ الحقِّ والنورِ المبين؟! أخرَسَ اللَّهُ لسانك.. أخرس اللَّه لسانك.

محمدٌ جاء بدينِ الحقِّ من ربِّه، وأَبْلَغَه للعالمين، حَمَل رسالةَ السماء، وأوصلَها لكلِّ بيتِ مَدَرٍ ووَبَر، وتَحمَّلَ في سبيلِ ذلك المشاقَّ، وشَرَع ربُّه له الجهادَ من أجلِ إيصالِ كلمةِ السماءِ أمامَ كلِّ مارقٍ مِثلك معاندٍ جاحدٍ، وأوصاه ربُّه بدعوةِ مَن يحاربُ، فلو أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولو رَفض الدخولَ وقَبِلَ الجِزيةَ على أن يَسمحَ للمسلمين بنَشرِ دينهم وله منهم المَنَعَةُ والحمايةُ، فله ذلك، أما لو أصرَّ على الكفرِ، ومَنَع قومَه من سماعِ الحقِّ والدخولِ فيه، فما بيننا وبينَه إلاَّ السيف.. ليس حبًّا

في الدماء، وإنما لنشرِ كلمةِ السماء.

فأين حبُّ الدماءِ فيمن يَضعُ أمامَك كلَّ حلٍّ ممكنٍ لتسمحَ له ليُبلِّغَ دعوةَ ربِّه، فما يقاتلُك حبًّا في دمك، وإنما حرصًا على إخراجِ قومِك من جهنمَ والسماحِ لأهلِ الحقِّ والنورِ بنشرِ كلمةِ السماء؟ أين هذا ممن قَتلوا ملايينَ الأطفالِ بالعراقِ جُوعًا، وقتلوا أهلَ أفغانستان كَمَدًا، وساعَدوا في قتلِ الفلسطينيين بأسلحتهم ومَدَدِهم لليهود.

أين أخلاقُ الفاتحِ الإسلاميِّ من أخلاقِ الهَمَجِيِّ النصرانيِّ الذي انتَهَك؛ العِرْضَ، وسَفَكَ الدماء، وسَرَق الأموال، وجَنَّد العملاءَ، ونَشَر الفساد؟!.

أين أخلاقُكم من أخلاقِ محمدٍ ﷺ؟!.. أين أخلاقُكم وقد انتَشرت في شعوبكم الأمراضُ النفسيةُ، وعقوقُ الآباء وإهمالُهم، وزنا المحارمِ، واغتصابُ النساء والأطفالِ، والشذوذُ الجنسي، بسبب ضَعفِ العقائد، وخَفَاءِ دَورِ الدينِ في حياةِ شعوبكم؟!.

◘ أين أنت وأين ربُّك «بوش» الذي تَستمدُّ قوَّتَك من قُوَّته، وتنتهزُ حماقتَه حتى تَنْفُثَ سُمَّكَ إرضاءً له وإرضاءً لمن وراءَه من يهود؟!.

تُخطِّئُ كلَّ عقيدةٍ تُنزِّهُ ربَّ العالمين عن كلِّ نَقصٍ وتُثبِتُ له كلَّ كمال!!! قَبَّحك اللَّه وقَبَّح قولك، وجَعَلك عبرةً لكلِّ معتبر.

ويا كلَّ عالِمٍ من علماءِ المسلمين قَصَّر في دعوته، ما حَدَث ويَحدثُ إلا نتيجةً لتقصيرك.. ويا كلَّ حاكمٍ ساعَدَ في ضَعفِ أمته، اعلمْ أن لك كِفْلاً مِمَّا يَحدُثُ للإسلامِ والمسلمين، وأنه ما رَفَع هذا رأسَه إلا عندما أَحْنَيْتَ رَقَبَتَك.

❑ ويا أُمةٌ: لكِ اللَّه.

❑ ويا إسلامُ: لك ربٌّ يحميك.

❑ وإنا للَّه وإنا إليه راجعون»[١].

على أسْوَار روما[٢]

صهْ يا رقيعُ فما إخالكَ تشتفي	إلاَّ بسيف في فؤادك يختفي
صهْ يا عقورُ فما أراك مؤهَّلاً	ليكونَ رأسُك مَوطِئًا للأشرفِ
جاوزتَ حَدَّك بالجهالة فلْتَذُقْ	حدَّ الحُسامِ اليعربيِّ المرهَفِ
فثقيفُ قبلَكَ بالأذى قد عَربدَتْ	فلَتُفْتَحَنْ روما كمثلِ الطائفِ
لبِّثْ قليلاً سوف تُبصرُ جَحفلاً	بأسنَّةِ الأنصارِ أضحى يقتفي
لَبِّثْ قليلاً سوف تسمعُ نغمةً	قدسيةً بأذانِ أحمدَ تحتفي
لَبِّثْ قليلاً يا جهولُ ولا تسَلْ	فلَتعرِفنَّ اليومَ ما لم تَعرِفِ
أفلا بشيرٌ للعوالمِ أنهُ	قد أشرقتْ روما بنور المصحفِ؟

* إلجامُ البابوات عن التجرُّؤِ على خاتمِ الأديان والرسالات:

❑ قال د. خلدون مكي الحسني: «إنَّ الحمدَ للَّه نحمدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يَهْدِه اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ ألاَّ إله إلاَّ اللَّه وحدَه لا شريكَ له، ولا زوجةَ له، ولا ولد، وليس كمِثلِه شيءٌ، ولم يكن له كُفُوًا أحد؛ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللَّه ورسوله، هو قائدُنا ومعلِّمُنا وسيِّدُنا، خيرُ نبيٍّ

(١) المصدر: إذاعة طريق الإسلام.

(٢) لِحسَّان العُمر.

اجتباه ورحمةً للعالمين أرسله، بَعثه الله بالحق بدينِ الإسلام، دينِ العلمِ وإعمالِ الفِكرِ، دينِ الهدايةِ والرأفة، وأيَّده بالقرآن، كتابِ اللَّه المُعجزِ، فتحدَّىٰ به الإنسَ والجنَّ، فأذعنوا له وآمنوا به، واستكبر الكافرون المعانِدون فقال اللَّهُ فيهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧].

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ونحن اليوم - وفي كلِّ يوم وعلىٰ مرِّ السنين - نرىٰ صِدقَ كلامِ اللَّه سبحانه الذي أَخبرنا به، وما تصريحاتُ رأسِ الفاتيكان إلاَّ من هذا القَبيل، فرغمَ البلاغِ والنذيرِ لم يؤمنْ، فختم اللَّهُ علىٰ قلبه وعلىٰ سمعه، وأعمىٰ

بصرَه وبصيرتَه، وقد بَدَت البغضاءُ من فمِه وما يُخفي في صَدرِه أكبر، وها هو يَصُدُّ عن سبيلِ اللَّه ويَكنِزُ الذهبَ ويتسربلُ به، ثمَّ أخيرًا يؤذي المسلمين المؤمنين بكلامه، فصدقَ اللَّه العظيم.

❑ وأمَّا رسولُ اللَّه ﷺ، فهيهاتَ هيهاتَ أن يَنالَه شيءٌ من كلامِ هذا السَّفيهِ الجاهل، بل إنَّ كلَّ كلامِه مردودٌ عليه، وما فِعْلُه هذا إلاَّ كما قال حكيمُ الإسلام:

أعرِضْ عن الجاهلِ السَّفيهِ فكلُّ ما قالَهُ فهو فيهِ
ما ضَرَّ نهرَ الفُراتِ يومًا أنْ خاضَ بعضُ الكلابِ فيه!

❑ ومهما حَلَم الحاقدون وحاولوا أن ينالَوا من رسول اللَّه ﷺ، من تشويهِ سيرتِه والكذبِ عليه والتشنيعِ بدينِه العظيم، فلن يفلحوا، ولن يُعكِّروا صَفْوَ الشريعةِ المحمَّديةِ، وستبقىٰ حُجَّةً عليهم إلىٰ يوم الدين، وستبقىٰ شوكةً في حلوقهم إلىٰ يوم يبعثون..

لو رَجَمَ النَّجمَ جميعُ الورَىٰ لم يَصِلِ الرَّجمُ إلى النَّجمِ

❑ وقد علَّمَنا رسولُ اللَّه ﷺ الأدبَ والحكمةَ، وأَمَرنا بمجادلةِ أهلِ الكتاب بالتي هي أحسن، وامتثلَ المسلمون لذلك طيلةَ القرونِ الأربعةَ عَشَرَ المنصرمة، ولكنَّ الحاقدين علىٰ الإسلام والذين مُلئت قلوبُهم غيظًا منه لم يُجْدِ معهم كلُّ ذلك، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾؛ وأنا اليومَ لن أردَّ علىٰ ذلك السفيهِ الحاقدِ، فهو أدنىٰ مِن أن يُردَّ عليه؛ لأنَّ الذي تَبلغُ به الوقاحةُ أن يَصِفَ الإسلامَ الذي أتىٰ به رسولُ اللَّه ﷺ بأنه دينُ العنفِ والسيفِ واللاعقلانية، ويتجاهلُ تاريخَ دينِ كنيستِه المظلم، والمحاربَ للعلمِ، والقاتلَ للعلماء، والمنافرَ للعقل، والبعيدَ عن التوحيدِ، والمتأصِّلَ بالوثنيَّة،

ويتجاهلُ الانحطاطَ الأخلاقيَّ لرجالِ الكنيسة الذي لم يُعرفْ له مثيلٌ عبرَ التاريخ، ويتجاهلُ الوحشيةَ والدمويَّةَ المغروسةَ في نفوسِ رؤساءِ وأتباعِ هذه الكنيسةِ والتي ظَهرت جليَّةً في صراعِ البابوات على كرسيِّ الفاتيكان، والوحشيةِ التي تعاملوا فيها بينهم، مِنْ فَقْءِ العيون، وقَطعِ الألسن، والقتلِ عطشًا، وفي صراعِ الفِرَقِ المسيحيَّةِ فيما بينها قديمًا وحديثًا، وما «إيرلندا» عنا ببعيد، وفي حُروبهم الصليبيَّةِ التي لم يَعرفِ التاريخُ مثيلاً لها في الوحشيةِ والهمجيةِ ولا حتى عند التتار، وكذلك محاكمُ التفتيش التي أرعبَت وأذهلت قوَّادَ الجيوشِ المسيحيين الذين ـ كما صرَّحوا حينها ـ لم يكونوا يتخيَّلون وحشيةً كتلك التي رَأَوْها تجري على أيدي رؤساءِ الكنيسة تُجاهَ المسلمين واليهودِ في الأندلس!! كلُّ ذلك لا لنشرِ فضيلةٍ، ولا لإحقاقِ حقٍّ.. وإنما حُبًّا في سَفكِ الدماءِ وتلذُّذًا بإزهاقِ أرواحِ الملايين، وما حروبُهم في التاريخِ المعاصرِ ببعيدةٍ عن أذهاننا، فقد تطاحَنوا في أوربا في الحَربَينِ العالميتين الأولى والثانية، وأهلكوا الحَرْثَ والنسلَ، وأبادوا بعضَهم بالملايين ومَحَوْا مُدُنًا بكاملِها عن وجه الأرض كما فعل الحلفاءُ بمدينة «درسدن» الألمانية، بعدما دَمَّر الألمانيُّ «هتلر» صاحبُ الصليب المعقوف أوربَّا شرقًا وغربًا، ولم يَعرفِ العالَمُ حروبًا في همجيَّتِها كهاتين الحربين، ثمَّ يأتينا هذا «البندكت» القَسُّ الألماني ليقول: «إنَّ الإسلام نُشِرَ بالسيف»!! وتناسى أنَّ عددَ القتلى الذين وَقعوا في جميعِ غزواتِ رسول اللَّه ﷺ من كِلَيِ الطرفين «المسلمين والمشركين» كان ألفَ قتيلٍ تقريبًا!!!! هذا العددُ الذي تَحصدُه حروبُ الصليبيين في ساعةٍ واحدة.

لأجل هذا كلِّه فإنَّ بابا الفاتيكان «بندكتوس» هذا لا يستحقُّ أن يُردَّ

عليه، ولكنني سأُذكِّرُ الناسَ بحقيقةِ هذا البابا وجميعِ البابواتِ مِن قَبلِه كما جاءت تراجمُهم في كُتبهم أنفسِهم، وكما صَرَّح به الكثيرُ من رجالِ دينهم وسَجَّله التاريخُ لهم، لكي يرىٰ الناسُ كم هو وقحٌ، وكم هم أتباعُه حاقدون، وكم كان حريًّا بهم أن يَخجَلوا من أنفسِهم ورجالِهم وباباواتهم ويَدسُّوا رؤوسهم في الترابِ، بدلاً من التطاول علىٰ الكبار، ولكن «**إذا لم تَستَحِ فاصنَعْ ما شئت**»، كما جاء علىٰ لسانِ الأنبياء.

◘ وإليكم الآن مقتطفاتٍ عن تاريخِ البابوات في أوربة، ثمَّ ترجمةً موجزةً للعديد منهم:

جاء في كتاب «رحلتي من الكفر إلىٰ الإيمان» للكاتبة الأمريكية «مريم جميلة» - وهي سيدة أمريكية من أصلٍ يهوديٍّ اعتنقت الإسلام، وهي خبيرةٌ بالدين اليهودي والمسيحي - (ص١٦٧ ط: المختار الإسلامي): «وصلَ البابا «بولس الأول» إلىٰ المنصب عام (٧٥٧م)، وبعد وفاتِه أجْبَرَ دوق «نيبي» بعضَ الأساقفةِ علىٰ تكريسِ «قسطنطين» - وهو شقيقُه غيرُ الشرعيِّ - لمنصب البابَوية، ولكنِ اجتمع أساقفةٌ آخرون عام (٧٦٨م)، وانتخبوا «ستيفن الرابع» للمنصب، وعُوقِبَ «قسطنطين» بفَقْءِ عينيه، كما قُطِعَ لسانُ أحدِ الأساقفة الذين انتخبوه، وتُرِكَ ليموتَ في جُبٍّ من العطش!!.

وفي عام (٧٩٥م) ألقىٰ ابنُ عمٍّ البابا «أدريان» القبضَ علىٰ البابا «ليو الثالث» الذي خَلَفَ «ستيفن الرابع»، وذهبَ به إلىٰ كنيسةٍ، حيثُ فَقأَ عينَيه وقطعَ لسانه، وحلَّ مكانه في المنصب!.

وتمرُّ أكثرُ من مئةِ سنةٍ في مؤامراتٍ متبادَلةٍ بين الطامعينَ في البابوية، وكان كلُّ مَن يَصِلُ منهم إلىٰ مُبتغاه يُحاكِمُ خصومَه، ويَحكمُ عليهم

بالموت!!! وخلالَ أربعةِ أعوامٍ فقط من (٨٩٦ إلىٰ ٩٠٠م) وصَلَ إلىٰ المنصبِ أربعةُ بابوات وعُزِلوا!!.

ونصلُ إلىٰ عام (٩٠٤م) لِنجدَ صورةً أخرىٰ من الفساد، ففي ذلك العام وصل البابا «سرجيوس الثالث» إلىٰ منصبِ الحَبْرِ الأعظم بالقوَّة المسلَّحة! وقد كان للعاهرة «ثيودورا» سيِّئةِ الصِّيت وابنتيها ـ وهما أيضًا عاهرتان ـ تأثيرٌ كبير عليه، وكانت «ثيودورا» تعشقُ أيضًا أحدَ الأساقفةِ، وساعدته بنفوذها إلىٰ الوصولِ للبابوية عام (٩١٥م) باسم «يوحنا العاشر».

وتمكَّن هذا البابا من الثَّبات في منصبِه لمدةِ أربعةَ عَشَرَ عامًا بفضلِ مساندةِ «ثيودورا» له، لكنه فَقَدَ مكانه، وأُطيح به عندما تآمرت عليه ابنتها «ماروزيا» بعد أن حَنَقت عليه لأنَها فاجأتهُ في القصر البابوي في وضع مخلٍّ مع ابنةِ أخيه!!!.

وفي عام (٩٣١م) أوصَلَت «مروزيا» ابنَها غيرَ الشرعيِّ إلىٰ البابوية تحت اسم «يوحنَّا الحادي عشر»، لكنَّ أحدَ أبنائها الآخرين منَ الحرام شَعَرَ بالغَيرة، فألقىٰ القبضَ علىٰ أُمِّه وشقيقِه ووضَعَهما في السجن، وجلس علىٰ المَقعد البابوي، كذلك انتخب ابنَه غيرَ الشرعيِّ للبابوية عام (٩٥٦م) باسم «يوحنا الثاني عشر»، وكان عمرُه في ذلك الوقت ثلاثةَ عَشَرَ عامًا!!.

واشْتُهِرَت فضائحُ هذا البابا الأخير إلىٰ حدٍّ أنَّ الشعبَ الألمانيَّ دفعَ الإمبراطور «أوتوا» للتدخل، وعُقِدَ مَجْمَعٌ مقدَّس(!) لمحاكمة «يوحنا الثاني عشر»، وتبيَّن من الجلسات أنَّه كان يتلقىٰ رشاوىٰ لتكريسِ الأساقفة، وأنَّه نَصَّبَ أسقُفًا لا يتجاوز سِنُه العاشرة، بينما أقام احتفال «سيامة» لآخَرَ في حظيرة للخيول.

واتُّهِمَ البابا كذلك بالزنا مع محظيَّةٍ لأبيه! وبارتكابِ الفاحشةِ مرَّاتٍ لا تُعدُّ!!!.

وكان معروفًا بالانحراف في الشرابِ والمُقامرة والقَسَمِ بالآلهة الوثنيَّة!!! وعندما طُلِبَ منه المُثولُ أمامَ المَجمع، وأبلَغَهم أنه خارجٌ للصيد، وبعد عزلِه خَلَفَه البابا «ليو الثامن» عام (٩٦٣م) الذي حاكمَ خصومه ومَثَّل بهم، إلاَّ أنَّ حياتَه انتهت على يدِ رجُلٍ كان قد غرَّرَ بزوجته!!». انتهى.

◻ ولكي يطمئنَّ القرَّاءُ لصِدِق هذه المعلومات إليكم تراجمَ هؤلاء البابوات وغيرِهم من المصادر المسيحيَّة المطبوعة والمنشورة، وقد ترجمها أحدُ الكتَّاب قديمًا، وهذا جزءٌ منها:

◻ فُحشُ البابوات وفسوقهم!!:

كيف الخلاصُ من الخطيئــةِ بعدما ركِبَ الدَّعارةَ زُمرةُ الرُّهبــانِ؟!

إنَّا نوردُ الآن باختصارٍ موجزَ تلك الجرائمِ والرَّذائلِ التي ارتكبها كثيرون من ساداتِ أحبارِ روميا العِظام، الخلفاءِ الشرعيِّينِ للقديس «بطرس الأول»، الذين شانوا الكرسيَّ الرسوليَّ بتولِّيهم عليه، وقبل أن نُنهيَ كلامَنا عن رؤساءِ الكنيسةِ المنظورِين، يتَّضحُ للقارئ أنَّ كلَّ نقيصةٍ ورذيلةٍ يمكنُ للعقل أن يتصوَّرها قد انتهكها الذين زَعموا أنهم نُوَّابُ المسيح، أو كما يعتقد النصارىٰ نوابُ اللَّه علىٰ هذه الأرض!.

فالسرقةُ والاضطهادُ والقتلُ والفُحشُ والزنا بالأقاربِ المحارمِ وغيرهم وما يَخجَلُ منه القلمُ ويَحْمَرُّ منه الجبين، كلُّ ذلك قد ارتكبه هؤلاء الحُكَّامُ المتعالُون بالنصرانية الذين جَلسوا علىٰ مركزِ العِصمة وادَّعَوُا الشرعيَّةَ، وما

تَسَلُّطُهم علىٰ عقولِ الشعوبِ النصرانيةِ إلاَّ مَكرٌ منهم ومِن الباباوات القدماءِ لجَلبِ الدنيا إلىٰ هؤلاء الرؤساء!.

شَهِدوا على القِدِّيس حيث جَنَابُـه رَكِبَ الزنـا أكْـرِمْ به قـدِّيسـا!

☐ القديس «داماسوس الأول» (٣٦٦ ـ ٣٨٤م).. إنَّ هذا أوَّلُ بابا لُقِّبَ «بالحَبْر الأعظم»، وحين انتخابه مانَعَ فيه «أرسينيوس» وحِزْبُه، حيث قاموا علىٰ قَداسته شكايةً بأنَّه رجلٌ زانٍ[1].

قال «ريدل»: «بعد مقاتلةٍ عنيفةٍ جَرَت ما بين حِزبَي المتخاصِمَين، أُبعِد «أرسينيوس» من المدينة، والحُكمُ نفسُه كان علىٰ وشك أن يَجريَ ضدَّ سبعةِ قُسوسٍ من حِزبه، لكن بمداخلةِ الشعبِ أُخِذ أولئك القسوسُ ووُضعوا في ملجإٍ أمينٍ بالكنيسة، لكنَّ الكنيسةَ نفسَها وحُرمتَها لم تكن قادرةً علىٰ حمايةِ أرواحِ الملتجِئِين إليها من هياجِ خُصومهم، فـ «داماسوس» كان مُسلَّحًا بالسيف والنار مع بعضِ أتباعه، وجميعُهم من الإكليروس، وعامَّةُ القوم ذهبوا توًّا إلىٰ المكان الذي التجأ إليه أعداؤهم، وتركوا أكثرَ من مئةٍ وستين منهم قتلىٰ علىٰ الأرض ضِمنَ حدودِ ذلك المكانِ المقدَّس»[2].

علىٰ أنَّ هذا الخِصامَ كان مذبحةً ـ وليس قتالاً بين حِزبَين ـ، حيث لم يُقتل أحدٌ من أتباع «داماسوس» في هذه الموقعة[3].

وافتضَّ سكستوس بِكْرًا غادةً فَلْيَسْلَمِ القديسُ سكستوسُ

---

(١) «محفل البابوات» تأليف يالي (ص٢٦).

(٢) «تاريخ البابويَّة» (١/ ١٤٣).

(٣) «تاريخ الباباوات» تأليف باور (ص٨٤).

◘ القديس «سكستوس الثالث» (٤٣٢ ـ ٤٤٠م). . إنَّ هذا البابا ـ حسب رواية «بارونيوس وبلاتين» ـ قد أُقيمت ضدَّ قداسته دعوىٰ، وذلك لأنَّ قداستَه اقْتَضَّ بكارةَ إحدىٰ العذارىٰ، وتألَّف مَجْمَعٌ للحُكم علىٰ قداسته، لكنَّ هذا المجمَع الذي كان تحتَ رئاسةِ الإمبراطور «فالانتين» تركَ البابا، وحَوَّل إليه كي يحكم بالقضيَّة! «حيث قاضي الكلِّ لا يدنيه أحد»[1].

عَلِموا بأنَّ اللَّهَ يُبغِضُ راهبًا   فتــزوَّجَ القديسُ هرمزداسُ

◘ القديس «هرمزداس» (٥١٤ ـ ٥٢٣م). . كان رجلاً متزوِّجًا وله ولدٌ، تولَّىٰ بعد ذلك كرسيَّ البابويَّةِ، وكان قداسةُ هذا البابا طَمِعًا ووَقِحًا في طلباته لدىٰ الإمبراطور، وهو الذي هيَّجهُ لاضطهاد الهراتقة[2].

في المهدِ قد نطقَ المسيحُ لقومه   وكذاك نجلُ البابا سرجيوس

◘ القديس «سرجيوس الأول» (٦٧٨ ـ ٧٠١م). . إنَّ هذا القديسَ قد اتُّهِمَ بارتكابِ الزنا، لكنْ بَرْهَنَ علىٰ براءته بعبارةٍ عجيبةٍ، حيث الطفلُ الذي قيل: إنَّه ابنُ البابا الزاني الفاسقِ في حين تعميدِه ـ وكان عمره حينئذٍ ثمانية أيَّام فقط ـ صرخ قائلاً: «إنَّ الحَبْرَ سرجيوس ليس والدي».

◘ وقال «برايس» المؤرِّخُ الفرنساويُّ عن البابوات: «إنَّ الذي يُدهِشُني في هذه القصَّة ليس كونُ الطفلِ الصغيرِ في المهد يتكلمُ، بل كونه أكَّد باعتقادٍ تامٍّ علىٰ أنَّ البابا ليس والدَه»[3].

---

(١) «تاريخ البابوات» مجلد ٢ وجه ٨٨ تأليف (باور).

(٢) «جرائم النصرانية» مجلد أول وجه ١٢٤ تأليف (فوت وهويلر).

(٣) «تاريخ البابوات» مجلد أول وجه ٤٩٦ تأليف برايس.

وكذلك أدريانوس هنَّأ قاتلاً بخطيئـةٍ يا نِعمَ أدريانوس!!

❑ «أدريانوس الثاني» (٨٦٧ ـ ٨٨٢م) كان كاهنًا متزوِّجًا، وهو الذي هنَّأ «بازيليوس» القاتلَ حين قَتَل الإمبراطورَ «مكائيل» واتَّحدَ معه[١].

أيُّ بـابـا أتى المخـاضُ إليـه في احتفـالٍ وولَّده غـلامًا؟!

❑ «يوحنَّا الثامن» (٨٧٢ ـ ٨٨٢م).. إنَّ هذا البابا لم يكن رجلاً بل امرأةً.. وأيُّ نوع من النساء؟!.. من النساء الزانيات، وكان الشعبُ مغشوشًا بقداسته، ولم يشكَّ أحدٌ في ذكورته إلاَّ معارفُه الذين يَسُوسون له ـ أو بالأحرىٰ لها ـ شهواتِها، وبينما كان هذا البابا ماشيًا في احتفالٍ في مقدِّمةِ الكاردينالات والمطارنة مُحاطًا بالزينة والأنوار علامةً علىٰ قوةِ وجلالةِ البابوية، أتىٰ لقداسته «البابا يوحنا الثامن» أو «حِنَّة!» المخاضُ، وذلك في أهمِّ شارعٍ[٢] من شوارع روما[٣].

أمَّا تاريخُ حياته، فهو ابنةُ أحدِ المُرسَلين الإنكليز، مَسقط رأسها في مدينة «ماينز» أو «انكلهايم»، حيث يوجدُ اختلافٌ في الرواية، وهذه الابنةُ كانت لها علاقةٌ غيرُ شرعيَّةٍ بأحد رُهبان «فولدة»، لذلك لَبِسَتْ ثيابًا كالرجال، وهَرَبت مع عاشقِها إلىٰ «أثينا»، وهنالك مات حبيبُها بمدةٍ قصيرةٍ بعد وصولها.

وبعد موتِ العاشق رَجعت هذه الزانيةُ إلىٰ «روميًّا»، وهناك ـ بسببِ

---

(١) «جرائم النصرانية» مجلد ١١ وجه ١٢٧.

(٢) وذلك ما بين الكولوسيوم وكنيسة القديس [كلامانتوس] بروما. انظر «دائرة معارف بيتون الإنكليزية تحت كلمة (حنة).

(٣) «تاريخ المملكة المغربية» مجلة ٣ وجه (٣٣٠ و٣٣١).

معارفها الممتازة ـ صارت «خوري فكردينال»، ثمَّ ارتقت فصارت «بابا»!

وظلَّت إلىٰ أن عُرفت أنوثتُها، وذلك لمَّا وَلدت طفلاً أمامَ الجمهور وهي ماشيةٌ في مقدمةِ أحدِ المحافِلِ العظيمة[1] .

❑ ومنذ ذلك الوقت حتىٰ أيَّام «لاون العاشر» (١٥١٣ ـ ١٥٢٢م) في القرن السادس عَشَر ـ أي لمدَّةِ نحوِ ستةِ قرونٍ ونصفٍ كانوا يقيمون في روميًّا احتفالات، والتي لا يمكنُ وصفُها هنا، حيث تَحدُث عند انتخابِ كلِّ بابا، وذلك للكشف عليه كي يتأكَّدوا ما إذا كان ذكرًا أم أنثىٰ![2] .

إنْ قيــلَ إنَّ إلهَهــم صَلَبـوه   سلْ أُمَّ أسطفانوس أين أبوه؟

❑ «أسطفانوس السابع» (٨٩٦ ـ ٨٩٧م). . إنَّ هذا البابا نفسه كانت أُمُّه زانيةً[3] !! .

كيف الذي عَبَدَ الرَّذيلة يَعْبُدَن   مولاه مثلَ البابا سرجيوس!

❑ «سرجيوس الثالث» (٩٠٤ ـ ٩١١م). . قال «باريتوس» عن هذا البابا: إنَّه كان عبدًا لكلِّ رذيلةٍ، وأعظمَ إنسانٍ شرير، وقداستُه عاش مع «ماروزية» الزانيةِ كسُرِّيَّةٍ عنده[4] .

❑ أمُّ قداستِه زانية:

وقداســةُ البابا الذي مِنْ أُمِّـهِ   عُرِفَ الخَنَــا وعَلَّم الأقواما

---

(١) نظر «دائرة معارف شامبرس» تحت كلمة حنة .

(٢) «تاريخ المملكة المغربية» مجلد ٣ وجه ٣١١ .

(٣) «تاريخ المملكة المغربيَّة» مجلد ٣ وجه ٣٣٠ .

(٤) «تاريخ البابويَّة» مجلد ٢ وجه ٣٦ تأليف «ريدل» .

❑ «يوحنا العاشر» (٩١٤ ـ ٩٢٨م)، هذا كانت أُمُّ قداستِه زانيةً[1]، وتوصَّلَ إلىٰ تولِّي الكرسي الرسولي؛ لأنَّه كان حبيبَ «ثيودورة» أم «ماروزية» الزانية[2].

❑ «يوحنا الحادي عشر» (٩٣١ ـ ٩٣٦م) كان ابنَ البابا «سرجيوس الثالث»، وأمُّ قداسته «ماروزية» الزانية، وقد فاق والدَه في الجرائم، وحين انتخابِه للبابوية ـ وكان في الثامنةَ عشرة من عمره ـ طرد أخاه «الباريك» من «روميًّا» وسجنَ أُمَّهما «ماروزية»[3].

إنَّ الزانيةَ «ماروزية» كانت ابنةً رومانيةً من الأشراف بالولادة، لكنها ذاتُ سُمعةٍ رديئةٍ كأُمِّها الزانيةِ «ثيودورة» من قَبلِها، وُلدت في أواخر القرن التاسع.

وهذه الزانيةُ كانت صاحبةَ البابا «سرجيوس الثالث» وأُمًّا وجَدَّةً لثلاثةِ باباوات «قداسة يوحنا الحادي عشر، وقداسة يوحنا الثاني عشر، وقداسة لاونِ السابع»، وقد تزوَّجت ثلاثَ مرَّات، وإنْ صَدَّقنا ما رواه لنا «لويتبرند»، فهي كانت السببَ في خَلعِ وقَتلِ البابا «يوحنا العاشر»، وهي التي رَفعت ابنَها غيرَ الشرعيِّ «يوحنا الحادي عشر» من حبيبها البابا «سرجيوس الثالث» إلىٰ مَقامِ البابوية.

فالقصرُ حَوَّلهُ إلى ماخـورةٍ ... «حنًّا» ومات بضربةِ الشيطانِ

❑ «يوحنا الثاني عشر» (٩٥٦ ـ ٩٦٤م)، هو ابنُ «الباريك»، وهو أولُ

---

(١) «تاريخ المملكة المغربية» (٣/ ٣٣٠).

(٢) «جرائم النصرانية» (١/ ١٢٩).

(٣) «جرائم النصرانية» (١/ ١٢٦).

بابا غيَّرَ اسمَه، حيث كان اسمُه الأصلي «أوكتافيان»، وهو الذي انتَخب نفسَه للبابوية لَمَّا كان في السابعةَ عَشْرةَ من عمره.

◻ قال «ولْك»: «إنَّ تدنُّسَهُ وتَهتُّكَهُ فاقَ كلَّ حدٍّ».

وقد أُقيمت على قداسته الحُجَّةُ عَلَنًا من أجلِ التسرِّي والزنا بالأقاربِ المحارمِ والرِّشوةِ بوظائفِ الكنيسة، وهذ البابا كان ذا شهرةٍ رديئةٍ من أجلِ شهواتِه، حتى إنَّ النساءَ الزَّائرات لم يتجاسَرْن على المجيءِ إلى روميًّا[1].

◻ قال «بوار»: «إنَّ هذا البابا قد حَوَّل القصرَ اللاتيريني - الذي كان مَسكنًا للقديسين - إلى ماخورةٍ، وفيه كان يُضاجعُ سُرِّيَّةَ أبيه، وإنَّ النساء مِن أجلِه كنَّ يَخَفْنَ أن يأتِينَ من البلاد الأخرى لِيَزُرنَ قبورَ الرسُلِ والقديسين في «روميًّا»، وإنَّ قداستَه ما كان يَدَعُ أيَّ امرأةٍ، بل كان يُجبِرُ الزوجاتِ والأراملَ والعذارى أن يَخْضَعْنَ لمطالبه الرَّجسة، ثمَّ تمكَّن «أوتو» مِن خَلعِ هذا البابا بالتماسٍ من مَجْمَعٍ مؤلَّفٍ من المطارنة والعامة، لارتكابه انتهاكَ حُرمةِ الأشياءِ المقدسةِ والرِّشوةِ بوظائفِ الكنيسةِ والتجديفِ والتشويهِ القاسي؛ لأنَّه قَطَع يدَ أحد الشمامسة اليمنى وخَصَاه، وقلَع عين «بانديكت»[2]، وقَطَع أنفَ حافظِ الأوراقِ القديمةِ وجَلَدَ نيافة مُطران «أسباير»، ولَعَن وحَرَم جميع أضداداه، ثم مات عَقِبَ هذا الحرامِ بضربةٍ أتته على رأسِه بينما كان مضطجعًا في الفراشِ مع إحدى النساء المتزوِّجات[3].

---

(١) «البابوات» تأليف «ولك» (ص٨٧).

(٢) أسأل اللَّهَ أن يقطع لسان «بنديكت السادس عشر».

(٣) «تاريخ البابوات» تأليف باور (٢/ ٣٢٠).

❑ ولاحظ «جوتن» أنَّ «بارونيوس» قال روايًا عن «لويتبراندس»: إن الشيطانَ هو الذي ضَرب البابا «يوحنا» تلك الضربةَ على رأسه، لكن يظهرُ أنه من غيرِ المحتمل أن الشيطانَ يُسيءُ لأخيه بعملٍ يقضي عليه، بل من المرجَّح غالبًا أنَّ الذي ضربَه تلك لضربةَ هو زوجُ المرأةِ الزانيةِ التي كان في فراشها[1].

❑ «بونيفاشيوس السابع» (٩٨٤ ـ ٩٨٥م) والقديس «غريقوريوس السابع» (١٠٧٣ ـ ١٠٨٧م) كانا أولادَ زنًا[2]:

تزوَّجَ بابنتي أختِه «حوبا» قداستُه كما غفرَ الذُّنوبا

❑ «بونيفاشيوس الثامن» (١٢٩٤ ـ ١٣٠٣م).. إن هذا البابا لَقَّبَ نفسه بمَلِكِ الملوك، واحتَجَّ الشعبُ على بَيعِه وظائفَ الكنيسةِ وسَفكِ الدماءِ والنهبِ، ومِنْ سُكناه مع ابنتي أختِه كسُرِّيَّاتٍ له، وقد ولَدَتا من قداسته[3].

أغوى ولاطَ وأمرُه مستنكَرُ إنَّ الكنيسةَ للخطايا تغفرُ!

❑ «يوحنا الثالث والعشرين» (١٤١٠ ـ ١٤١٧م).. إنَّ هذا البابا حُوكِمَ أمامَ جَمعٍ تألَّفَ لذلك الغرضِ، وتبرهَنَ ضدَّه بشهادةِ سبعةٍ وثلاثين شاهدًا ـ ومعظمُ أولئك الشهودِ من المَطارنة والقسوس ـ على أن قداسته مذنبٌ لارتكابه الفِسقَ والزنا بالأقاربِ المحارمِ، واللِّواطةِ والرِّشوةِ بوظائفِ الكنيسة، والسرقةِ والقتل، وقد شَهِدَ عليه جماعةٌ بأنه أغوى واغتَصب

---

(١) «ملحوظات على التاريخ الأكليركي» (٣/ ٣٠٩) تأليف جوزت.

(٢) «تاريخ المملكة المغربية» وجه (٣٣٠).

(٣) «تاريخ البابوات» وجه ١٤٥ تأليف (ولك).

ثلاثَمئةِ راهبة، وقال كاتمُ أسرارِه الخاص «نبام»: إنَّ هذا البابا كانت له نِسوةٌ في «بولونيا»، وأصحبت نحوُ مئتي بنتٍ ضحيَّةَ شَهواتِه ورفاهةِ قداسته[1].

□ الأحبارُ الرومانيَّة:

«سكستوس الرابع» (١٤٧١ ـ ١٤٨٤م).

□ قال «سنجر» في كتابه «تاريخ العهارة» وجه ١٥٩: إنه وقعَ تحت نَظَره كتابٌ عن حياةِ البابوت ـ والكتاب يُدعىٰ «الأحبار الرومانية» طبع مدينة نيويورك سنة ١٨٤٥م ـ، قال: إنه قرأ في ذلك الكتاب أنَّ تذكاراً أُهدي إلىٰ «سكستوس الرابع» بأحدِ أفرادِ عائلةِ الكردينال القديس «لوسيا»، حيث سَمَحَ له أن يرتكبَ جريمةَ اللِّواطة! وأنَّ البابا كتب علىٰ ذلك التصريحِ أو الإذنِ كلمة «فيات» ومعناها «أمر أو حُكم».

«إينوستسيوس الثامن» (١٤٩٢ ـ ١٥٠٣م).. إنَّ قداسةَ هذا البابا كان من الأدنياء، ولم يكن له أدنىٰ سُلطةٍ علىٰ شهواته، وقد اشتهىٰ قداستُه أرملةً وابنتين، فجَعَلهن تحتَ تصرُّفِ شهواتِ قداسته.

□ قال «ولْك»: إن هذا البابا رجلٌ لا آدابَ عنده، ومُخادعٌ وطَمَّاع، وكَسَلَفِه لم يكن نُصْبَ عَينيه إلاَّ غرضٌ واحدٌ يَرمي إليه، وهو تنميةُ وإكثارُ عائلتِه الوقتيَّةِ الوراثيَّة[2].

□ وقال عنه «موشايم»: «إنَّ دناآتٍ كثيرةً وجرائمَ عظيمةً وارتكاباتٍ فظيعةً قد أُرِّخَت عنه، حتىٰ صار من اللازم المؤكَّد أنه كان رجلاً مُجَرَّدًا ـ ليس عن الدِّيانة فقط ـ بل من اللياقةِ والخَجَل[3]، وهذا البابا في أحدِ

(١) انظر كتاب «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٦) طبعة ٤٣ تأليف الأب «شينكوي».

(٢) «البابوت» تأليف «ولك» مجلد ٣ وجه (٣١).

(٣) «جرائم النصرانية» مجلد أول وجه (١٣٨).

الأعيادِ كان عند قداستِه نِسوةٌ زانيات يَرقُصْن، وهؤلاء الزانيات بإشارةٍ منه خَلَعْنَ ملابسهنَّ و. . . نحن نُسدل ستارًا على بقيَّة المنظر[1] .

☐ زَنَى بابنَته وأخته!!:

وقد كان قداستُه يَزني بأختِه وابنتِه «مدموزيل لوكرتيا»، حيث أنجَبَ منها ولدًا![2] ، أمَّا من جهةِ روايةِ موته، فنتبع «رِنك» في تاريخه عن البابوات حيث قال: «مِن الثابت والمحُقَّق أنَّه أراد أن يُسمِّمَ أحدَ الكردينالاتِ الأغنياءِ ليتخلَّص من شرِّه، فأوعزَ إلى الطَّاهي كي يضعَ السُّمَّ في إناءِ الكاردينال، ولكنَّ الكردينال عَرَفَ ذلك، فاحتال بواسطةِ الهدايا والوعودات والصلواتِ وكسبِ قلبِ رئيسِ طُهاة البابا، والإناءُ المسمومُ الذي كان منويًّا وَضعُه أمامَ الكردينال وُضعَ أمام البابا، ومات بالسُّمِّ الذي دسَّه لغيره!![3] .

«بولس الثالث» (١٥٣٤ ـ ١٥٥٠م).. هذا البابا أيضًا كان زانيًا، واعترف بولدٍ وبنتٍ وُلِدا له غيرِ شرعيَّين، ولقد اعترضَ الإمبراطورُ عليه لأنَّه رقَّى حفيدَيه إلى منصبِ الكردينالات، وهما حديثَا السنِّ، فأجاب البابا أنه يريدُ أن يَفعلَ كما فَعَلَ سَلَفُه مِن قَبلِه!![4] .

وَرِثوا من الأسلافِ كلَّ كريهَةٍ ... وتستَّروا خَوفًا من الأتباعِ

(١) «جرائم النصرانية» مجلد أول وجه (١٣٨).

(٢) «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٦) تأليف الأب «شنكوي».

(٣) «تاريخ البابوات» مجلد أول وجه (٣٥) تأليف «رنك».

(٤) «تاريخ البابوات» مجلد أول وجه (١٦٣) تأليف «رنك».

□ قال الأبُ «شنكوي»: لا يظنَّ القارئُ ولا يُخدَعُ بتصوُّره أنَّ بابوات «روميا» في يومنا هذا أحسنُ أو أشرفُ من بابوات القرون الوسطىٰ! بل هم الآن علىٰ نَمَطِ أسلافِهم القدماءِ، لا فرقَ بينهم سوىٰ أنهم في هذه الأيَّام يَهتمُّون في إخفاءِ خَلاعتِهم خوفًا من هذا العالَم الذي أصبح متمدِّنًا، فهم يخافون علىٰ وظائِفهم وتهييجِ الشعبِ ضدَّهم، فيُخفُون خلاعتَهم وتهتُّكَهم بظواهرِ التَّديُّن قَدْرَ ما أمكن.

□ راهباتٌ أم عاهرات؟!!:

اذهبِ الآن إلىٰ «روميًّا»، وهناك الرُّومُ الكاثوليك يَدُلُّونك علىٰ البِنتين الجميلتينِ اللتينِ وُلِدَتا للبابا «بيوس التاسع» (١٨٤٦ - ١٨٧٨م) من صاحبتَيه!!! وهناك يُخبِرونك عن أسماءِ خمسِ صاحباتٍ أُخَرَ له - ثلاثٌ منهنَّ راهباتٌ -، وهؤلاء كان يُصاحِبُهنَّ منذ كان خوريًّا ومُطرانًا!! والبعضُ منهنَّ ما زِلْنَ علىٰ قَيدِ الحياة يُرْزَقْنَ[1].

□ البابا «غريغوريس» من أكبرِ سِكِّيري إيطاليا!!:

□ قال الأب «شنكوي» في كتابه «الخوري والمرأة والاعتراف»: «سَلْ أولئك الذين يَعرفون البابا «غريغوريس السادس عشر» (١٨٣٢ - ١٨٤٦م) سَلَفَ «بيوس التاسع»، وهم يَروُون لكَ تاريخَ صاحباتِه، وكانت إحداهنَّ زوجةَ حلاَّقِه! ويُخبرونك أيضًا بأنَّ قداستَه كان من أكبرِ سِكِّيري إيطاليا![2] انتهىٰ.

---

(١) «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٧) تأليف شنكوي.

(٢) «الخوري والمرأة والاعتراف» وجه (٢٨٧) تأليف شنكوي.

وبعدَ هذا العرضِ الموجَزِ للتاريخ المُخزِي لبابوات الفاتيكان، ألاَ يَستحي «بندكتوس السادس عشر» من الظهور أمامَ العالم ليَتحدَّث باسمِ هذه البابَوية المُقرِفة، فضلاً عن النَّيلِ من شرْعةِ الإسلام الطاهرة ومن رسولِها الزكيِّ عليه الصلاة والسلام؟؟! وألا يَستحي المُصفِّقون له والمدافعون عنه ودعاةُ التقاربِ معه من الظهورِ أمامَ الناس بعد اليوم؟!»[1] اهـ.

*** مهلاً يا بابا! إنّي أدعوك إلى الإسلام!:**

▫ قال الكاتب: د. عدنان علي رضا النحوي:

*** رسالة إلى بابا الفاتيكان: مهلاً يا بابا! إنِّي أدعوك إلى الإسلام!:**

تحدَّث بابا الفتيكان «بنديكت السادس عشر» في محاضرته في جامعة «ريجينسبورج» في «بافاريا» بألمانيا حولَ ما يَعتقدُه من خلافٍ بين الإسلام والنصرانيةِ في العلاقة بين «الإيمان والعقل».

لم تكنْ إساءتُه الأولى للإسلام فيما ادَّعاه من نقاطٍ مثلَ سُوءِ فهمِ الآية الكريمة: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ومن مثلِ «الحربِ المقدَّسة في القرآن»، ولا بقوله الذي خالَفَ فيه الإيمانَ والعقلَ معًا في وقتٍ واحد، حين قال: «أرني شيئًا جديدًا أتى به محمدٌ، فلن تجدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنسانيٌّ، مثلَ أمرِه بنَشرِ الدين الذي كان يُبشِّرُ به بحدِّ السيف»، وهنا لم يكن خطؤه مخالفةَ الدين والعقلِ فحسب، ولكنْ وَقَع في خطإٍ كبيرٍ، ألاَ وهو

(١) «المقال» للدكتور خلدون مكي الحسني - دمشق ٢٣ شعبان ١٤٢٧هـ.

«الافتراءُ»، أو الكَشفُ عن جَهلِه الواسعِ بالإسلام!.

إن إساءتَه الأولىٰ كانت لنفسه وللنصرانيةِ التي أتىٰ بها عيسىٰ عليه السلام وللدِّينِ كلِّه والعقلِ كله، فهل يُعَقْلُ أنَّ اللَّه الواحدَ الأحدَ، ربَّ السمواتِ والأرضِ وربَّ العالمين، وجميعُ الخَلقِ عبادٌ له، هل يُعقَلُ أن اللَّهَ الواحدَ يَبعثُ لعبادِه بأديانٍ مختلفةٍ متصارِعة، ثمَّ يُحاسِبُهم يومَ القيامة؟! إذا كان الدينُ عند اللَّه هو الحق، بَعَث الرسلَ والأنبياءَ لِيُذكِّروا عبادَه بالحقِّ الذي يجبُ أن يتَّبعوه في الحياةِ الدنيا، ليدخلَ المؤمنون الجنَّةَ برحمةٍ من اللَّه، ويدخلَ الكافرون النارَ عدلاً من اللَّه سبحانه وتعالىٰ، إذا كان الدينُ مِن عندِ اللَّه هو الحقُّ، فهل يُعقَلُ أن يَبعثَ رُسُلَه بأديانٍ متصارعةٍ؟! كلاَّ! ثُمَّ كلاَّ! فهذا لا يُعقَلُ، فالدينُ عند اللَّه واحدٌ، بَعَث جميعَ رسلِه بدينٍ واحدٍ هو دين الإسلام، دينًا واحدًا! فاستَمعْ إلىٰ ما يقوله الإسلام: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [آل عمران: ١٩].

* وكذلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥].

* وكذلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [البقرة: ٨٣].

❑ هذه هي الحقيقة الأولىٰ التي يَفرِضُها العقلُ والدينُ في وقتٍ

واحد، ألاَ وهي: «أنَّ الدين كله من عند اللَّه وهو دين واحد»! فكيف غابَت هذه الحقيقةُ عن إيمانِ البابا وعقله؟!.

* ولذلك جاءت الآياتُ في القرآن الكريم واضحةً جليلةً تُبيِّنُ بشكلٍ حاسمٍ أنَّ جميعَ الرسُلِ والأنبياءِ جاؤوا بدينٍ واحدٍ من عند اللَّه هو الإسلام، فالإسلامُ دينُ نوحٍ وإبراهيمَ وموسىٰ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسىٰ وأيوبَ ويونسَ وهارونَ وسليمانَ وداودَ وغيرِهم عليهم السلام ممن ذكرهم القرآن الكريم أم لم يذكرهم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[النساء: ١٦٣ - ١٦٦].

ولقد جاءت الآياتُ البيناتُ تبيِّنُ أنَّ كلَّ نبيٍّ ورسولٍ كان مسلِمًا، وكذلك أن الذين آمنوا به واتبعوه كانوا مسلمين، وهذه هي الحقيقةُ الثانيةُ المرتبطةُ بالحقيقةِ الأولىٰ السابقِ ذكرُها: «أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل، والذين اتبعوهم».

* ولذلك أصبح مِن أُسسِ الإيمانِ في الإسلام، في دينِ اللَّه، أن يؤمنَ المسلمُ بجميعِ الأنبياءِ والرسل، لا يُفرِّقَ بين أحدٍ منهم: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

* وكذلك: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

* ونوحٌ عليه السلام يقول: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

* وإبراهيمُ عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

* وموسىٰ عليه السلام كذلك: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

* وعيسىٰ عليه السلام ومَن آمن معه: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين.

* أما قولُ البابا عن التناقضِ بين ما تُشيرُ إليه الآيةُ الكريمة: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبينَ أمرِ رسولِ اللَّه ﷺ بنَشرِ الدينِ بحدِّ السيف: كان أحرىٰ بالبابا أن يذكرَ

الآيةَ كاملةً حتى ينجليَ المعنى، فلا تعارُضَ بين قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وبين أمرِه سبحانه وتعالى بالجهادِ في سبيل اللَّه، قضيَّتانِ متداخلتانِ تُكمِلانِ المعنى والصورةَ لتكونَ جُزءً من نهجٍ واحدٍ متماسك.

فـ ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ تعني: أنَّ اللَّهَ لا يَقبلُ من أحدٍ إيمانًا لم يكن نابعًا من قلبِه متيقِّنًا منه، فعلى الإنسانِ أن يَستمعَ للدعوةِ إلى الإيمانِ الحق، إلى الإسلام، ثمَّ عليه أن يُفكِّرَ، ثمَّ عليه أن يُقرِّرَ هو بنفسه ـ آمَنَ أم لم يؤمن ـ، ثم يتحمَّلَ هو مسؤوليةَ قراره، ولكنَّ المشكلةَ هنا أنه يجبُ أن تَبْلُغَه الدعوةُ واضحةً جليَّةً ليفكِّرَ، وأن يُفسَحَ المجالُ للإنسانِ ليستمعَ ثمَّ ليفكِّر، ثمَّ ليقرِّر، ثمَّ ليتحمَّلَ مسؤوليةَ قراره، ولكلِّ قرارٍ نتيجة: فلو قرَّر الكفرَ فمصيره إلى النار، وإن قرَّر الإيمان فمصيرُه إلى الجنَّة.

* وحينَ حَمَّلَ اللَّهُ الإنسانَ مسؤوليةَ الإيمانِ أو عَدَمِه، وَفَّر له جميعَ الإمكاناتِ التي تُعينُه على اتخاذِ قرارِ الإيمانِ لينجوَ عند اللَّه، واستمعْ إلى آياتِ اللَّهِ البيِّنات: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾

[الكهف: ٢٩ ـ ٣١].

ولذلك كان من أهمِّ القضايا التي يؤكِّدُها القرآنُ الكريمُ: أَمرُ اللَّه

للإنسان أن يُفكِّرَ التفكيرَ الإيمانيَّ السليم، ويُلِحُّ القرآنُ الكريمُ بهذه القضيةِ إلحاحًا شديدًا، ويوفِّرُ اللَّهُ لعبادِه سبيلَ التفكيرِ الإيمانيِّ الذي يَهدي إلىٰ الإيمانِ والعملِ الصالح، وذلك بنِعَمٍ من اللَّه كثيرة:

١ ـ أنْ جَعَل الإيمانَ فِطرةَ الإنسان التي يُولَدُ عليها، وأبواه يُهوِّدانِه، أو يُنصِّرانِه، أو يُمجِّسانِه، فتَفْسُدَ فطرتُه، ويتحملُ أولئك المسؤوليةَ عند اللَّه: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

● وكذلك الحديث الشريف: عن أبي هريرة ﵁، عن الرسول ﷺ قال: «**ما مِن مولود إلاَّ يُولَدُ على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانِه، كما تُنتِجُ البهيمةُ بَهيمةً جمعاءَ، هل تُحسُّون فيها من جَدعاءَ؟**»[1].

ولذلك جَعل اللَّهُ برحمتِه دينَه دينَ الفِطرةِ التي يُفْطَرُ الناسُ جميعًا عليها، ﴿ **لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾.

٢ ـ أنْ جَعَل آياتِه بيناتٍ في السمواتِ والأرضِ، وفي الإنسانِ نفسِه آياتٌ بيناتٌ شاهداتٌ علىٰ أنَّ اللَّهَ حقٌّ واحدٌ لا إله إلاَّ هو: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾

[يونس: ١٠١].

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم.

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٣].

٣ ـ أرسَلَ الأنبياءَ والرسلَ في كلِّ أُمَّةٍ، حتى لا يكونَ للناسِ على اللَّه حُجَّةٌ بعد الرُّسل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وختَم الأنبياءَ والمرسَلين بمحمدٍ ﷺ الرسولِ الذي بَشَّر به موسى وعيسى والأنبياءُ عليهم السلام.

٤ ـ أنْ أنعَمَ على الإنسانِ بالسَّمعِ والبصرِ والفؤادِ، وجَعل اللَّهُ كلَّ أولئك عنه مسؤولاً: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

لذلك أَصبحتِ القضيةُ الآنَ ـ إيمانًا وعقلاً ـ أن تُبلَّغَ الدعوةُ إلى الناس كافَّةً، وأن لا يَقفَ أمامَها حاجزٌ يَصُدُّ عن سبيلِ اللَّه، ويمنعُ وصولَ الحقِّ إلى الناس، فيبدأ المومنون بالتبليغِ والبيانِ والتعهُّدِ والموعظة الحسنة: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٥-١٢٨].

* ولم يَكُنِ الأمرُ بالدعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ أمرًا مرهونًا

بزمنٍ، ولكنه أمرٌ ممتدٌّ امتدادَ الدعوةِ الإسلاميةِ ما دامت الطُّرُقُ مفتوحةً والأبوابُ مُشْرَعَةً ولا يُوجَدُ اعتداءٌ على الإسلامِ ولا ظُلمٌ ولا صَدٌّ عن سبيله، وهذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

* نعم! ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾! فهم الظالمون المعتدون!.

* ولَمَّا نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

* وقولُه سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

● فما كان الجهادُ في الإسلام إلاَّ «ردًّا لعدوانٍ عليه»[1]، أو «بلاغًا لرسالةِ اللَّه إلى الناس بعد أن صُدَّ عن سبيله»[2]، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يقول: «خَلُّوا بيني وبين الناسِ حتى أُبلِّغَ رسالةَ ربِّي»!.

وكان أعداءُ الإسلامِ هم المُعتَدِين بصورةٍ مستمرَّةٍ، ولذلك جاء قولُه

---

(١) وهو جهاد الدَّفْع.

(٢) وهو جهاد الطَّلَب.

سبحانه وتعالىٰ: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

وكذلك جَمَعَ الرومانُ حُشودَهم حولَ الجزيرةِ العربية قبلَ غزوة «مؤتة» التي أَمَرَ الرسولُ ﷺ الصحابةَ أن يتحرَّكوا إليها لمواجهتِهم.

وأعجَبُ من كلامِ البابا هذا بأنَّ محمداً ﷺ أَمَر بنشرِ دينِه بالسيف!! وتناسَىٰ الآياتِ الكريمةَ التي تدعو إلىٰ الدعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة! والإسلامُ يريدُ أن تُبلَّغَ رسالتُه، فحين تكونُ الحِكمةُ والموعظةُ الحسنةُ هي السبيلَ الممكنَ، يُتَّبَعُ، وإنْ كان هنالك عدوانٌ وصدٌّ عن سبيل اللَّه، فقد شَرَعَ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ الجهادَ في الإسلام حقًّا.

إنَّ الإسلامَ جاء ليُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النور، ومِن الكفرِ إلىٰ الإيمان، ولِينقذَهم من عذابِ جهنَّمَ إلىٰ نعيمِ الجنَّة، وهذا هو أخطرُ ما في حياةِ الإنسان علىٰ الأرض في الحياة الدنيا.

أيُعقلُ بعد ذلك أن يُتْركَ الإنسانُ علىٰ هواه، إنِ اختارَ الشِّركَ، أو الكفرَ دونَ بَذلِ الجهود لإنقاذه؟ أرأيتَ لو أنك عايَنْتَ رجلاً يكادُ يَغْرَقُ في البحر، أتتركُه دونَ أن تُنقذَه وأنت قادرٌ علىٰ ذلك؟ فكيف إذا كان الإنسانُ سيُلْقَىٰ في نارِ جهنم، أتتركُه دونَ محاولةِ إنقاذه؟!.

ولو أنك كنتَ تسيرُ علىٰ طريقٍ تعرفُه، وأمامَك يَسيرُ رجلٌ لا يَعرفُ الطريق، وأمامَه هُوَّةٌ عميقةٌ فيها نارٌ تلظَّىٰ، فلو تركتَه يُتابعُ سَيْرَه سيَهوِي في لَهيبِ النار، أكنتَ تترُكه يَهوِي، أم تُقبِلُ عليه ليرجعَ؟ فإذا اقتنع وعاد إلىٰ الصوابِ والحقِّ، فذلك هو المقصود.. وأما إذا أبي وأصرَّ علىٰ أن يَمضيَ

إلىٰ هلاكِه، أكنت تتركُه أم تمنعُه ولو بالقوَّة؟! وإذا كان هذا الرجلُ ابنَك، أو أخاك، أو رجلاً آخر، أكنتَ تاركَه؟!.

وهكذا الإسلامُ، جاء لِيمنعَ الناسَ مِن أن يَهْوُوا في نارِ جهنم، لِينقذَهم من النارِ إلىٰ الجَنَّةِ، فالأمرُ أخطرُ مِن أن يؤخَذَ بهذه البساطة، بساطةِ العلمانيةِ التي تتركُ أمرَ الدينِ للفردِ نفسِه، لا تَحرِصُ علىٰ آخرَته.

وهذا الذي ضَرَب البابا مثلاً به، الطالبُ في الجامعة الذي أعلَنَ كُفرَه صراحةً، وأنكر وجودَ الرب، فتُرك هو وشأنَه، يقول البابا: «إن التماسُكَ الدخليَّ للإيمانِ داخلَ هذا الكونِ لم يتأثَّرْ بكُفرِ هذا الرجل»! هذا ظنٌّ ووهم! وإلاَّ ما قيمةُ الدينِ والرسالاتِ السماويةِ إذا كان شأنُها أن تَتركَ المُلحِدَ علىٰ إلحادِهِ لِيهويَ في جهنم إذا مات علىٰ الإلحاد؟! ما قيمةُ الدين إذن، والنتيجة واحدةٌ إذا كان هنالك دينٌ أم لم يكن هنالك دين؟! كيف لا يتأثَّرُ التماسُكُ الداخليُّ للإيمانِ في داخلِ الكون بوجودِ مُلحِدِين تتركُهم وإلحادَهم؟!.

إن الدينَ جاء لِينقذَ الناسَ من خطرٍ هو أعظمُ من أيِّ خطرٍ في الحياة الدنيا، لِينقذَهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ما دامت تُفيد، وبالقوةِ والشدةِ إذا لَزِم الأمر.. وتَركُ الملحِدِ لإلحادِهِ سيَنشرُ الفسادَ في الأرض، ويَمتدُّ الإلحادُ، وتَطغىٰ الفِتنُ في الأرض كما هي تطغىٰ اليومَ في ظِلِّ سيطرةِ النصرانية، ويُفْتَنُ الناسُ عن دينِهم وإيمانهم.

ولكننا نَعجَبُ من البابا كيف يَتَّهمُ الإسلامَ بأنه نُشِر بالسيف، ويتناسىٰ العالَمَ النصرانيَّ منذُ قُرونٍ طويلةٍ وهو يَحمِلُ كلَّ أنواعِ السلاحِ والتدميرِ

غاراتٍ متواصلةً على العالَم الإسلامي، وما زالت ممتدةً ترتكبُ أسوأَ أنواعِ الجرائمِ في الأرض؟! هذه الجرائمُ باسم «الديمقراطية» يقودُها العالَمُ الغربيُّ باسمِ «النصرانية»، كذلك كما أعلنها «بوش» بأنها «حربٌ صليبية»، وكما أعلنها غَيرُه، وكما تنطق التصرُّفاتُ المتتاليةُ المختلفةُ من العالَم الغربي.

وموقفُ بابا الفاتيكان موقفُ العَداءِ من الإسلام والمسلمين ليس جديدًا، وإنما هي مواقفُ متكررةٌ في حقدٍ وعَداءٍ مكشوف، ولا نراه بذلك يُطبِّقُ ما يزعمونه بأنه دينُ عيسى عليه السلام.

ولا حاجةَ لأن أُذكِّرَ بابا الفاتيكان كيف تكوَّنت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ في قَلبِ الإمبراطوريةِ الرومانية، وبعد صِدامٍ وصِراعٍ مع الوثنيةِ لمدةٍ تَزيدُ عن (٣٠٠) سنة، أثَّرت الوثنيةُ اليونانيةُ الرومانية فيها، فمنها أَخذت طقوسَها التي لم يأتِ بها عيسى عليه السلام، ومنها أَتت فكرةُ «التثليث» التي رَفَضها طائفةُ «الآريوسيين» وتمسَّكوا بالتوحيدِ الخالِصِ للَّه، فقَضَوا عليهم قضاءً مُبرَمًا.

وإذا كان البابا حريصًا على «الإيمانِ والعقل»، ففي كلامِهِ فارَقَ الإيمان وفارَقَ العقل، وأَغْرَقَ في الافتراءِ والظلم.

نَقصِدُ من هذه الملاحظات أن نُعرِّف بابا الفاتيكان على بعضِ القضايا في الإسلام، القضايا التي هي واضحةٌ في كتاب اللَّه! ولكننا نَظلُّ نَعجَبُ أن يَصدُرَ عن رجلٍ في هذا المركزِ الحساسِ ما يَكشفُ عن جهلٍ كبيرٍ بالإسلام، واضطرابٍ في الإيمان ودَورِ العقل.

فالإيمانُ يَفرضُ عليه وعلى غيرِه أن لا يتحدَّثَ عن أيِّ موضوعٍ إلاَّ بعد

دراستِه دراسةً أمينةً، ونُذكِّرُ بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾

[الإسراء: ٣٦].

والعقلُ يَفرِضُ كذلك أنْ لا يتحدَّثَ الإنسانُ عن موضوعٍ إلاَّ بعد دراستِه دراسةً جادةً، ليكونَ أمينًا فيما يَعرِضُه، فالإيمانُ والعقلُ يَفرضانِ الأمانةَ والصدقَ وعدمَ الافتراء.

هذه ملاحظاتٌ سريعةٌ نسوقُها، عسىٰ أن تَصِلَ إلىٰ أُذُنِ بابا الفاتيكان، وقلبِه، لِيستفيدَ منها في حياته وآخرته.

❑ وفي قوله: «أرني شيئًا جديدًا أتىٰ به محمد، فلن تَجِدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني..»!.

● فإنَّ محمَّدًا ﷺ يَردُّ علىٰ ذلك في حديثِه الشريفِ الذي يَرويه عنه أبو هريرة وأبو سعيدٍ الخُدْريُّ وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ رضي الله عنهم: «**مَثَلي في النبيِّين كمَثَلِ رجلٍ بني دارًا، فأحسنَها وأكْمَلَها وأَجْمَلَها، وتَرَكَ منها مَوضِعَ لَبِنَة لم يَضَعْها، فجَعَلَ الناسُ يطوفون بالبُنيانِ ويَعْجَبون ويقولون: لو تَمَّ موضعُ هذه اللَّبِنة!! فأنا في النبيين موضعُ تلك اللبنة**»[1].

وهذا تأكيدٌ علىٰ أنَّ الدينَ واحدٌ عند اللّه، وأنه دينٌ واحدٌ لجميعِ الرسلِ والأنبياء، وأنَّ محمداً ﷺ خاتَمُ الأنبياءِ والمرسلين.

ولكننا من ناحيةٍ أخرىٰ نَعتِبُ علىٰ أنفسِنا ـ نحن المسلمين ـ، الذين

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي.

انتشروا في الأرض ملايينَ من الدعاةِ، ثم نكتشفُ كلَّ يومٍ أنَّ رسالةَ الإسلامِ لم تُبلَّغَ لا إلىٰ هذا ولا إلىٰ ذاك، وأولُ واجبِنا قبلَ أن نهاجمَ البابا هو أن نوضِّحَ له الإسلامَ، ثمَّ ندعوه بشكلٍ واضحٍ صريحٍ إلىٰ الإسلام، إلىٰ دينِ عيسىٰ عليه السلام ودينِ جميعِ الأنبياء والمرسلين، إننا ندعوه ونُلِحُّ بالدعوةِ، عسىٰ أن يَهدِيَ اللَّهُ قلبَه فيؤمنَ فينجوَ من فتنةِ الدنيا وعذابِ الآخرة.

لقد سَبَق أن ذَهَب وفدٌ من المسلمين إلىٰ الفاتيكان لأجلِ الحوار! أيُّ حوارٍ كانوا يَقصِدون؟! فهم يَعرِفون موقفَ البابا من الإسلام، والبابا يعرفُ موقفَ المسلمين من الفاتيكان، وكلاهما يعرفُ أنه لا نُقطةَ لقاءٍ بين الفريقين إلاَّ أن يتنازلَ أحدُهما عن عقيدتِه، فهذا إذن ليس حواراً، وإنما كان يجبُ أن يدعوَ الوفدُ البابا دعوةً صريحةً إلىٰ الإسلام، وأن تكونَ دعوةً جليَّةً جريئةً لا مجاملاتِ فيها علىٰ حسابِ الحق، وهذا هو أمرُ اللَّه لنا، فلْنستمعْ إلىٰ ما يأمرُنا به اللَّه: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾

[آل عمران: ٦٠ ـ ٦١].

* ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [البقرة: ٦٢ ـ ٦٤].

❑ شتَّانَ بين هذه الدعوةِ الواضحةِ إلىٰ الحقِّ، وبين ما كان يَجرِي عليه الحوار! حتىٰ لقد صرَّح رئيسُ وفدِ الحوارِ إلىٰ الفاتيكان أنَّ البابا قال لهم: «نحنُ لا نؤمن بأنَّ محمَّدًا رسولٌ من عند اللَّه»! ثمَّ يتساءل: «لِمَ الحوارُ إذن؟!».

نعم! لِمَ الحوارُ وهم لم يطلبوه ولكن أنتم طلبتموه وسعيتُم إليه! ذهبتم ولم تُبلِّغوهم دينَ اللَّه بوضوح، كانوا جريئينَ بضلالهم، ونحنُ ضعفاءُ بالحقِّ الذي نؤمنُ به، هم لا يُجامِلون، ولا يَرقُبُون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذِمَّةً، ونحن نتنازلُ كلَّ يومٍ عن شيءٍ من ديننا!!.

❑ ومِن أعجبِ ما قاله البابا: «أرني شيئًا جديدًا أتىٰ به محمد، فلن تجدَ إلاَّ ما هو شريرٌ ولا إنساني»!.

فإن كان هناك شيءٌ يكشفُ الوجهَ، فلا شيءَ يَكشِفُه أكثرُ من هذا القول، وليس هذا بجهلٍ فحسب، ولكنه افتراءٌ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، وأهمُّ ما جاء به محمدٌ ﷺ: مكارمُ الأخلاق، والحبُّ في اللَّه، والكلمةُ الطيبةُ، والإحسانُ، وصِلَةُ الرحم، وبرُّ الوالدين، والبرُّ كله.

علَّمنا محمدٌ ﷺ أَدَبَ الكلمةِ واللفظةِ، بحيث تكونُ صادقةً لا كَذِبَ فيها ولا افتراء.. معاني الإنسانيةِ الحقَّةُ لا نَجِدُها في أيِّ رسالةٍ كما نَجِدُها في دينِ الإسلام، دينِ جميعِ الأنبياءِ والرسلِ الذين خُتِموا بمحمدٍ ﷺ.

ولو أردتُ أن أُعدِّدَ كلَّ ما جاء به محمدٌ ﷺ مِن عندِ ربِّه ـ من الخير ومعاني الإنسانية ـ لاحتجتُ إلىٰ مؤلَّفات، ولكنْ يكفي أن أقولَ: إنه جاء بما أنت بحاجةٍ إليه!.

وحَسْبك حديثُ رسول اللَّه ﷺ يَرويه عنه أبو هريرة ﵁: «إنَّما بُعثْتُ لأُتَمِّم صالحَ الأخلاق»[1].

☐ أيها البابا، إني أدعوك إلىٰ الإسلام دعوةً واضحةً صريحةً، فأسلِمْ، عسىٰ أن تَسلَمَ بين يدي اللَّه، إنَّ الحقَّ جَلِيٌّ، واللَّهُ أرحمُ بعبادِه من أن يَتركَ الحقَّ مبهمًا غيرَ بيِّنٍ أو جَلِيٍّ.

فإذا قَضَيتَ وغادرتَ الدنيا، ورأيتَ أنك كنت كما أنت الآن علىٰ غيرِ الحق، وبدا لك أنَّ الحقَّ هو ما جاءت به الرسلُ والأنبياءُ والنبيُّ الخاتَمُ محمدٌ ﷺ، فماذا أنت فاعل؟! وماذا يفعلُ الذين اتَّبعوك؟!.

أُكرِّر بإلحاحٍ - أيها البابا - أنْ أَسْلِمْ، فعسىٰ أن تُنقِذَ نفسَك وتُنقِذَ الملايين ممَّن يتبعونك.

أنا لا أنتظرُ اعتذارك! ولكنْ أنتظرُ توبتَك إلىٰ اللَّهِ، لأنك ارتكبت معصيةً كبيرةً.

فالإساءةُ إلىٰ أيِّ نبيٍّ أو رسولٍ إثمٌ ومعصيةٌ عند اللَّه، وبخاصةٍ إذا كانت إلىٰ خاتَمِ النبيين محمدٍ ﷺ، واستمع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]»[2] اهـ.

* * *

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وابن سعد، والحاكم، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٢) موقع الدكتور عدنان النحوي علىٰ «النت» - تاريخ النشر في الموقع: ١٠/١٠/٢٠٠٦م - ٦/٩/١٤٢٧هـ.

*** خطابٌ مفتوحٌ إلى البابا «بنديكتوس السادس عشر»:**

☐ كتبت الدكتورة زينب عبدالعزيز: «أبدأُ بهمسةِ عتابٍ كزميلةٍ في اللقبِ الجامعي - وهو المستوى الذي يَدورُ في نطاقِه هذا الخطاب - وكإنسانةٍ مُسلمةٍ، نالها من الإهانةِ والمرارةِ والألمِ ما نال المسلمين في العالَمِ أجمعَ مما ورد في المحاضرة التي ألقيتموها، في جامعة «ريجنسبرج» بألمانيا، تحت عنوان: «العنف يتعارضُ مع طبيعةِ اللَّه ومع طبيعة الروح».

☐ فمَن يَحملُ على كاهلِه أمانةَ ومسؤوليةَ كلِّ هذه الألقاب، عارٌ عليه أن يتدنَّى إلى مستوى السبِّ العلنيِّ لدينٍ يتمسَّكُ به ويتَّبعُه أكثرُ من خُمسِ سكانِ العالم.. وعارٌ عليه أن يختارَ موقفَ التحدِّي الاستفزازيِّ للنَّيل من الإسلام والمسلمين.. وهو موقفٌ يندرجُ بلا شك ضمنَ مسلسلِ الإساءةِ والمحاصرةِ الذي بدأ منذ بدايةِ انتشارِ الإسلام ويتواصلُ حتى يومِنا هذا، إنه موقفٌ وَضَعَكم على أرضِ احتقارِ الآخر، والكذبِ، والجهلِ، باختيارِكم، وكلُّها تشبيهاتٌ لا تليقُ بمَن في مِثلِ منصبِكم، فهو موقفٌ يكشِفُ عن مدى جَهلِكم بدينِكم وبدينِ الآخرين من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى هو موقفٌ أشبهُ ما يكونُ بإطلاقِ العِنانِ لحملاتٍ صليبيةٍ جديدةٍ ما أغنانا جميعًا عنها!.

☐ وتؤكِّدُ جريدةُ «لاكروا» المسيحية الصادرة في ١٧/٩/٢٠٠٦، أن المحاضرةَ قد تمَّ الإعدادُ لها طويلاً، وقرأها العديدُ من المحيطين بكم، مثلَما يحدثُ مع كافةِ النصوص العامةِ على الأقل، كما تؤكدُ الجريدةُ أنه منذ يومِ الإثنين ١١/٩ وبينما لم يكن البابا قد نَطق محاضرتَه بعد، صَدرت الصحفُ الإيطاليةُ بعناوينَ حولَ «بنديكت السادس عشر والإسلام»! الأمر الذي يؤكدُ ربطَ هذه المحاضرةِ في هذا التوقيت بمسرحيةِ الحادي عشر من

سبتمبر! . . فما أصبح معروفًا يقينًا رغمَ التمويهِ الشديد، أن الأياديَ المدبِّرةَ أمريكيةٌ رفيعةُ المستوىٰ، وكان هدفُ المحاضرة واضحًا في ربطِه بين الإسلامِ والإرهابِ والشر . . أي أنه موقفٌ متعمَّد.

◻ ولقد جاء ردُّكم وتعبيرُكم عن «الحزن» الذي انتابكم من ردودِ الأفعال التي أثارتها محاضرتُكم كعُذرٍ أقبحَ من ذنب، فالباحثُ الأكاديميُّ حينما يَستشهدُ في بحثه، يكونُ ذلك لأحدِ أمرين: إمَّا لتأييدِ موقفِه، وإمَّا لِنَقدِ ذلك الاستشهاد، ولا يوجدُ هناك ما يسمَّىٰ باستشهادٍ لا يُعبِّرُ عن رأيِ كاتبِه بالمعنىٰ الذي حاولتم التبريرَ به: فالكاتبُ هو الذي يَستشهدُ.

وقولُكم: إن هذه العبارات لا تُعبِّرُ عن رأيكم الشخصي، في الوقت الذي يؤكدُ صُلبُ المحاضرةِ وسابقُ كتاباتكم ـ وخاصةً خطابُكم الرسوليُّ ـ، كلُّها كتاباتٌ تؤكدُ أنكم تعنونه، وذلك يَضعُكم في مصافِّ أولئك الباحثين الذين يضعون أفكارَهم علىٰ لسانِ غيرِهم حتىٰ لا تُحسَبَ عليهم خشيةَ عواقبها. . وهو موقفٌ علميٌّ يوصفُ بالجُبن، ولا يَليقُ بمَن في مكانتكم.

◻ وحتىٰ التصريحُ الصادرُ عن المكتبِ الإعلاميِّ للفاتيكان يوم السبت ١٦/ ٩/ ٢٠٠٦ والذي استَشهد فيه المتحدثُ الرسميُّ بقرارِ وثيقةِ «في زماننا هذا» الصادرةِ عن مَجمعِ الفاتيكانِ الثاني سنة ١٩٦٥ ، فهو أيضًا بمثابةِ عُذرٍ أقبحَ من ذنب، ويكشفُ عن الموقفِ غيرِ الكريم والملتوي ـ لكي لا أقولَ ذو الوجهين ـ للفاتيكان، فمن يَطَّلعُ علىٰ مَحاضرِ صياغةِ هذا النص تحديداً، يُصابُ بالغَثَيان مِن كثرةِ ما جاهَدَ كاتبوه لاستبعادِ أن العربَ من سُلالةِ إسماعيل الابنِ البِكر لسيدنا إبراهيم، ولا ينتمون إليه، وإنما يتخذونه مَثلاً! . واستبعاد حتىٰ أن اللّه قد خاطَبَ المسلمين عن طريقِ الوحي إلىٰ

سيدنا محمدٍ ﷺ، والمرجعُ صادرٌ عن الفاتيكان بعنوان «الكنيسة والديانات غير المسيحية»، وبه محاضر الجلسات المُخجِلة، الأمرُ الذي يوضِّحُ مدىٰ تمسُّكِكم باستمرارِ ذلك الموقفِ غيرِ الأمين تُجاهَ الإسلامِ والمسلمين، لعدمِ الاعترافِ به كديانةٍ توحيدية، وسواءٌ اعترفتم أو لم تعترفوا به، فالإسلامُ موجودٌ ومعترَفٌ به من الجميع علىٰ أنه الرسالةُ التوحيديةُ الثالثةُ المرسَلةُ للبشر، ورَفضُه أو إنكارُه لا يُدِينُ إلاَّ شخصكم، ولا يَسَعُ المجالُ هنا لتناولِ مختلَفِ النقاطِ التي طَرحتموها في تلك المحاضرة، والتي تَزيدُ عن العشرين موضوعًا، وسأكتفي بالردِّ علىٰ ما يَخصُّ الإسلام، وهما نقطتان أساسيتان:

ما وصفتم به اللهَ عز وجل في «المذهب الإسلامي» من أن التصعيدَ المُطلَقَ للَّه عبارةٌ عن مفهومٍ لا يتفقُ ولا يتمشَّىٰ مع العقل والمنطق، ولا يُمكنُ فهمه، وأن إرادتَه لا ترتبطُ بأيِّ واحدةٍ من فئاتكم المنطقية، ولا حتىٰ فئة المعقول؛ وأن سيدَنا محمداً عليه صلوات اللَّه، لم يأتِ إلاَّ بكلِّ ما هو شرٌّ ولا إنساني، مثلِ أمرِه بنشرِ العقيدةِ التي يُبشِّرُ بها بالسيف!.

❑ وأولُ ما يَجبُ توضيحُه هنا هو أن الإسلامَ ليس بمذهب، كما وصفتموه، وإنما دينٌ توحيديٌّ متكاملٌ، شاملُ الأركان، ثابتٌ وراسخ، وخاصةً شديدُ المنطقِ والوضوحِ، وهو ما يَجذبُ الناسَ إليه، ومجردُ إغفالِ مثلِ هذه الحقيقةِ يُوصِمُ موقفَكم، ويَكشفُ عن مَدىٰ عَدمِ الأمانةِ العلميةِ والموضوعيةِ التي تتمسَّكون بها!.

ولن أحدِّثكم هنا عن الإسلام الذي يُمكنُكم دراستُه إن شئتم، لكنني سأسألُكم عن الكتاب المقدَّس بعَهديه، والذي تَرَون أنه بقِسمَيهِ يتفقُ مع العقلِ والمنطقِ دونًا عن القرآن، مُشيرِين في موضعٍ آخَرَ: «أن العنفَ

يتعارضُ مع طبيعةِ اللَّه وطبيعةِ الروح، وأن اللَّهَ لا يُحبُّ الدمَ، والتصرُّفُ بمنافاةِ العقل يُعدُّ ضدَّ طبيعة اللَّه».

- وهنا لا يَسَعُني إلاَّ أن أسألَكم عن كلِّ ما هو واردٌ بالعهد القديم من أمرِ الإله «يهوه» لأتباعِه بإبادةِ كلِّ القُرىٰ وحَرْقِها وذَبحِ الرجالِ والنساءِ والأطفالِ بحدِّ السَّيفِ، وأَخذِ الذهبِ والفضة.. وفي مكانٍ آخَرَ يطلبُ تعذيبَهم وتقطيعَهم وحَرْقَهم في أفرانِ الطوب.. هل تتمشَّىٰ مثلُ هذه الآياتِ مع العقلِ والمنطقِ في نظركم؟ وخاصةً هل تَرَونها تخلُو من الشرِّ واللا إنسانية؟! أم هذا هو التسامحُ الذي تُقرُّونه؟!.

- وما هو واردٌ في سِفْر «حزقيال» حين يأمرُه الربُّ أن يأكلَ خبزًا وعليه «خِراءُ الإنسان»، وحينما اشتكىٰ النبيُّ «حزقيال» أَمَره أن يُضيفَ عليه رَوَثَ البقر! هل يتمشَّىٰ هذا مع العقلِ والمنطقِ في نظركم؟! وأخجلُ حقًّا من ذِكرِ بعضِ الإباحياتِ الواردةِ بهذا النصِّ وغيره رَغمَ محاولةِ درئِها بتغييرِها، أو تعديلِها من طبعةٍ لأخرىٰ.. والنصوصُ والطبعات موجودة.

- أما في المسيحية التي تترأَّسون أعلىٰ المناصب فيها، فأبدأُ بسؤالِكم عن تأليه السيدِ المسيح في «مجمعِ نيقية الأول» سنة ٣٢٥، رغمَ وجودِ العديدِ من الآياتِ التي يقولُ فيها السيدُ المسيح: إن «الرب إلهُنا واحد» (مرقس ٢٩ : ١٢)، «ليس أحدٌ صالحًا إلاَّ واحدٌ وهو اللَّه» (متَّىٰ: ١٩ ـ ١٦).. «إنِّي أصعدُ إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهِكم» (يوحنا: ١٧ ـ ٢٠).. «للربِّ إلهك تَسجُد، وإياه وحدَه تعبد» (متىٰ: ١٠ : ٤)، وما أكثرَ الآياتِ التي يُوضِّحُ فيها أنه إنسان: «أنا إنسانٌ قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من اللَّه» (يوحنا: ٤٠ : ٨)، كما أن هناك آياتٍ تقول: «هذا يسوع النبي الذي من

ناصرة الجليل» (١١ : ٢١)، و«قد قام فينا نبيٌّ عظيم» (لوقا: ١٦ : ٧)..
ورَغمَ كلِّ هذه التأكيدات التي لا تزالُ موجودةً ولم تُمْحَ بعد، قامت المؤسسةُ الكَنَسيَّةُ بإعلانِ أنَّ يسوع «إلهٌ حقيقيٌّ من إلهٍ حقيقي، مولودٌ وليس مخلوقًا، ومشاركٌ لآب في الجوهر».. وبعدَ ذلك جَعَلَته اللَّهَ شخصيًّا، فهل تتمشَّىٰ كلُّ هذه المُغالطاتِ مع العقلِ والمنطق ـ رغم أنها أدَّت إلىٰ تقسيم المسيحية وإلىٰ مذابح بين أتباعها ـ؟!.

☐ وفي «مَجمع القسطنطينية الأول» تمَّت إضافةُ أن «الروح القدس مشارِكٌ للآب في الجوهر»، ممَّا أدَّىٰ إلىٰ انفصالٍ آخَرَ للكنائس، وفي «مجمع أفسوس» سنة ٤٣١ أقرَّ المَجمعُ بدعة «أن مريم أم اللَّه»، ممَّا أدَّىٰ إلىٰ معاركَ وانفصالاتٍ أخرىٰ.. وفي «مجمع خلقيدونيا» سنة ٤٥١ أقرَّ «الطبيعة الثنائية ليسوع».. وكلُّها عقائدُ وقراراتٌ لا يَذكرُ ولا يَعرفُ عنها يسوعُ أيَّ شيءٍ، فهل هذا يتمشَّىٰ مع العقل والمنطق؟!.

☐ والمعروفُ من إصداراتكم أنه لم يَتِمَّ تقبُّلُ عقيدةِ التثليثِ لقرونٍ طويلةٍ بين الكنائس، بحيث نُطالعُ في قرارِ مجمع «فلورنسا» المنعقدِ سنة ١٤٣٩، الذي راح يُحدِّدُ لليعاقبة معنىٰ الثالوث لفرضِه بلا رجعة، ويَنصُّ القرارُ علىٰ ما يلي: «إن العلاقةَ وحدَها هي التي تُفرِّقُ بين الأشخاص، لكنَّ الأشخاصَ الثلاثةَ يُكوِّنون إلهًا واحدًا، وليس ثلاثةَ آلهة؛ لأنَّهم من جوهرٍ واحد، وطبيعةٍ واحدة، وألوهيةٍ واحدة، وضخامةٍ واحدة، وخلودٍ واحد، وإن ثلاثتَهم واحدٌ حيث لا تُمثِّلُ العلاقةُ أيَّ تعارض».

وعلىٰ الذين لا يَرُوقهم هذا الوضوح تُجيب الكنيسة: «إنه سرٌّ»! فهل مِثلُ هذا المنطق هو الذي تَرَونه يتمشَّىٰ مع العقلِ السليم؟!.

□ تعتبرون سيادتُكم أن نصوصَ الكتاب المقدَّسِ بعَهده القديم، القائمِ على الترجمةِ السبعينية، وأناجيلِه الأربعةِ وباقي الكتبِ المُرفقة، هو الكتابُ الذي يُعتدُّ به، فهو يَحتوي على الإيمانِ الإنجيليِّ، وتستعينون بفِكرِه طوالَ محاضرتِكم بعد استبعادِ القرآن، والمعروفُ تاريخيًّا أن القديسَ «جيروم» هو الذي صاغه بأمرٍ من البابا «داماز»، بعد توليفِه من أكثرَ مِن خمسين إنجيلاً كانت منتشرةً ومستخدمةً حتى القرنِ الرابع، وعند الفراغِ من مهمَّته كَتَبَ مقدمةً للعهدِ الجديدِ موجِّهًا إياها للبابا «داماز» يقول فيها: «إلى قداسة البابا «داماز»، من «جيروم»: تَحُثُّني على أن أقومَ بتحويلِ عملٍ قديمٍ لأَخرُجَ منه بعملٍ جديد، وتريدُ منِّي أن أكونَ حَكَمًا على نُسَخِ كلٍّ تلك النصوصِ الإنجليةِ المتناثرةِ في العالم، وأن أختارَ منها وأُقَرِّرَ ما هي تلك التي حادت، أو تلك التي هي أقربُ حقًّا من النصِّ اليوناني، إنها مهمةٌ ورعة، لكنها مغامرةٌ خطِرةٌ، إذ سيتعيَّنُ عليَّ تغييرُ أسلوبِ العالَم القديمِ وأن أعيدَه إلى الطفولة، وأن أقومَ بالحُكمِ على الآخرين، يعني في نفسِ الوقت أنهم سيَحكمون فيه على عملي، فمَن مِن العلماءِ، أو حتى من الجهلاء، حينما سيُمسكُ بكتابي بين يَديه ويَلحظُ التغييرَ الذي وَقَع فيه، بالنسبةِ للنصِّ الذي اعتادَ قراءَته، لن يَصيحَ بالشتائم ضدِّي وَيَتَّهِمَني بأنني مُزوِّرٌ ومُدنِّسٌ للمقدسات؛ لأنني تجرَّأتُ وأضفتُ، وغيَّرتُ، وصحَّحتُ في هذه الكتب القديمة؟.

وحيالَ هذه الفضيحة، هناك شيئان يُخفِّفان من رَوعي، الأمر الأول: أنك أنت الذي أمرتَني بذلك؛ والأمرُ الثاني: أن ما هو ضلالٌ لا يمكنُ أن يكونَ حقًّا، وهو ما تُقرُّه أقذَعُ الألسنةِ شراسةً، وإذا كان علينا أن نُضفِيَ

بعضَ المِصداقيةِ علىٰ مخطوطاتِ الترجمةِ اللاتينية، لِيَقُلْ لنا أعداؤنا أيها أصوبُ؛ لأن هناك من الأناجيلِ بعددِ الاختلافِ بين نصوصِها، ولماذا لا يَرُوقُهم أن أقومَ بالتصويبِ اعتماداً علىٰ المصادرِ اليونانية لتصويبِ الأجزاءِ التي أساء فهمَها المترجِمون الجهلاء، أو بدَّلوها بسوءِ نيَّةٍ، أو حتىٰ قام بعضُ الأدعياء بتعديلها؟.

وإذا كان علينا دَمجُ المخطوطات، فما يَمنعُ أن نَرجعَ ببساطةٍ إلىٰ الأصولِ اليونانية، ونَبعُدُ بذلك عن أخطاءِ الترجمات السيئة أو التعديلات غيرِ الموفَّقة من جانبِ الذين تصوَّروا أنهم علماء، أو الإضافاتِ التي أدخلها الكَتَبَةُ النعسانين؟ إنني لا أتحدَّثُ هنا عن العهدِ القديم والترجمةِ السبعينيةِ باللغةِ اليونانية التي لم تَصِلْنا إلاَّ بعدَ ثلاثِ ترجماتٍ متتاليةٍ من العِبرية إلىٰ اليونانية، ثم إلىٰ اللاتينية، ولا أودُّ أن أبحثَ هنا ما الذي سيقولُه «أكويلا» أو «سيماك»، أو لماذا آثَر «تيودوسيان» الوسَطَ بين المترجِمين القدامىٰ والحُدَّاث؟ لذلك سأعتمدُ علىٰ الترجمةِ التي يمكنُ أن يكونَ قد عَرَفَها الحواريون.

◻ وأتحدثُ الآن عن العهدِ الجديد، المكتوبِ بلا شكٍّ باللغـةِ اليونانيـة ـ فيما عدا «إنجيل متَّىٰ» الذي كان قد استعان أولاً بالعبرية لنشرِه في منطقةِ اليهوديةَ ـ، إن هذا الإنجيلَ يختلفُ يقينًا عن الذي بَلُغَتنا نظرًا لتعدُّدِ المصادرِ التي استعانوا بها لتكوينه، وقد آثَرتُ أن أرجعَ إلىٰ نصٍّ أساسيٍّ، فلا أودُّ الاستعانةَ بترجماتِ المدعُوَّان «لوشيانوس» أو «هزيكيوس» التي يُدافعُ عنها البعضُ بضراوةٍ عن غيرِ وجهِ حقٍّ، واللذان لم يكن مِن حقِّهما مراجعةُ لا

العهدِ القديم بعد ترجمة السبعينية، ولا أن يقومَا بمراجعةِ النصوصِ الجديدة، فالنصوصُ الإنجيليةُ التي وَصَلَتْنا بلغاتِ شعوبٍ مختلفةٍ تُوضِّحُ مدىٰ الأخطاءِ والإضافاتِ التي بها، وإذا كنتُ قد قمتُ بذلك بالنسبةِ للنسخِ المكتوبة بلُغتِنا، فلابدَّ وأن أعترفَ بأنني لم أستفِدْ منها شيئًا» انتهىٰ.

◻ ذلك هو حالُ الكتاب الذي تعتبرونه مقدَّسًا! وأكتفي بهذا القَدْرِ من الاستشهاد؛ لأن باقيَ النصِّ متعلِّقٌ بترتيبِ الأناجيل وتبويبها، وكان ذلك في القرنِ الرابعِ الميلاديِّ، أي أنه حتىٰ ذلك التاريخِ لم تكنِ الأناجيلُ المعروفةُ حاليًا قد استَتَبَّ أمرُها، واندلَعت الخلافاتُ بين الكنائسِ لمدةِ قرونٍ طويلةٍ، حتىٰ قامت المؤسسةُ الكَنَسيةُ الكبرىٰ بفَرضِ هذا الكتابِ المقدسِ علىٰ الأتباعِ علىٰ أنه نصٌّ منزَّلٌ و«أن مؤلفه هو اللَّه»، وذلك في «المَجمع التريدنتي» سنة ١٥٤٧، ثم قام «مجمع الفاتيكان الأول» المنعقد في عامي ١٨٦٩ و١٨٧٠ بإعلان أن الكتابَ المقدَّس بعهديه «كُتب بإلهامٍ من الروحِ القدس، وأن مؤلِّفه هو اللَّه، وأنها قد أُعطيت هكذا للكنيسة».. أما «مجمع الفاتيكان الثاني» المنعقدُ بعد ذلك بحوالَي تسعين عامًا، ظَهرت خلالَها من الدرساتِ والأبحاثِ التي أطاحت بمصداقيةِ الكتاب المقدس، ما جَعَله يُعلِنُ عن إصحاحاتِ هذا الكتاب المقدس قائلاً: «إن هذه الكُتبَ وإنْ كانت تتضمنُ الناقصَ والباطلَ، فهي مع ذلك شهاداتٌ لعِلمِ تربيةٍ إلهيٍّ حقيقي»!.

تُرىٰ أيها البابا، هل هذا هو المنطقُ الذي تَرَونه حقًّا ومفهومًا؟!.

◻ ولا تفوتُنا هنا الإشارةُ إلىٰ «ندوة عيسىٰ» التي انعقدت في الولايات

المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٢، وإن أهمَّ ما خَرج به فريقُ العلماء المساهِمين فيها - وهم حوالي ٢٠٠ باحثًا لاهوتيًّا وأكاديميًّا - أن ٨٢٪ من الأقوال المنسوبة إلىٰ يسوعَ لم يتفوَّه بها، وإنَّما صاغها كَتَبَةُ الأناجيل، وأن موتَ يسوع وبَعْثَه حَدَثَ في المكان وبالكيفية التي أرادها كَتَبَةُ الأناجيل. . (صفحة ٢٤ من مقدمة الكتاب الصادر عن الندوة). . وما يأسفُ له هؤلاء العلماءُ هو الجهلُ الشديد لدىٰ عامةِ المسيحيين بكتابهم المقدَّس - وخاصةً بالعهد الجديد -، وهو مستوىً يَرَون أنه يَصِلُ إلىٰ درجةِ الأُميَّة! واللَّهم لا تعليق علىٰ ما تعتبرونه مصدراً للعقل والمنطقِ والإلهام!!.

❑ تقولون في خُطبتكم الموثَّرة: إن سيدَنا محمداً ﷺ لم يأتِ إلاَّ بأشياءَ شريرةٍ ولا إنسانية، مِن قَبِيلِ أمرِه أن يَتمَّ نَشرُ ما يُبشِّر به بالسيف. . لعلَّكم لا تَجهلون أن البابا «أوربانَ الثاني» هو الذي أعلن قيامَ الحروبِ الصليبية باسم الرب في مجمع «كليرمونت»، قائلاً: «إن اللَّه يُريدُها»، وأنه أطلق علىٰ المساهِمين فيها لقب «جُنْدِ يسوع»، وأَمَرهم بوضعِ علامةِ الصليب علىٰ ثيابهم وعَتادِهم، ووَعَد بغفرانِ ذنوبِهم وإعفائِهم من الضرائب، وأغدَقَ عليهم العطايا. . ويَصِفُ المؤرِّخُ المرافقُ للحَملةِ - والمعروف باسم «لانونيم» - قائلاً: «تمَّ طَردُ المدافِعين عن المدينة «القدس» بقَتلِهم وبَتْرِهم بالسيوف أحياءً حتىٰ معبدِ سليمان، وقد وَقعت مَجزرةٌ لا مثيلَ لها، بحيث أنَّ جنودَنا كانوا يَغُوصون بأقدامِهم في الدماء حتىٰ عراقيبهم»، ثم يُضيفُ بعد ذلك قائلاً: «لعلَّ ما أدَّى إلىٰ نجاحِ ذلك الهجومِ وغيرِه الانقسامُ الذي كان سائداً آنذاك بين المسلمين، وعندما سادت المجاعةُ أيامَ حصارِ «عكَّا» كان الصليبيون يَسْلُقون أطفالَ المسلمين ويأكلونهم. .

أذلك هو ما يندرجُ تحت مسمَّىٰ «العقل والأعمال الإنسانية وعدمِ الانتشار بالسيف»؟!.

◻ كما تم إنشاءُ محاكمِ التفتيش لتواكِبَ أعمالَها ولتواصلَ ما أُطلق عليه «عصرُ الظلمات» الذي امتدَّ حوالَي ألفِ عام، بمنعِ الأتباعِ من قراءةِ إنجيلهم، ومَنعِ التعليم إلاَّ علىٰ رجالِ الدين.. والمعروفُ أن الحروبَ الصليبيةَ لم تُوجَّهْ ضدَّ المسلمين وحدَهم في الأراضي المقدسة، وإنما امتدَّت إلىٰ «إسبانيا» لِتعاونَ في اقتلاعِ الإسلام، كما امتدَّت إلىٰ أوروبا وجنوبِ شرق فرنسا لاقتلاعِ شعوبِ «الكاتار والبوجوميل والفودوا»، لأنهم حتىٰ ذلك الوقت كانوا رافِضين لبدعةِ تأليه السيد المسيح.. وما تَذكُرُه المراجعُ التاريخيةُ والعلميةُ عن عملياتِ التعذيب التي تَفنَّنت فيها محاكمُ التفتيش مِن حَرقِها الناسَ أحياءً، أو فَقْءِ عيونهم، أو انتزاعِ لسانهم وهم أحياءٌ، أو دَهْنِ أرجُلِهم بالزَّيتِ ووضعِها فوقَ النار - بعدَ ربطِهم حتىٰ لا يتحركوا من أماكنهم - لَيُصيبُ القارئَ بالغَثَيان.. وما كَتَبه القَسُّ «برتولوميه دي لاس كازاس» عن وحشيةِ أعمال المبشِّرين ورجالِ الكنيسة وجنودِها - عند غزوهم شعوبَ أمريكا الجنوبية - يفوقُ الخيالَ في بشاعته.. ولم يُسمَحْ بنشرِ مذكِّراته إلاَّ في أواخرِ القرن العشرين، ولا يَسعُ المجالُ هنا للتحدُّثِ عن الحروبِ الدينية بين المسيحيين كحَربِ الخمسين عامًا، والمئةِ عام، والمجازرِ المميَّزة كمجزرةِ البروتستانت المعروفة باسم «سانت بارتليمي».. ولا عن سَردِ كيفيةِ فَرضِ المسيحيةِ بالسيف علىٰ أوروبا وضواحيها، أو علىٰ باقي بعضِ شعوبِ العالم.

❑ وإذا ما تَمَّ حَصرُ أعدادِ كلِّ الذين تَمَّ قتلُهم بأمرٍ من الكنيسة الكاثوليكية الرومية الرسولية، لَوصل إلىٰ مئاتِ الملايين من الأبرياء، وهو ما تَذْخَرُ به المراجع.. فمِثلُ هذه الأعمالِ تندرجُ تحت أيِّ منطقٍ في نظر سيادتكم؟ أم لعلَّكم تباركونها لبراءتها وتسامُحِها المسيحي!.

سيادةَ الأستاذِ والباحثِ، إنَّ كلَّ ما تقدم ـ وأكثرَ منه بكثيرٍ ـ هو ثابتٌ عِلميًّا وتاريخيًّا ووثائقيًّا، بل أكثرُ منه جِدُّ كثير، ولا يَسَعُ المجالُ هنا لذِكره.. إنها مجردُ شَذَرات.

❑ تقولون في الفقرةِ من محاضرتكم: «إن اللَّه لا يُحبُّ الدمَ»، ومع ذلك تصرُّون علىٰ استمرارِ العقيدةِ التي تَفرضُ علىٰ الأتباع شُربَ دمِه وأكلَ لَحمِه عند تناولِ «الإفخار ستيا»، ومَن لا يؤمنُ بذلك إيمانًا قاطعًا بأنه يشربُ دَمَه فعلاً ويأكلُ لحمه فعلاً يكون كافرًا وملعونًا.. ومن الواضح أن هناك العديدَ من الأتباع الذين يَنفِرون من مجردِ هذه الفكرة، وتفاوتت حِدَّةُ الصراعاتِ الرافضةِ «للإفخار ستيا» بالمعنىٰ الكَنَسي، وكان من أشهرِ هؤلاء «جان فيكليف» الذي أدانه مَجْمَع «كونستانس» ١٤١٨ لأنه نادىٰ بأنه الخُبزَ والنبيذَ لا يتبدَّلانِ في القربان ولا يتحوَّلان، وأن المسيحَ لا يتواجدُ فعلاً بلحمِه ودمِه في القربان، فأدان المَجمعُ كلَّ مؤلَّفاته، واتَّهمه بالهرطقة، وبعد وفاته أَمَر المَجمعُ بنَبشِ قَبرِه لإلقاءِ عِظامه بعيدًا عن المدافنِ الكنسيَّة (المجامع المسكونية ج٢ صفحة ٨٥٩)، ثم قام مجمعُ «لاتران» بإدخالِ هذا الطقس الدمويِّ ضمن عقيدة «الإيمان»!.

وكانت آخرُ محاولةٍ مبذولةٍ لدراسةِ كيفيةِ فَرضِ فكرةِ أكلِ لحمِ المسيحِ وشُربِ دمِه فعليًّا وحقيقيًّا، ذلك العامَ الذي كرَّسه البابا «يوحنا بولس

الثاني» في أكتوبر ٢٠٠٤، والذي انتهىٰ بانعقادِ «السينودس» الذي أُقيم من ٢ إلىٰ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٥، وحضره ٢٥٦ أسقفًا من ١١٨ بلدًا حول موضوع: «الإفخارَ ستيا في الحياة والرسالة الحالية للكنيسة»، وقد قمتَ بترأُّسه لوفاةِ البابا السابق، وتم اختيارُ هذا التاريخ ٢٣ أكتوبر لإنهاءِ أعمالِ المؤتمر، لِيتَّفقَ مع «اليوم العالمي للتبشير».. وهو ما يكشفُ عن أن عقيدةَ «الإفخار ستيا» تقفُ عقبةً في عملياتِ التبشيرِ التي تَخوضونها وتجاهِدون لِتدارُسِ كيفيةِ فرضها!.

ومن الواضحِ أن الإصرارَ علىٰ فرضِ هذه العقيدةِ بمثل هذا التشبُّث، هي عمليةُ تبريرٍ لاستمرارِ ضرورةِ وجودِ طبقةِ القساوسة التي هي وحدَها تمتلكُ سرَّ تحويلِ الخُبزِ والنبيذ «بقُدرتهم السحريَّة» إلىٰ لحمٍ ودمِ المسيحِ الذي يَتعيَّنُ علىٰ الأتباعِ أكلُه وشُربُه، وإلاَّ لا يَحصُلون علىٰ الخَلاَص!.. ولا نَملكُ إلاَّ أن نتعجَّبَ لِمَا تعتبرونه معقولاً ومنطقيًّا ويتفهَّمُه العقلُ والمنطق.. ولعلَّ ذلك هو ما دَفَع الكاتبَ الفرنسيَّ «إميل زولا» أن يقول في إحدىٰ رواياته: «إن الحضارةَ الإنسانيةَ لن تتقدمَ إلاَّ إذا سَقَط آخِرُ حَجَرٍ من آخِرِ كنيسةٍ علىٰ رأسِ آخِرِ قسيس»!.

أنتقلُ بعد ذلك إلىٰ «مجمع الفاتيكان الثاني» وقرارتِه سنة ١٩٦٥ التي تُمثِّلُ خروجًا سافرًا علىٰ نصوصِ وتعاليمِ العهدِ الجديد، التي تُمثِّلُ جزءً كبيرًا من المشكلاتِ التي تُواجِهُ العالَم حاليًا، فعلىٰ الرغم من اتهامِكم اليهودَ في قُدَّاسِ كلِّ يومِ أحد بأنهم قَتَلةُ الرب، وعلىٰ الرغم مِن وجودِ أكثرَ مِن مئةِ آيةٍ صريحةِ الوضوحِ في اتهامِها بالعهدِ الجديد، نصَّ ذلك المَجمعُ

- مِن ضِمنِ ما نصَّ عليه في نصوصه المتعددة - على:

- تَبرأةِ اليهود من دمِ المسيح.

- اقتلاعِ اليسار في عقد الثمانينات (من القرن العشرين).

- اقتلاعِ الإسلام في عَقدِ التسعينات، حتى تبدأ الألفيةُ الثالثة وقد تَمَّ تنصيرُ العالم، وإن كانت هذه التوصِيَةُ بدأت بعبارةٍ مضغمة هي «توصيل الإنجيل لكلِّ البشر».

- إعادةِ تنصير العالم.

- توحيدِ كافةِ الكنائسِ تحتَ لواء كاثوليكيةِ روما.

- فرضِ المساهمةِ في عمليةِ التبشير على كافةِ المسيحيين الكَنَسيين منهم والمدنيين، وهي أولُ سابقةٍ من نوعها، وتُوصِمُ أمانةَ الأقليات المسيحية في كل مكان.

- استخدامِ الكنائسِ المحليةِ في عملياتِ التبشير، الأمرُ الذي يَضعُ الأقلياتِ المسيحيةَ في البلدان التي يَعيشون فيها في موقفِ عدمِ الأمانةِ، أو الخيانةِ الوطنيةِ لصالحِ التعصُّبِ الكنسي.

- فرضِ بدعةِ الحوار، كوسيلةٍ لكسبِ الوقتِ حتى تتمَّ عمليةُ التنصير بلا مقاومةٍ تُذكر.

- إنشاءِ لجنة الحوار.

- إنشاءِ لجنة خاصة بتنصير العالم.

□ ولن أطلبَ منكم تقييمَ قراراتِ هذا المَجْمَع من حيثُ العقلُ والمنطق، أو من حيثُ الشرور واللاإنسانية التي تَمَخَّضُ عنها، فهي ليست

بحاجةٍ إلىٰ تقييم، إنها تجأرُ بنفسها، لكنني سأُضيفُ أن البابا «يوحنا بولس الثاني» كان قد وَعَد بتبديلِ وتغييرِ سبعينَ آيةٍ من آياتِ الأناجيل لتتمشَّىٰ مع مسلسلِ التنازلات التي تُقدِّمونها للصهاينة، وللحقِّ لا أعرفُ إنْ كان قد تمكَّن من إتمامِ ذلك قبلَ وفاتِه؟ أم سيقعُ عليكم الوفاء بهذا الوعد؟.

❑ ومن بين كلِّ القرارات السابقةِ لن أُعلِّقَ إلاَّ علىٰ نقطةِ بدعةِ «الحوار بين الأديان»، لأستشهدَ ببعضِ النماذجِ الكاشفةِ من الوثائق الفاتيكانية:

ـ أخطرُ ما يمكنُ أن يُوقِفَ الحوار: أن يكتشفَ مَن نُحاورُه نيَّتَنا في تنصيره.

ـ من أهمِّ عقباتِ الحوارِ ما قُمنا به في الماضي ضدَّ الإسلام والمسلمين، وهذه المَرارات عادت للصحوة حاليًا، فقد أُضيفت الآن قضيةُ إسرائيل وموقفُ الغرب منها، ونحن كمسيحيين نعرفُ ما هي مسؤليتُنا حيال هذه القضية.

ـ ضرورةُ القيامِ بفَصلِ المسيحيةِ في حدِّ ذاتها عن العالَم الغربي، ومواقفِهِ المُعاديةِ والاستعمارية، فالمسلم لم يَنْسَ ذلك بعد.

ـ إن الحوارَ الصحيحَ يَرمي إلىٰ تجديدِ فردٍ بالارتدادِ الباطنيِّ والتوبة، اعتماداً علىٰ الصبرِ والتأنِّي والتقدمِ خُطوةً خطوةً وفقًا لِمَا تَقتضيه أحوالُ الناس في عصرنا.

ـ يَتعيَّنُ علىٰ المسيحيين أن يُساعِدوا مؤمِني العقائدِ الأخرىٰ علىٰ التطهُّرِ من تُراثِهم الدينيِّ لِتَقَبُّلِ عمليةِ الارتداد.

ـ إن أعضاء الديانات لأخرىٰ مأمورون بالدخولِ في الكنيسة من أجل

الخَلاص.

ـ الحوارُ يعني فَرْضَ الارتدادِ والدخولِ في سرِّ المسيح.

ـ إن الكرسيَّ الرسوليَّ يسعىٰ إلىٰ التدخلِ لدىٰ حُكَّامِ الشعوبِ والمسؤولين عن مختلفِ المحافِلِ الدولية، أو الانضمامِ إليهم بإجراءِ الحوارِ، أو حَضِّهِم علىٰ الحوارِ لمصلحةِ المُصالحةِ وَسَطِ صراعاتٍ عديدة.

وأكتفي بهذا القَدْرِ القليلِ من غُثاءٍ كثير لأسألكم: هل مِثلُ هذ التعاملِ غيرِ الأمين واللا إنساني هو ما تعتبرونه مقبولاً من العقل والمنطق؟!.

وهنا تَجدُرُ الإشارةُ إلىٰ خطابكم الرسوليِّ الأول «اللَّه محبة»، ولا يَسَعُ المجالُ لتناوله بالتفصيل، فقد أَفردتُ له مقالاً آنذاك بعنوان «تنازلات علىٰ نَغَمة المحبة»! ومن أهمِّ ما يَجبُ الإشارةُ إليه اعتبارُكم أن اليهودَ والمسيحيين وحدَهم هم الذين يَعبدون اللَّهَ الحقيقيَّ، ثمَّ قيامُكم بالربط بين الإسلام والانتقامِ والكراهيةِ والعنفِ باسم اللَّه، وأنَّ الكنيسةَ الكاثوليكيةَ وحدَها هي التي عليها أن تَسُودَ العالَم، وكمٌّ من التنازلات الممجوجة التي قدمتموها للصهاينة، وهو ما يؤكِّدُ أن استشهادكم في المحاضرة لم يكن من قَبيلِ المصادفة، وإنما تقصِدونه لأنه يُمثِّلُ رأيَكم الدائم.

ولا يَسَعُني عند نهايةِ خطابي المفتوح هذا إلاَّ أن أسألَكم: يُصِرُّ الفاتيكانُ علىٰ أن رسالتَه هي تنصيرُ العالم، وهو يَبذُلُ قُصارىٰ جَهدِه وبكافةِ الوسائلِ الصريحةِ والملتوية لِتحقيقِ ذلك، بل لا يَكُفُّ عن حثِّ الكنائسِ الأخرىٰ وتوحيدِها لاستخدامِها في عمليةِ التبشير والتنصير، ولقد تمَّ فرضُ هذا الموقفِ علىٰ الأتباعِ وعلىٰ الكنائس المحليَّةِ في كلِّ مكانٍ بزَعمِ

أنها الوسيلةُ الوحيدةُ للتصدِّي للمدِّ الإسلامي، كما تمَّ استصدارُ القوانينِ الأمريكيةِ الترويعية لتنفيذِ الهوية، فما عساكم فاعِلين بتلك الدُّوَيلةِ الدينيةِ العنصريةِ التي ساعد الفاتيكانُ على تثبيتها ظلمًا وعدوانًا وانتزاعِ الأرضِ من أصحابها لقومٍ لا حقَّ لهم فيها وفقًا للنصوص؟ بل ما عساه فاعلاً بهذه الدُّوَيلةِ العنصريةِ ـ التي يُعَدُّ إنشاؤها خروجًا سافرًا على دينِه وتعاليمه ـ، وهناك من الأبحاث اللاهوتية ما يؤكِّدُ أنه لا حقَّ لهم شرعًا في هذه الأرض، وذلك من قَبيل رسالةِ الأب «لاندوزي».. ولا نَسخرُ حين نتساءل بكلِّ مرارةٍ وألم:

تُرى، هل سيقومُ سيادةُ البابا بتنصيرِ اليهود، أم أن الفاتيكانَ هو الذي سيتهوَّد؟! أليست دعوتُكم الظالمةُ هي تنصيرَ العالم؟!.

إن مَن يَحمِلُ على كاهِله مِثلَ هذا التاريخِ المُدرَّجِ بالدماء، ومِثلَ هذا التراثِ القائمِ على التزوير والتحريف، ويقومُ بمثل هذه السقطةِ الاستفزازيةِ وسبِّ الإسلام والمسلمين عن عَمدٍ، فلا يجبُ عليه الاعتذارُ الواضحُ فحسب، وإنما يجبُ عليه التنحِّي عن مِثلِ هذ المَنصب، وهو أقلُّ ما يجبُ عليه أن يفعلَه إن كانت هناك أمانةٌ علميةٌ أو دينية».

انتهى مقال الدكتورة زينب عبدالعزيز أستاذة الحضارة الفرنسية.

* **كَشفُ البيان حولَ أزمةِ بابا الفاتيكان:**

▫ وفي موقعه على «الإنترنت» كتب الأستاذ «خالد سعود البليهد» قائلاً: «لقد ساءني ـ وساءَ كلَّ مسلمٍ ـ ما صَدَر من بابا الفاتيكان من إساءةٍ للإسلام ونبيِّ الرحمة، وقد قُوبل ذلك بردودٍ غاضبةٍ من المسلمين على

اختلافِ طبقاتهم، وهي تدلُّ على غيرتهم وحُبِّهم لدينهم وتعظيمِهم لنبيِّهم عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد اختَلف الخطابُ في الردِّ، وتنوَّع في الأسلوب حسبَ اختلافِ المدرسةِ الفكريةِ والمذاهبِ والتأصيلِ العلمي، وهذه تنبيهاتٌ حولَ هذه القضيةِ الخطيرةِ بيانًا للحقِّ، وكشفًا للمشتبه، ووضعًا للأمور في نصابها:

الأول: ليس بغريبٍ أن يصدرَ هذا التهجُّمُ والبغيُ من رئيسِ النصارى، والنصارى معروفٌ عنهم الكذبُ، والجحودُ، وإلباسُ الحقِّ بالباطل، وتزويرُ الحقائق، والإساءةُ لخصومهم.

* قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾

[البقرة: ١٣٥].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾

[البقرة: ١١١].

* قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

[المائدة: ١٨].

* قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

والأصلُ في تصرُّفاتِ النصارى ومعاملتِهم للمسلمين الافتراءُ وكَتمُ الحقِّ والازدراءُ بهم والظلمُ وهَضمُ الحقوق، ومَن خالف ذلك منهم فنادرٌ

خارجٌ عن الأصل، ولهذا يُخطئُ كثيرًا مَن يُحسِنُ الظنَّ بهم ويُوادُّهم ويلتمسُ لهم المعاذيرَ ويُثنِي عليهم، وإنما تَحسُنُ أخلاقُهم إذا تحقَّقت مصالحُهم ومكاسبُهم المادية.

الثاني: القتالُ للأعداءِ وسيلةٌ مشروعةٌ في الإسلام، وهي من محاسنِ هذا الدينِ وكمالِه، ودليلٌ على عِزَّةِ الإسلامِ وأهله، وهو ثابتٌ بنوعيه «قتال الطلب» و«قتال الدفع»، وإنَّما شُرِع «قتال الطلب» لإعلاءِ كلمةِ اللَّه، وتحريرِ الخلقِ عن الظلم، وإزالةِ العوائقِ عن معرفةِ الحقِّ واتباعِه، ولم يُشرَعْ لاستعبادِ الناس وإكراهِهم على الدخولِ في الدين.

* قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: ٢٩].

ولا شكَّ أن الإسلامَ انتَشر في كثيرٍ من الأصقاعِ بالقتال والتاريخُ شاهدٌ بهذا، كما أنه انتَشر أيضًا في البلادِ الأخرى بالدعوةِ إلى اللَّه، ولا يُنكِرُ هذا إلاَّ مُكابرٌ أو جاهل، ومما يؤسَفُ له أنَّ بَعضَ المنتسبين للعلمِ والدعوة يُنكِرون «قتالَ الطلب»، ويزعُمون أن القتالَ لم يُشرع إلاَّ للدفاعِ عن بلادِ المسلمين، ويظنون أن إثباتَ ذلك يُسيءُ للإسلام، وهم بذلك متأثرون بأطروحاتِ المستشرقين وأتباعِهم من تلاميذ المدرسة العقلية.

الثالث: ما حَصَل من البابا دليلٌ صريحٌ على فَشلِ مشروعِ «الحوار بين الإسلام والنصرانية، والدعوة إلى تقارب الأديان»، ودعوى «الحوار بين الأديان» عملٌ باطلٌ لا أصلَ له في الشرع، وهو ممتنعٌ شرعًا وواقعًا، وقام

منذ عِدَّةِ عقودٍ ولم يُثمِرْ شيئًا، وهو يتضمَّنُ إبطالَ أصلِ «الولاء والبراء»، ويقتضي المداهنةَ، ولم يَرِدْ به الشرعُ، ولم يَفعَلْه رسولُنا الكريم ولا خلفاؤه الراشدون ولا الأئمةُ المتبوعون، وليس بيننا وبين النصارىٰ أصولٌ أو نقاطُ التقاءٍ حتىٰ يُتفقَ عليها، وقد كان منهجُ النبي ﷺ في دعوتهم يتمثَّلُ في الأمور التالية:

(١) الكتابةِ لرؤساء النصارىٰ وعَرضِ الإسلام عليهم.

(٢) دعوةِ النصارىٰ لمناظرتِهم وجدالهم بالتي هي أحسن.

(٣) طلبِ مباهلتهم.

* وقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وبهذا نعرفُ خطأَ بعضِ المفكِّرين في رُدودهم من إثارةِ الحوارِ والتباكي عليه والسعيِ لتحقيقه.

الرابع: حقَّق الإسلامُ العَدلَ في حَربه مع خُصومه، وذلك أنه حينما شَرع القتال وضَعَ له آدابًا وضوابطَ وإجراءاتٍ تُهذِّبه وتَرقَىٰ به عن الوحشية، تتمثل في الأمور الآتية:

(١) يُقسَّمُ الكفارُ إلىٰ قسمين:

١ ـ محاربين. ٢ ـ مسالِمين.

فالأول: يُشرع قتالهم. . والثاني: لا يُشرع قتالُهم، سواءٌ كانوا من أهلِ الذِّمةِ أو من أهلِ الصُّلح والهُدنة.

(٢) تخييرُ العدوِّ عند قتالِه إلىٰ خِصالٍ ثلاثٍ: إما الإسلام، أو الجِزية، أو القتال.

(٣) عدمُ إكراهِ العدوِّ علىٰ الدخول في الإسلام.

(٤) احترامُ وتعظيمُ الصلحِ والذمةِ والهدنة، وعدمُ التعرضِ لدماءِ أهلِ الذِّمةِ وأموالِهم، وليس في شيءٍ من الأديان الأخرىٰ ما في الإسلام من تعظيمِ أهلِ الذمةِ ووضعِ الحقوقِ لهم وعليهم.

(٥) النهيُ عن قتلِ غيرِ المقاتِلين والشيوخِ والنساءِ والأولادِ، والنهيُ عن تخريبِ الديارِ والأموال، والنهيُ عن التمثيلِ بالمقاتلين إلاَّ علىٰ سبيل المكافأة.

(٦) النهيُ عن استباحةِ البلادِ والعِبادِ حين الانتصار، بل يَلزَمُ الكفُّ مباشرةً إذا صالح العدوُّ أو دخل الإسلام.

(٧) الكفُّ عن الخَصمِ في ساحةِ المعركة إذا أظهَرَ الإسلامَ ونطقَ بالشهادتين، وعَدَمُ التعرضِ له مهما فَعَل من الجنايات، ويُعصَمُ دمُه ومالُه.

(٨) إذا حَصَل من العدوِّ خيانةٌ ـ أو هَمَّ بخيانةٍ ـ، وقُرِّر إجلاؤه، أُمهِلَ فترةً من الزمن لإجلائِه، لِيجمَعَ مالَه ويُهيِّئَ أمرَه، ولم يُؤمَرْ بالجَلاء في الحال.

(٩) إذا حَصل نقصٌ للعهد من بعضِ النصارىٰ ولم يتواطَأ الجميعُ عليه، لم يُقاتَلوا ويؤاخَذوا جميعًا بجَريرة بعضهم، بل يعاقَبُ مَن حَصَل منه ذلك، كما أفتىٰ بذلك العلماءُ في نصارىٰ «طَرَسوس» ونصارىٰ

«قبرص»، ونصارىٰ «جبل لبنان»، والشواهدُ كثيرة في التاريخ.

(١٠) الالتزامُ بالعهودِ والمواثيقِ في الحرب، والنهيُ عن الغَدر مهما كان العدو.

(١١) استقبالُ المستأمَن، وتعظيمُ حرمته مهما كان، وإكرامه وحمايتُه حتىٰ يرحل.

(١٢) مشروعيةُ الجِوار من كلِّ مسلمٍ ولو كان المُجيرُ امرأةً، وتعظيمُ حُرمةِ مَن أجاره المسلمُ، وعَدَمُ التعرُّضِ له.

وغيرذلك من الآدابِ العظيمةِ والأخلاقِ العالية التي دَلَّ الشرعُ عليها، وشَرْحُ ذلك يطول ليس هذا مَحلَّه.

وقد تخلَّق بهذا الولاةُ والقادةُ والعلماءُ، فضَربوا أروعَ الأمثلةِ في العَدلِ والإنصافِ مع خُصومهم، خصوصًا في الصدرِ الأول من الإسلام، فصار لهم عظيمُ الأثر في البلاد والعباد، وقد نَعِمَ بذلك النصارىٰ في كثير من البلدان، وكانوا يَخضعون لحُكمِ الإسلام زمانًا طويلاً آمِنين مطمئِّنين، يَبذلون الجزيةَ مقابلَ حِفظِ حقوقِهم وأموالهم، وقد آثَروا بقاءَ حُكمِ المسلمين في بلادهم لِعَدلِهم ومساواتهم بغيرِهم، بل دَلَّت الوقائعُ علىٰ أن بعضَ النصارىٰ كانوا يَستغيثون بالمسلمين ليُخلِّصوهم من ظُلمِ الطائفةِ الأخرىٰ من بني جِنسهم، وآخرون من النصارىٰ كانوا يَثِقون بالمسلمين في عُهودِهم وصُلحِهم وهُدنتِهم مِن تَركِ القِتال، ويتبادلون المَصالحَ معهم، والتاريخُ زاخرٌ بهذا كلِّه.. والنصارىٰ علىٰ خلافِ ذلك، عُرفوا في كثيرٍ من حروبهم ووقائعهم بالظلمِ والتعدِّي والوحشية، ولَمْ يَنْسَ التاريخ أبدًا جنايةَ محاكمِ

التفتيش في الأندلس وغيرها.

وإن المَرءَ لَيعجبُ أشدَّ العجبِ ممَّا يدَّعيه بعضُ المسلمين في كَون البابا يجهلُ شرائعَ الإسلام ولا يَعرفُ حقيقةَ محمدٍ ﷺ، بل كلامُه وسياقُه صريحٌ في قَصدِ الإساءه للإسلام وأهلِه، ورجلٌ وَصَل لأعلىٰ المنازِلِ في رئاسةِ النصرانية، يَبعُدُ جداً كونُه لم يَطَّلعْ علىٰ كتاباتِ المسلمين وكتابِهم المقدَّس، لا سيَّما مع تواجُدِ المسلمين في أوروبا منذ قرون، والانتفاحِ الثقافي بين الشعوب، ولكن كما قال اللَّه فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

أسألُ اللَّهَ أن يُعيدَ للمسلمين عِزَّهم ومَجْدَهم، ويُكبِتَ عَدوَّهم، ويَنصُرَهم علىٰ مَن عاداهم، ويَجعلَ الذلَّ والصَّغارَ علىٰ من خالفهم» اهـ.

*** أسرارٌ وراءَ كلامِ البابا عن الإسلام ونبيِّه ﷺ:**

□ وكَتبَ الأستاذ عبدُاللَّهِ بنُ عبدِالعزيز الزايديُّ علىٰ موقع «الإسلام اليوم»: «يَعجَبُ بعضُ المتابعين من الحَملةِ المتزايدةِ علىٰ الإسلام من بعضِ الزعماءِ الدينيين والسياسيين النصارىٰ في السنواتِ الأخيرة، وتساءل بعضُهم عن سرِّ التوقيت والتزامُن، فمِن كلام «بوش» عن المسلمين الفاشيِّين، إلىٰ كلامِ البابا «بندكت السادس» عن النبي ﷺ، وقَبلَهما كلامُ رئيس الوزراء الإيطالي عن الحضارةِ الإسلامية، وبعدَه الرسومُ المسيئةُ، وغيرُ ذلك من حملاتِ التشويه.

وربما تساءل البعضُ عن الأسبابِ الكامنةِ في هذه الحملات المتوالية، وربَّما حَمَّل بعضُ الكُتَّابِ إخوانَه المسلمين وِزْرَ هذه الحَملات، نظرًا لِمَا حَدَثَ من بعضِهم من أعمالِ تفجيرٍ وقتل.

◘ وأقول: إنَّ ثَمَّةَ سرًّا مهمًّا ينبغي ألاَّ نَغفُلَ عنه في بيان السرِّ الحقيقيِّ وراءَ هذه الحَمْلاتِ، ألاَ وهو الانتشارُ الواسعُ لدينِ الإسلامِ في معاقِلِ النصرانية، الذي أقَضَّ مضاجعَ الرؤساءِ الدينيين والسياسيين، ممَّا حَدَا ببعضِهم للكلامِ الصريحِ عن ضرورةِ التصدِّي لانتشارِ دينِ الإسلامِ، وهذه بعضُ الإحصاءاتِ والأخبارِ التي تَشهدُ بها الانتشار:

أ ـ زيادةُ أعدادِ المساجدِ في دولِ الغرب:

ففي قلبِ أوروبا بدأت أعدادُ المساجدِ فيها تُنافسُ أعدادَ الكنائسِ في باريس ولندن ومدريد وروما ونيويورك، وصوتُ الأذانِ الذي يُرفع كلَّ يومٍ في تلك البلاد خَمسَ مرات، خيرُ شاهدٍ علىٰ أن الأسلامَ يَكسِبُ كلَّ يومٍ أرضًا جديدةً وأتباعًا جُددًا.

فقد أصبح للأذانِ مَن يُلبِّيه في كل أنحاء الأرض، من طوكيو حتىٰ نيويورك، وعند نيويورك ومساجدها نتوقف، ففي أوقاتِ الأذانِ الخمسِ يَنطلقُ الأذانُ في نيويورك وحدَها في مئةِ مسجد، وبَلَغ عددُ المساجدِ في الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ ما يَقرُبُ من (٢٠٠٠) مسجد والحمدُ للَّه، وترتفعُ في بريطانيا مئذنةُ نحو (١٠٠٠) مسجد، وتعلو سماءَ فرنسا وحدَها مئذنةُ (١٥٥٤) مسجدًا ولا تتَّسع للمصلين، وأمَّا ألمانيا، فتقدَّرُ المساجدُ وأماكنُ الصلاةِ فيها بـ (٢٢٠٠) مسجدٍ ومُصَلًّى، وأمَّا بلجيكا فيُوجدُ فيها

نحو (٣٠٠) مسجدٍ ومُصلًّى، ووصَلَ عددُ المساجدِ والمصلَّيات في هولندا إلى ما يزيد عن (٤٠٠) مسجد، كما ترتفعُ في إيطاليا وحدَها مئذنةُ (١٣٠) مسجداً، أبرزُها مسجدُ روما الكبير، وأما النمسا، فيَبلغُ عددُ المساجدِ فيها حوالي (٧٦) مسجداً.

هذه فقط بعضُ الدول في أوروبا الغربية، عدَا عن أوروبا الشرقية، والإقبالُ على الإسلام يزدادُ يومًا بعدَ يوم، ومِن هذه المساجدِ يتحرَّكُ الإسلام، وينطلقُ في أوروبا، لذلك ليس غريبًا أن تُشدِّدَ أوربا وأمريكا في أَمرِ المساجد ومراقبةِ أهلِها، والتضييقِ في إعطاءِ الرُّخَصِ لبنائها، ومِن المفارقاتِ العجيبةِ أن كثيراً من هذه المساجدِ كانت كنائسَ، فاشتراها المسلمون وحَوَّلوها إلى مساجد!!.

ب ـ تحذير الصحف الغربية من انتشار الإسلام:

فقد بدأت الصحفُ الغربيةُ تُطلِقُ صيحاتِ تحذيرٍ من انتشارٍ واسعٍ لدينِ الإسلامِ بين النصارى، ومِن ذلك ما جاء في مَقالٍ نُشِرَ في مجلةِ «التايم» الأمريكية: «وستُشرقُ شمسُ الإسلام من جديد، ولكنها في هذه المرةِ تَعكِسُ كلَّ حقائقِ الجغرافيا، فهي لن تُشرِقَ من المَشرِقِ كالعادة، وإنما ستشرق في هذه المرة من الغرب».

أما جريدةُ «الصانداي تلغراف» البريطانية، فقالت في نهاية القرن الماضي: «إن انتشارَ الإسلامِ مع نهايةِ هذا القرنِ ـ يعني: الذي مَضَى ـ ومَطلَعِ القرنِ الجديد ـ يعني: الذي نحنُ فيه ـ ليس له من سببٍ مباشرٍ إلاَّ أنَّ سُكَّانَ العالَم من غيرِ المسلمين بدؤوا يتطلَّعون إلى الإسلامِ، وبدؤوا يَقرؤون

عن الإسلام، فعرفوا من خلالِ اطلاعِهم أن الإسلامَ هو الدينُ الوحيدُ الأسمىٰ الذي يُمكنُ أن يُتَّبع، وهو الدينُ الوحيدُ القادرُ علىٰ حلِّ كلِّ مشاكلِ البشرية».

مجلة «لودينا» الفرنسية قالت بعدَ دراسةٍ قام بها متخصِّصون: «إن مستقبلَ نظامِ العالَمِ سيكونُ دينيًّا، وسيَسودُ النظامُ الإسلاميُّ علىٰ الرغمِ مِن ضَعفِه الحالي؛ لأنه الدينُ الوحيدُ الذي يَمتلكُ قوةً شموليةً هائلة».

ج ـ انتشارُ بَيعِ نُسَخِ القرآنِ الكريم والكتبِ الإسلامية:

وبعدَ تفجيراتِ الحادي عَشَرَ من سبتمبر، التي كان لها آثارٌ سيئةٌ واسعةٌ علىٰ النشاطات الإسلاميةِ في الغرب وعلىٰ دُولِ الإسلام، إلاَّ أنه مع ذلك ازدادَ في العالَمِ الغربيِّ الإقبالُ علىٰ التعرُّف علىٰ الإسلام بصورةٍ غيرِ متوقَّعة، وأصبحت نُسَخُ القرآنِ الكريمِ المترجمةُ من أكثرِ الكتبِ مَبيعًا في الأسواقِ الأمريكيةِ والأوروبيةِ حتىٰ نَفِدَت من المكتبات، لكثرةِ الإقبالِ علىٰ اقتنائها، وتسبَّب ذلك في دخولِ الكثيرِ منهم في الإسلام، وفي ألمانيا وَحدها بِيعَتْ خلالَ سنةٍ واحدة (٤٠) ألفَ نسخةٍ من كتابِ ترجمةِ معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، كما أعادت دار نشر «لاروس» الفرنسية الشهيرة طباعةَ ترجمة معاني القرآنِ الكريم بعدَ نفادها من الأسواق.

د ـ تزايدُ أعدادِ الداخلين في الإسلام:

ففي عام ٢٠٠١ نَشرت صحيفةُ «نيويورك تايمز» مقالاً ذكَرت فيه أن بعضَ الخُبراء الأمريكيين يُقدِّرون عددَ الأمريكيين الذين يَعتنقون الإسلام سنويًّا بـ (٢٥) ألفَ شخص، وأن عددَ الذين يَدخلون دينَ اللَّه يوميًّا

تضاعَفَ أربعَ مراتٍ بعدَ أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر حسبَ تقديراتِ أوساطٍ دينية، والمدهشُ أن أحدَ التقاريرِ الأمريكيةِ الذي نُشر قبلَ أربعِ سنواتٍ ذَكَر أن عددَ الداخلين في الإسلام بعدَ ضرباتِ الحادي عَشَرَ من سبتمبر قد بَلَغ أكثرَ من ثلاثين ألفَ مسلمٍ ومسلمةٍ، وهذا ما أكَّده رئيسُ مجلس العلاقاتِ الإسلاميةِ الأمريكي؛ إذ قال: «إنَّ أكثرَ من (٢٤) ألف أمريكي قد اعتَنقوا الإسلامَ بعد أحداثِ الحادي عَشَرَ من سبتمبر، وهو أعلىٰ مستوًىٰ تَحقق في الولاياتِ المتحدة منذ أن دَخَلها الإسلام».

أمَّا في فرنسا، فقد أوردت صحيفة «لاكسبرس» الفرنسية تقريراً عن انتشارِ الإسلام بين الفرنسيين جاء فيه: «علىٰ الرغم من كافةِ الإجراءاتِ التي اتخذتها الحكومةُ الفرنسيةُ مؤخَّرًا ضدَّ الحجاب الإسلاميِّ، وضدَّ كلِّ رمزٍ دينيٍّ في البلاد، أشارت الأرقامُ الرسميةُ الفرنسيةُ إلىٰ أن أعدادَ الفرنسيين الذين يدخلون في دينِ اللَّه بلغت عشراتِ الآلافِ مؤخَّراً، وهو ما يُعادلُ إسلامَ عشرةِ أشخاصٍ يوميًّا من ذَوِي الأصولِ الفرنسية، هذا خلافَ عددِ المسلمين الفعليِّ من المهاجِرِين ومِن المسلمين القدامىٰ في البلاد».

وقد أشار التقريرُ إلىٰ أن أعدادَ المسلمين في ازديادٍ من كافةِ الطبقاتِ والمِهَنِ في المجتمعِ الفرنسي، وكذلك مِن مُختَلَفِ المذاهبِ الفكريةِ والأديان، مِن عِلمانيين إلىٰ بُوذيِّين إلىٰ كاثوليك وغيرِهم، كما أشار التقريرُ إلىٰ نشاطِ بعضِ الجالياتِ المسلمةِ وجماعاتٍ مثلِ جماعةِ التبليغِ في الدعوة إلىٰ الإسلام في المجتمع الفرنسي.

كما وَرَد في التقرير إلىٰ أن عددَ المعتنِقِين الجُدُدِ للإسلام من الفرنسيِّين

يَصِلُ إلىٰ (٦٠) ألفًا مؤخَّرًا، سواءٌ أولئك الذين أسلَموا بدافعِ حُبِّهم وإعجابِهم بهذا الدين، أو بدافعِ البحثِ عن الهُوِيَّةِ والبحثِ عن الذاتِ، الكثيرُ منهم من شبابِ المُدن، ويتراوَحون ما بينِ «الأصولية» والاعتدال، منهم مهندسون.. جامعيون.. رؤساء شركات.. مُدرِّبون.. مدرِّسون.. طلاَّب.. عاطِلون.. متحفِّظون أو متديِّنون بشكلٍ واضحٍ.. كلُّ هؤلاء الأشخاصِ يُشكِّلون لَبِنَةً جديدةً في المجتمعِ الإسلاميِّ الجديد، وهم بمثابةِ الأُسرةِ الكبيرةِ في مُختَلَفِ مجالاتِ الحياةِ بالمجتمعِ الفرنسي، ومِن هؤلاء علىٰ سبيلِ المثال: فنان الراب في مدينة مرسيليا المسمىٰ «إخناتون»، ولاعب الكرة «فرانك ريبري»، ومُصمِّم الرقصات «موريس بيجار» وأيضًا «كليمون» ـ أصغر أبناء رئيس وزراءِ الحزبِ الاشتراكيِّ السابق «موريس توريز» ـ.. كلُّ هؤلاء أعلنوا إسلامَهم منذ فترةٍ ليست بالبعيدة.. ومعتنِقو الإسلام مِن الجِيل الأولِ مِن بينهم فنانون وحامِلو شهاداتٍ رفيعة، ومُعظَمُهم يُفضِّلون ممارسةَ الإسلامِ النقيِّ الصافي، كما أنزله اللَّه علىٰ نبيِّه محمد.. انتهىٰ ما ورد في التقرير.

ونظرًا لهذه الشواهدِ المؤكَّدة لإقبالِ الغربيين علىٰ الإسلام، فقد حَذَّر أسقفٌ إيطاليٌّ بارز من «أسلمة أوروبا»، وفي مدينةِ «بولونيا» الإيطالية حَذَّر أسقفٌ آخرُ من أن الإسلامَ سينتصرُ علىٰ أوروبا إذا لم تَغْدُ أوروبا مسيحيةً مجددًا.. يَحدثُ هذا الإقبالُ وهذا التخوُّفُ من الإسلام علىٰ الرغمِ من ملاحظةِ أمورٍ مهمة:

أولاً: أن الأوضاعَ الحاضرةَ ليست في مصلحةِ الإسلامِ والمسلمين؛

فالأحداثُ السيئةُ في بلاد الإسلام قد تُعطي البعضَ نظرةً سيئةً تُجاهَ هذا الدينِ بسببِ أوضاعِ أهله.

وثانيها: تلك الجهودُ الهائلةُ والإمكاناتُ الضخمةُ التي يَبذُلها النصارىٰ في سبيلِ نشرِ الديانة النصرانية، علىٰ كافةِ الأَصعِدة، حتىٰ بَلغت ميزانياتُ بعضِ مجالِسِ الكنائسِ العالميةِ أكثرَ من مليارِ دولارٍ للسَّنة الواحدة.

وثالثها: التضييقُ علىٰ النشاطاتِ الإسلاميةِ والمراكِزِ والجمعياتِ الخيريةِ الإسلاميةِ في كثيرٍ من الدول.

ومع ذلك لا يزالُ هذا الدينُ الحقُّ - دينُ الإسلام - ينتشرُ ويَعتنقُه الكثيرون، ونظرًا لأن النصارىٰ - خصوصًا رجالُ الدين - ينظرون للإسلام بصفتِه دينًا منافسًا، فقد رأوا فيه خطرًا علىٰ أوروبا، ولذا حَرصوا علىٰ إثارةِ الشبهاتِ حولَه لحمايةِ النصارىٰ من خَطَرِه كما يتصوَّرون.

وقد جاءت الأحداثُ الأخيرةُ ليتَّخذوا منها أدلةً يؤيِّدون بها مزاعمَهم الباطلةَ عن الإسلام، فزَعَمَ كثيرٌ من غُلاةِ النصارىٰ أنَّ حوادثَ الإرهابِ سَبَّبُها دينُ الإسلام، ويمكنُ لكلِّ عاقلٍ أن يُجيبَ عن هذه الشبهةِ بحوادثِ التاريخِ القريب والواقعِ الذي نعيشه، فهل نقول: إن دينَ النصارىٰ هو سببُ الإرهابِ لأنهم خلالَ الحربَينِ العالميتين قَتَلوا الملايينَ من أبناءِ جِلدتهم النصارىٰ؟ فضلاً عمن قتلوهم من المسلمين أثناءَ حُروبهم الاستعمارية؟ هل ننسِبُ القتلَ والتدميرَ إلىٰ دينِهم؛ لأنَّ الأمريكانَ النصارىٰ قَتلوا مئاتِ الآلافِ بالقنبلة الذرية؟!.

هل نقول: إن دينَ النصارىٰ يدعُو للقتل واحتلالِ البلدانِ الأخرىٰ؛

لأنَّ الرجلَ المتديِّنَ المحافظَ ربيب القُسُس «بوش»، غَزَا العراقَ ودمَّرها وقتلَ آلافَ المدنيين العُزَّل، وأحدَثَ فيها فوضىٰ يَجني مرارتَها ملايينُ العراقيين؟ هل نقول: إن دينَ النصارىٰ دينُ القتلِ والإرهاب؛ لأن قُسَسَ ورهبان «الهوتو» في إفريقية ساهموا في المذابح التي حَدَثت للتوتسي، وقد طُلِب بعضُهم كمجرمي حربٍ للأمم المتحدة؟ هل ما حَدَث في البوسنة والهرسك من مذابحَ واغتصابٍ للمسلمين علىٰ أيدي الصرب يُحسَبُ علىٰ دينِ النصارىٰ وعلىٰ المسيح عليه السلام لأنَّه جاء في الإنجيل «ما جئتُ لأُلقِيَ سلامًا علىٰ الأرض»؟ هل مذابحُ المسلمين في ليبريا وسيراليون التي قام بها النصارىٰ ننسبها للمسيح ودينه؟.

إن علىٰ البابا «بندكت» أن يُصلِحَ حالَ كنائسهِ التي زَكَمَت فضائحُ شذوذ رجالِ الدين فيها الأنوفَ قبل أن يتحدَّثَ عن الإسلامِ ونبيِّه بتلك اللهجة المَتحامِلة، فمن كانَ بيتُه من زجاجٍ فلا يرمي الناس بحَجَر» اهـ.

***

يا أيُّها البابا..

أَقْصِرْ، فأنتَ أمامَ وهْمٍ حاشدِ ... يا مَن عَبَدْتَ ثلاثةً في واحدِ
أَقْصِرْ، فموجُ الوَهْم حولكَ لم يزَلْ ... يقتاتُ حبَّـــةَ كلِّ قلبٍ حاقدِ
أَقْصِر فدونَ رسولِنا وكتابنا ... خَرْطُ القتَادِ وعَزْمُ كلِّ مجاهدِ
يا أيها البابا: رويدَك إنَّنا ... لنرى التآمُرَ في الدُّخان الصَّاعدِ
في ديننا نَبْعُ السَّلامِ ونهْرُه ... نورٌ يَفيضُ به تبتُّلُ راشدِ

فلَنَحْنُ أوسطُ أمَّةٍ وقفتْ علَى ... منهاجِ خالقِها وقوفَ الصَّامدِ
إنا لنؤمنُ بالمسيحِ ورفعهِ ... ونزولهِ فينا نزولَ الرائدِ
فَعَلامَ تَصْدُمُنا بِشَرٍّ بِضاعةً ... معروضةً في سوق وَهْمٍ كاسدِ؟
أَنْسَاكَ تثليثُ العقيدةِ خالقًا ... فردًا يتوقُ إليـه قلبُ العابـدِ
أَبْدَيْت بغضاءَ الفؤادِ وربَّمَا ... أخفيت منها ألف عقدةِ عاقدِ
أتراكَ تُدْرِكُ سوءَ ما أَحْدَثْتَهُ ... مما اقترفت مِن الحديثِ البارِدِ؟
عجبًا لعقلكَ كيف خانَك وعْيُهُ ... حتى أسأت إلى النبيِّ القائدِ؟
هذا محمد، أيها البابا، أما ... يكفي من الإنجيلِ أقربُ شاهدِ؟
بقدومِهِ هتفَ المسيحُ مُبَشِّرًا ... بشرى بموعـودٍ لأعظـمِ واعـدِ
قامتْ عليكَ الحُجَّةُ الكبرى فلا ... تُشْعِلِ بها نيرانَ جَمْرٍ خامدِ
إنْ كانَ هذا قولَ مرشدِ قومِهِ ... فينا، فكيف بجاهلٍ ومعاندِ؟
ما قيمةُ التَّاجِ المرصَّعِ حينما ... يُطْوَى على وَهمٍ ورأيٍ فاسدِ
يا أيها البابا.. لدينا حُجَّةٌ ... كالشمس أكبرُ من جحودِ الجاحدِ
مليارُنا حَيُّ الضميرِ وإنْ تكنْ ... عصفتْ به منكم رياحُ مَكايدِ
قعدَتْ بأمَّتِنا الخطوبُ ولنْ تَرَوْا ... منها إذا انتفضَتْ تخاذُلَ قاعِدِ[1]

***

(١) للدكتور عبدالرحمن صالح العشماوي ـ مجلة الأسرة العربية ـ العدد ٢٩٤٢ ـ (ص١٠) ٩ من رمضان ١٤٢٧هـ ـ ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

اخْسَأ يا عَدُوَّ الله

إخسأ بابا الفاتيكان   اخْسَأ يَا ذا الدُّونُ الْجَانِي
قُبِّحْتَ وَضيعًا مُنْحَطًّا   يَا حَامِلَ دَعْوَى البُهْتَان
أَتُهاجِمُ مَنْ قدْ أَرْسَلَهُ   بالرَّحْمَةِ رَبُّ الأَكْوَان
مَنْ أَجْلَى ظلمَةَ دُنْيَانَا   بِبَهِيٍّ ضِيَاءِ الْقُرْآن
بِجِهَـــــاد كمْ نَجَّـى أُمَـمًا   مِنْ ظُلْمِ بُغَاة الرُّومَان
مِنْ ظُلْمِ الْفُرْسِ وَغيرِهِمُ   مِنْ شَرِّ فلول الطُّغْيَان
مَنْ قَامَ الْعَدْلُ به ورَسَا   مَنْ أَوْقَفَ سَيْلَ الْعُدْوَان
مَنْ ثَبَّتَ فِي الدنيا حُكْمًا   سَعْدًا لِلْقَاصِي وَالدَّانِي
مَنْ عَاشَ الْخَلْقُ بِدَعْوَته   فِي ظِلٍّ أَمَانِ الإِيمَان
اخْسأْ بَابَا الفاتيكان   اخْسَأ يَا عَبْدَ الصُّلْبَان
قُبِّحْتَ وَضيعًا مُنْحطًّا   يَا شَيْخَ الصُّمِّ الْعُمْيَان
وَبِما كَسَبَتْ يَدُكَ الشَّوْهَا   ءُ جَرَعْتَ كُؤُوسَ الْخذْلاَن
أَتُهَاجِمُ شَمْسَ الْعِرْفَانِ   أَتُهَاجِمُ أَكْرَمَ إِنْسَان؟!
فَلأَنْتَ عَدُوُّ الرَّحمنِ   وَلأَنْتَ وَلِيُّ الشَّيْطَان
مَنْ طَمَّعَ فِينا أعْدَانَا   مِنْ خَصْمٍ أَوْ مِنْ خَوَّان؟
مِنْ بَابَا أوْ مِنْ مُطْرَان   وَسُـــــخَامِ أذًى أَوْ قَطِـران
أَفَيفعَلُ ذَلكَ بَابَاهم   من دُون الدُّون الخَوَّان
عُلَمَاءُ السـوءِ أبالســةٌ   هم حقًّا ذيَّـاك الجاني
لولا عمــلاءٌ أنـذالٌ   لم يفعلْ ذلك نصراني

يا بَابَا رُوما لاَ تَعْجَـلْ ... لَنْ تَربَحَ غَيْرَ الْخُسْـرَانِ
فَسَـتَفْتَحُ رُومَـا أُمَّتَنَا ... إِنَّا مِنْ ذَا فِي إِيقَـانِ
فَبِذَلِكَ أَخْبَرَنَا الْهَادِي ... مِنْ وَحْيِ اللَّهِ الْمَنَّـانِ
بِالْقُسْطَنْطِينِيَّـة نَبَّـأ ... وَتَحقَّـقَ وَعْدُ الْعَدْنَـانِي
وَبِرُومَـا بَشَّـرَنَا الْهَـادِي ... مِنْ بَعْدُ هِيَ الْفَتْـحُ الثَّانِي
فَسَـتَعْلُوا رُومَـا يَا بَابَا ... يَـوْمًا رَايَـاتُ الإِيمَـانِ
وَيُـدَوِّي فِيهَا مُرْتَفِـعًا ... تَكْبِيرُ الْمَـوْلَـى الرَّحْـمَـنِ
وَسَتُحْكَمُ حَتْمًا يَا بَابَا ... بِالعَدْلِ بِشَرْعِ الْقُرْآنِ
وَبِنَهْجِ مُحمد الْهَادِي ... مُخْتَـارِ إِلَـهِ الأَكْـوَانِ
وَسَـيَخسَـأُ كَـذَّابٌ أَشِـرٌ ... وَسَيَخْسَأُ عَبْـدُ الصُّلْبَانِ
وَتُطَهَّرُ أَرْضُ اللَّهِ مِـ ... ـنَ الطَّاغُوتِ وَرِجسْ الأَوْثَانِ
مَوْلاَنَا قَـرِّبْ نَجْـدتَنَـا ... وَلْتَكْشِفْ لَيْـلَ الأَحْزَانِ
انْصُرْنَا مَوْلَى الْخَلْقِ عَلَى ... أَعْدَائِـكَ أَهْـلِ الكُفْـرَانِ
يَا رَبِّ وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَا ... رِ صَفِيِّكَ أَهْـلِ الإِحْسَانِ
خَيْرِ الأَبْرَارِ وَسَيِّدِ مَنْ ... فِي الأَرْضِ مَشَى مِنْ إِنْسَانِ

***

* **فَتكُ باباواتنا.. وفَتكُ «بابا الفاتيكان»:**

◻ يقول دكتور استفهام: «حين يتهجَّمُ رأسُ الكنيسةِ العالميةِ على الإسلام والمسلمين والنبيِّ ﷺ، فهذا شأنٌ أراه طبيعيًّا؛ لأنَّه يقفُ مع الإسلامِ في حالةِ خِصام، وهو تَلُوحُ بين عَينيه الحروبُ الصليبيةُ التي قادتها الكنائسُ العالمية، وكان طابعُها دينيًّا مَحْضًا، وإشرافٌ قليلٌ على ما فَعلوا في العالم الإسلاميِّ يُقنِعُهم هم قبلَ أنْ يقتنعَ غيرُهم بمَن هو «الإرهابي» الذي غاصت قوائمُ خيولِه في دماء الأبرياءِ من المؤمنين في القُدس والشام ومصر وما حولها.

◻ إنَّ من البلايا الكبيرةِ أن يتحدَّثَ نصرانيٌّ عن «العقل والمنطق»، فأيُّ عقلٍ وأيُّ مَنطقٍ في الدين النصرانيِّ المحرَّف، فكيف يكونُ الثلاثةُ واحدًا والواحدُ ثلاثةً إلاَّ في عقولِ المخرِّفين الذين لم يَستنيروا بنورِ الوحيِ والعقل؟! وأيُّ منطقٍ يُسعِفُ مَن يرى أن إلهَه قَتل ابنَه حتى يُخلِّصَ الآثِمِين من آثامِهم، فهو كالذي غَضِب على زوجتِه فقَطَع ذَكَرَه؟!.

◻ لا أستغربُ أن يَصْدُرَ من بابا الفاتيكان ما هو أشرُّ من هذا وأشنع، فقد بَدَت البغضاءُ من أفواههم وما تُخفي صدورُهم أكبر، ولكني أعجبُ حين يكونُ هَديُ «القرآن» ومنهجُ محمدٍ ﷺ ما هو إلاَّ تعاليمَ شريرةً قليلةً، فأصبح الإسلامُ الشاملُ لتفاصيلِ الحياةِ دقيقِها وجليلِها تعاليمَ شريرة، بينما صارت النصرانيةُ المحرَّفةُ هي الدينُ الذي لا يُخالِفُ العقلَ والمنطقَ.. مع أن الدينَ النصرانيَّ «الرُّوحاني» هو الذي أَسَّس العلمانية التي تَجعلُ الدينَ منزويًا في الكنائس، لا يَعرفون منه إلاَّ قَرْعَ الأجراس، وتعميدَ الصِّبية، وأكلَ الخبزِ وشُربَ الخمر، فوجدت «العلمانيةُ» التي أشْقَتِ الناسَ المجتمعَ

النصرانيَّ خاويًا من كلِّ تشريعٍ مدنيٍّ، لأن دينَهم ليس دينًا شموليًّا يأتي علىٰ تفاصيلِ الحياة. . بل هو دينٌ هُلاميٌّ لا يرىٰ الرُّوحَ ولا النفسَ، ولا يَحُلُّ مشكلاتِ الواقع، بل هو إلىٰ الخرافةِ أقربُ منه إلىٰ العقلِ والمنطق!.

◘ لا أستغربُ هذا أبدًا من رجلٍ يَسُبُّ اللَّهَ حين يعتقدُ بأنه ثالثُ ثلاثة، أو أن له ولدًا، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾

[مريم: ٩٠-٩٢].

فمن يقولُ هذا يقولُ ما هو أقلُّ منه مِن سبِّ الإسلامِ وتعاليمِه، ولكنَّ العجبَ كلَّ العجبِ من «بباواتنا» الذين بَصَموا علىٰ كلام البابا، وأيَّدوه، وجَعَلوا كلامَه فُرصةً لتبيينِ حقيقةِ الموقفِ من الإسلام، وهم قد رَضَعوا مناهجَه في تعليمهم، وخالَطوا أهلَه، ولكنهم يقومون بالإنابة لهدمِ قِيَمِ الإسلامِ وشرائعِه حين يتَّهمونه بأنه «انتشر بالسيف»، ولا يَقصِدون انتشارَ الإسلام بالسيف بمعنىٰ «الجهاد» الذي يُزيلُ الطواغيتَ التي تَحولُ دون المسلمين ودونَ أن يُسمعوا الناسَ هدايةَ اللَّه، ولكنهم يَقصِدون بانتشارِ الإسلام «بالسيف» أنَّ إكراهَ الناسِ علىٰ دينٍ لا يوافقُ العقلَ، والتاريخُ يشهدُ علىٰ طُولِه وكثرةِ معاركِ المسلمين أنهم لم يُكرهوا أحدًا علىٰ الدخول في الإسلام، بل الإسلامُ ينسابُ إلىٰ نفوسِهم كالماءِ الرقراقِ العَذب، فيَجدون فيه لذةً لا يَجِدونها في أيِّ دينٍ غيرِه، بل أَمِنَ «النصارىٰ» في بلادِ المسلمين وتعايَشوا مع أهلِ الإسلامِ ما لم يأمنوا في بلادِهم الأصليةِ بلادِ بني الأصفرِ! فأيُّ سيف يتحدثون عنه؟!.

إن بليَّتنا الكبرىٰ في مِثلِ «عبده خال» ومَن حذا حَذْوَه من الكُتَّاب الذين لم يُدركوا أنهم يُصادِمون صَخرةَ الإسلام، الذي أعيا المَناطقةَ والفلاسفة، ووَجدوا فيه توافقًا بين العقلِ والنقل، وتمازُجًا بين الرُّوحِ والمادةِ في تعاليمه، وشموليةً من غيرِ تناقض، فلم يَجِدوا إلاَّ المُخاتلةَ بالألفاظ، والتعميمَ في الأحكام، بمثلِ قولهم: «إن الإسلامَ انتشر بالسيف، وإنه لا يَقبلُ تطبيقَ العقل في النص، ولا أدري أين هو تراثُ المسلمين الذين جَعلوا للعقلِ مكانتَه الحقيقيةَ من غيرِ إفراطٍ ولا تفريط، وأين هي قراءةُ منهجِ المحدِّثين في نَقدِ مُتونِ السُّنَّة، وأين هي القواعدُ العقليةُ التي قَعَّدها علماءُ المسلمين علىٰ مَدارِ التاريخ، وأين هي حركةُ الفقه الكبيرة والاجتهادِ في أبوابِ العلمِ والمعاملات، في تراثٍ لم تَعرفِ البشريةُ مِثلَه؟ وأين هو عن مدوَّناتِ الفقهِ التي لم تتركْ شاردةً ولا واردةً إلاَّ وذَكرت لها حُكمًا، وأين هو عن «منهج القرآن» الذي دَلَّل علىٰ قضايا الاعتقاد والغَيبِ والنبوة والألوهية بأدلةٍ عقلية، وأثنىٰ علىٰ أهلِ العقولِ، وأشادَ بهم في مواضعَ كثيرةٍ. . وكثيرةٍ جدًّا! .

إنَّ خُذلانَ الإسلامِ يأتي من دعاةٍ علىٰ أبوابِ جهنم، هم أشدُّ فَتكًا به من «بابا الفاتيكان» الذي أخرج خَبيئةَ نفسِه، ثم جَعَلها أسئلةً مشروعةً تحتاجُ لإجابات. . فإنْ كان بابا الفاتيكان قد عاش في كنيستِه وصَومعتِه بين كتبٍ لا تساوي خُروجِ الحمير، فكيف بمَن تربَّىٰ حولَ البيتِ العتيق، ورَضَع مِن منهجِ الإسلام، ثم ينقلبُ عليه ويَلمِزُه ـ ولا إخالُه ـ إلا خاليًا من كلِّ شيمةٍ وعِلمٍ وعقل. . واللّه المستعان! .

*** يا بنديكت الذميم، سيَفتحُ المسلمون روما.. هذا وَعْدُ نبيّنا ﷺ:**

◘ نقول لبنديكت الذميم: «كَشَفَ الإعلاميُّ السعوديُّ عصام مدير ـ صهر الداعية الراحل أحمد ديدات ـ أن تصريحاتِ البابا جاءت على خَلْفيَّةِ إسلامِ عددٍ كبيرٍ من القساوسة داخلَ الفاتيكان، وصَلَ إلى حوالي ٣٠ قِسِّيسًا، وأنه تَجرِي لهم حاليًا محكاماتٌ واسعةٌ لمعاقبتِهم وطَردِهم من الكنيسة، ونَقَل الخبرَ موقعُ «إخوان أون لاين» ونقلته عنه جريدة «الأسرة العربية» عدد (٢٩٣٦) صفحة (١).

*** وهديةٌ أخرى نُهديها لك أيها اللئيم:**

● عن أبي قَبيلٍ قال: كنَّا عند عبدِاللَّه بن عمرِو بنِ العاص، وسُئِل: أيُّ المَدينتَينِ تُفتح أوَّلاً «القسطنطينية» أوْ «رُوميَة»؟ فدعا عبدُاللَّهِ بصندوقٍ له حِلَقٌ، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبداللَّه: بينما نحن حَولَ رسولِ اللَّه ﷺ نكتبُ، إذْ سُئل رسولُ اللَّه ﷺ: أيُّ المَدينتَينِ تُفتح أوَّلاً: أقسطنطينيةُ أو رُومِيَةُ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«مدينةُ هِرقلَ تُفتحُ أوَّلاً»**.. يعني: قسطنطينية[1].

و«روميَة» هي روما كما في «معجم البلدان»، وهي عاصمةُ إيطاليا حيث دولة الفاتيكان.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٧٦)، والدارمي (١/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٧/ ١٥٣/ ٢)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»، والحاكم (٣/ ٤٢٢، ٤/ ٥٠٨)، وعبدالغني المقدسي في «كتاب العلم» (٢/ ٣٠/ ١)، وقال: حديث حسن الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة».

بابا الفاتيكان:

أنا أدري

بأنَّكَ ترهَبُ العلياءَ في ديني

وتَرْهَبُني لأني أبعثُ الآمالَ في قلبِ المساكينِ

وتَرْهَبُني لأني الرُّوحُ تسْرِي في الملايين

أنا المسلمُ إني أَسمعُ الدنيا تُناديني

وعندي البَلسَمُ الشافي لأمراضِ الملايينِ

ستعلو رايتي في هذه الدنيا وتُعليني

وتُورِق في صحارِي الرملِ

غابَاتٌ من الزيتونِ والتينِ

* * *

*** استباحةُ الإسلامِ على يَدِ القزمِ الكريه.. المجرمِ الصليبيِّ الفرنسيِّ «روبير ريديكير» وصحيفة «لوفيجارو» الفرنسيَّة:**

بعد أيامٍ قليلةٍ من الجريمة التي ارتكبها بابا الفاتيكان في حقِّ الإسلام والمسلمين، خرج علينا فيلسوفٌ فرنسيٌّ يُدعَىٰ «روبير ريديكير» بمقالٍ رديءٍ في صحيفةِ «لوفيجارو» الفرنسية، يتهجَّمُ فيه علىٰ الإسلامِ والمسلمين، ويُوجِّهُ فيه السِّبابَ إلىٰ الرسولِ ﷺ .. وتحت عنوان «في مواجهةِ التهويل الإسلامي ماذا يفعلُ العالم؟» راح الكاتبُ الفرنسيُّ الشهيرُ يَنْضَحُ حِقْدًا، ويبُثُّ سمومًا لا تَقِلُّ أَبدًا عن تلك التي أطلقها سَليلُ النازيةِ والحاقدُ علىٰ

الإسلام بابا الفاتيكان .

إنها تصبُّ في ذاتِ المستنقع الذي يَغترفُ منه بعضُ هؤلاء مِدادَ أقلامهم وكلماتهم .

◘ ففي الأسبوع الماضي انطَلَقت الصحيفةُ الفرنسيَّةُ، وعلىٰ صَدْر صفحاتِها هذا المقالُ الذي ربَّما لم يَسْتَرْعِ انتباهَ الكثيرين، رغمَ أن «لوفيجارو» صحيفةٌ فرنسيةٌ شهيرةٌ وذائعةٌ الصِّيت، ولكن يبدو أن استمرارَ الحملاتِ الصليبيةِ الجديدةِ علىٰ الإسلام والمسلمين جَعَل من هذه الإهاناتِ والمؤامراتِ وكأنَّها أمرٌ طبيعيٌّ!! .

◘ لقد شَنَّ الكاتبُ الفرنسيُّ الوقحُ «ريديكير» هجومًا شديدًا في مقالهِ الأخيرِ، حيث قال فيه : «إنَّ العنفَ والكراهيةَ تعيشُ في الكتاب الذي يُثَقِّفُ المسلمين» ـ أي القرآن الكريم ـ .

◘ وقال بكلٍّ بجاحةٍ وحِقدٍ : «إن القرآنَ هو كتابُ العنفِ المُطلَق» .

◘ وقال هذا الحاقدُ السَّفيهُ مبرِّرًا للوقاحةِ التي أطلقها بابا الفاتيكان : «إن ردودَ الفعلِ الإسلاميةَ علىٰ خطابِ البابا التحليليِّ، تأتي في إطارِ سعْي هذا الإسلام إلىٰ خَنْقِ أغلىٰ ما يمتلكُه الغربُ ـ وما لا يوجدُ في أيِّ بلدٍ مسلمٍ ـ، وهو حريةُ التفكيرِ والتعبير» .

◘ وشبَّه الكاتبُ الفرنسيُّ الإسلامَ بالشيوعية، وقال : «اليومَ ـ مِثلَ الشيوعيةِ بالأمس ـ يَستغلُّ الإسلامُ كَرَمَ الغرب، وانفتاحَه وتسامُحَه وقِيَمَه الديمقراطية، وهو يسْعَىٰ إلىٰ فرضِ النظامِ القرآنيِّ علىٰ العالَمِ الغربيِّ نفسِه» .

❑ وشَنَّ الفيلسوفُ الفرنسي الكريهُ القزمُ القَميءُ الشائهُ الخَلْقِ مَيِّتُ القلبِ هجومًا شرسًا علىٰ رسولِ اللَّه محمدٍ ﷺ، وراح يَنفُثُ عن حِقدِه وسُمومِه بكلماتٍ تتَّهمُ رسولَنا الكريمَ ﷺ بأنه «سيِّد الكراهية»، وأنه «قائدٌ لا يَرحم»، وأنه «سارقٌ» ، وأنه «جزَّار اليهود»، وأنه «ذو مُيولٍ جنسيَّةٍ تُخوِّله الزواجَ بالعشرات» .

❑ وراح هذا السَّفيهُ يهاجمُ مناسكَ الحجِّ عند المسلمين بقوله : «إذا كان رَجمُ الشيطانِ في مكةَ هو فِعْلٌ مُقدَّسٌ، فبإمكانِك عندئذٍ أن تَفهمَ العنفَ في هذا الدين»[1] .

هذا المقالُ الوقحُ الذي تَصدَّر الصحيفةَ الفرنسيةَ لم يُثِرْ أدنىٰ اهتمامٍ عند المسلمين . .

ولو نارًا نَفَخْتَ بها أضاءت ولكن أنتَ تنفُخُ في رمادِ

❑ وكتبت جريدة «الأسبوع» في عددها (٤٩٧) ما قاله «روبير ريديكير» في مقالِه عن رسول اللَّه ﷺ : «إنَّ محمدًا يُصوِّرُ نفسَه في القرآن علىٰ أنه مقاتلٌ لا يَرحم، قام بالنَّهْب، وهو قاهرٌ لليهود، ومتعدِّدُ الزوجات . . وإنَّ القرآن الذي يتعلَّمُه كلُّ مسلمٍ يتضمَّنُ الكراهيةَ والعُنفَ» .

ورَغمَ اعترافِ الصحيفة بعدها بيومٍ بالاعتذارِ عن ذلك علىٰ لسانِ نائبِ رئيسِ تحريرها «بيار روسلان» باعتبار أنَّ نشرَ هذا المقالِ كان أمرًا خاطئًا، ومؤكِّدًا أنه لا يُمثِّلُ رأيَ الصحيفةِ، إلاَّ أنه يَدُلُّ علىٰ مَوجةِ الكراهيةِ

(١) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٩٦) ـ مقال «بالعقل»: الحرب مستمرة ـ استباحة الإسلام لمصطفىٰ بكري ـ ٢ من رمضان سنة ١٤٢٧ هـ ـ ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٦م .

العاتيةِ والحقدِ الأسودِ علىٰ رسولِنا ﷺ من الغربِ الصليبيِّ»[1] .

*** مسرحيةٌ وقحةٌ تتهكَّمُ على الإسلام.. والمسرحيُّ البَذِيءُ «هانس نوينفيلس» وصليبيُّو ألمانيا:**

❑ بعد مقال «روبير ريديكيه» بأسبوعٍ واحدٍ ـ أي: خلال أسبوعين فقط من كلمة البابا ـ اندلَعت أزمةٌ جديدةٌ وخطيرةٌ في ألمانيا، حيث عَقدت مؤسسةٌ للعروضِ الأوبرالية في «برلين» مؤتمرًا صحيفًا يومَ الثلاثاء ٢٦ سبتمبر، أَعلنت فيه «كريستن هارمز» مديرةُ «مؤسسة الأوبرا الألمانية» في برلين عن إلغاءِ عرضِ أوبرا «يدومينيو» لموتسارت التي كانت ستَعرِض أربعةَ عروض في شهر نوفمبر، وذلك خَشيةَ أن يَعتبرَها المسلمون استفزازيةً، وذلك بعد أن أشارت الشرطةُ إلىٰ أن عَرْضَها سيؤدِّي إلىٰ مَخاطرَ غيرِ محسوبةٍ علىٰ الجمهورِ والعاملِين في الأوبرا، وذلك لِتَضمُّنِ المسرحيةِ مَشاهداً لِقَطْعِ رأسَيِ الرسولِ ﷺ وسيِّدنا عيسىٰ عليه السلام، وقالت الشركةُ في بيانٍ وَزَّعته: إنها فعلت ذلك لمعرفتها بما يُمكنُ أن تُحدِثَه من جَدَلٍ بعد أزمةِ الرسومِ الكاريكاتيرية، وخَتَمت «هارمز» بأنها تلقَّت تحذيراتٍ أمنيَّةً من عَرْضِهـا، ولذلك فـإنَّ قرارَ الإلغـاءِ يأتي في صالحِ الفنَّـانين ومُرتادِي الأوبرا!!.

وهذه الأوبرا التي أَدخل عليها المسرحيُّ «هانس نونيفيلس» تعديلاتٍ، والمكوَّنةُ من ثلاثةِ فصولٍ، كان قد أَلَّفها «موتسارت» عام ١٧٨١م، وسَبق

---

(١) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٩٧) ـ مقال «حملة شرسة منظمة ضد الإسلام» لوليد الشيخ (ص٧) ـ ٩ رمضان سنة ١٤٢٧هـ ـ ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

أن عُرِضَت في ألمانيا في ديسمبر ٢٠٠٣، وأثارت حينَها رُدودَ فعلٍ قويةً لدىٰ الجمهور، وكان يُفترَض أن يُعادَ عَرضُها في ٥ و ٨ و ١٥ و ١٨ نوفمبر.

وهو عَرضٌ يقومُ علىٰ الفكرِ الإلحاديِّ الذي يَعتمدُ هنا علىٰ عبارة «نيتشه»[1] الفَلسفيةِ الشهيرة «إنَّ اللّٰهَ قد مات» لتي أراد أن يَجعلَها عنوانًا لفسلفته التي لا تعترفُ إلاَّ بالحسيَّاتِ وفَقَط بالبشر، وبأنهم هم وحدَهم الموجودون في العالَم، وهنا تَسيرُ التفاصيلُ علىٰ جَلْبِ مَلِك «كريت» «أدومينيو» رموزَ جميعِ الأديان - ومنهم الرسولُ ﷺ وسيدُنا عيسىٰ عليه السلام -، بل وكذلك «بوذا» و«بوزيدون» - إله البحر عند الإغريق -، ثم قَطْعَ رقابِهم، ووَضْعَ كلٍّ واحدةٍ منها علىٰ كُرسيٍّ من الكراسيِّ لِيُثبِتَ أنه انتَصَر علىٰ جميع الأنبياء والمُصلِحين، بل حتىٰ علىٰ فكرةِ الإله ذاتها!.

لذا فكان طبيعيًّا أن يؤدِّي عَرضُ هذه الأوبرا إلىٰ غَضَبٍ عارمٍ في العالَم الإسلاميِّ بأسره، حيث إنها تُصوِّر عمليةَ قطعِ رقبةِ الرسول ﷺ - وكذلك سيدنا عيسىٰ - بصورةٍ لا يُمكن لأحدٍ تحمُّلُها، بل وهناك مشاهدُ لبطلِ العَرضِ يُمسِكُ بالرقبةِ والدماءُ تنسالُ منها.

وبعد إلغاءِ العرضِ، ثارت ضجَّةٌ من السياسيِّين الألمان - وبالذات من قِبَلِ الاتحادِ المسيحي -، فقد انتَقدت المستشارةُ الألمانية «أنجيلا ميركل» زعيمةُ الاتحاد المسيحيِّ ذلك قائلةً: «علينا أن نتنبَّهَ وألاَّ نتراجعَ أمامَ التخويفِ الذي يَقفُ وراءَه إسلاميُّون راديكاليون مستعدُّون لارتكابِ أعمالِ عُنفٍ».

بينما وَصَل الأمرُ بالمتحدِّثِ للشؤون الثقافيةِ للكتلةِ البرلمانية للاتحاد

(١) لَعَنَه اللّٰه.

المسيحيِّ «فولفجانج بورنزن» للقولِ بأن ذلك الإلغاءَ يُمثِّلُ «ركوعًا للإرهابيين» وتشجيعًا للراديكاليين، وسيزيدُ من ممارسةِ الضغوطِ والتهديداتِ علىٰ «ثقافتنا وديننا المسيحيِّ»، بينما رآه «بيتر رامساور» زعيمُ المجموعة البلدية للحزب المسيحيِّ الاجتماعيِّ بأنه ليس سوىٰ «جُبْنٍ خالص»، وفي الوقت ذاتِه قام عُمدةُ «برلين» من الحزب الاشتراكيِّ الديمقراطيِّ «كلاوس فوفرايت» ـ والمعروف بأنه شاذٌّ جنسيًّا وأثارت علاقتُه بصديقه ضجَّةً في الساحة الألمانية ـ بمهاجمةِ مديرةِ الأوبرا لقرارِها إلغاءَ العَرضِ.. قائلاً: «يجب أن نحيا بجرأةٍ بقِيَمِنا حولَ الانفتاح والتسامح والحريَّة»، بينما وصف وزيرُ الداخلية «فولفجانج شويبله» ـ أيضًا من الاتحاد المسيحيِّ ـ إلغاءَ العَرضِ بأنه «غير مقبول»[1].

*** من يَحجُبُ الشمسَ؟..**

□ كَتَب الأستاذ «عزت السعدني» في «تحقيق السبت» بجريدة «الأهرام» بتاريخ ٧/١٠/٢٠٠٦م (ص٣) تحت عنوان «مَن يحجبُ الشمسَ؟» فقال: «هل هناك إهانةٌ للأديان أكثرُ وأبشعُ من عَرضِ رؤوسِ الأنبياءِ مذبوحةً تقطُرُ دمًا علىٰ خشبةِ المسرح؟.

□ لا تندهشوا.. ولا تتعجَّبوا.. ولا تَضرِبوا كفًّا بكفٍّ.. لقد أصبحت إهانةُ الإسلام وسَبُّ دينِنا وتشويهُ صورةِ سيِّدنا محمدٍ ﷺ عند الغربِ فضيلةً من الفضائل.. وتعبيراً عن حريةِ الفكر والرأيِ والإبداع!

---

(١) مقال: «تحالف بين الصقور في الفاتيكان والبيت الأبيض ـ حملة شرسة منظمة ضد الإسلام» لوليد الشيخ ـ جريدة الأسبوع العدد (٤٩٧) (ص٧).

احبِسوا أنفاسكم، وافتحوا عيونكم عن آخرِها، وارهَفوا سمعكم.. نحن الآن في دار أوبرا برلين في ألمانيا.. أضواءُ الصالةِ تُطْفأُ، وأنوارُ المسرحِ تُضاء.. المشهدُ أمامَنا مُرعِبٌ مثيرٌ ويَقطُرُ دمًا.. بَطَلُ المسرحية «إيدومينو» ملك كريت يَظهرُ على المسرحِ وملابسُه البيضاءُ ملطَّخةٌ بالدماء، وهو يَحملُ حقيبةً كبيرةً مليئةً برؤوسٍ بشريةٍ مقطوعةٍ.. يُخرِجُ البطلُ الرؤوسَ البشريةَ واحداً بعد الآخر وهي تقطُرُ دمًا، ويَضَعُ كلَّ واحدٍ على كرسيٍّ أسودَ قصير.. الرأسُ الأول للإله «بوذا»، والثاني للمسيح عيسى بنِ مريم عليه السلام، والثالثُ لنبيِّ اللَّه محمدِ بن عبداللَّه، والرابعُ «لبوسيدون» إلهِ البحرِ عند الإغريق.. الرؤوسُ الأربعةُ تقطُرُ دمًا يَسيلُ على الكراسيِّ وخشبةِ المسرح!

المشهدُ الأخيرُ في المسرحية: «الرؤوسُ الكريمةُ المقطوعةُ» لم يكن أبداً في صُلبِ المسرحية التي كتبها «موتسارت» أشهرُ موسيقارٍ في تاريخ ألمانيا في عام ١٧٩١.. ولم يَخطُرْ على بالِ المؤلف قبلَ مئتين وخمسةٍ من الأعوام.. ولكنه مَشهدٌ أضافته العبقريةُ الألمانيةُ في الإبداعِ الفنيِّ وحريةِ الرأي والفكر.. لكي يكونَ مشهدُ النهايةِ رسالةً صريحةً وملعونةً ووقحةً ـ كما تقولُ الزميلة «الفجر» ـ إلى الدنيا كلها.. رسالةٌ تقول: «إن الآلهةَ ـ كلَّ الآلهة ـ قد ماتت، وإن على الإنسان أن يتولَّى قَدَرَه ومصيرَه بنفسه».

والفكرةُ العبقريةُ الألمانيةُ الشيطانيةُ ليست غريبةً على الفكرِ والفنِّ والأدبِ والإبداعِ الأوروبي ـ والألمانيِّ بالذات ـ، أليست ألمانيا بلدَ الفيلسوف «نيتشه» الذي أعلن من قبلُ أن اللَّه قد مات؟.

❑ هل تريدون أن أُلقِيَ مزيداً من أعوادِ الكبريت على فَحيحِ غضبِكم

وحَنَقِكم واستنكاركم؟ .

قبل أن نُشعِلَ أعوادَ الثقاب ـ ولسنا في حاجةٍ إلىٰ إشعالها ـ، فالمصيبةُ قد وقعت، والإهانةُ قد وصلت. . هل تريدون أن تَعرفوا قصةَ المسرحية التي تَحملُ اسم «إيدومينيو» ولا علاقة لها بالإسلام، أو المسيحية من قريبٍ أو بعيد.

و«إيدومينيو» هذا بطلُ المسرحية كان مَلِكًا علىٰ جزيرة «كريت» في البحر الأبيض. . وقد ذهب في رحلةٍ بحريةٍ لتحاصرَه العواصفُ والرياحُ والأمواج. . ولَمَّا أوشكت مركبُه علىٰ الغَرَق. . دعا «بوسيدون» ـ إلهَ البحار عند الإغريق ـ لكي ينقذَه. . ونَذَر له إذا أنقذه أن يُقدِّم له قربانًا يذبحُه علىٰ مِحرابِ الأكروبول. . وهو أولُ مَن تقعُ عليه عيناه بعد نجاته.

وينجو «إيدومينيو» من الغَرَق، ويَصِلُ إلىٰ البَرِّ. . ولكنَّ المفاجأةَ القاتلة: «أن أولَ مَن وقعت عليه عيناه بعد نجاته. . هو ابنهُ الوحيد»!.

هكذا كتب «موتسارت» مسرحيتَه قبلَ أكثر من مِئتي عام. . لماذا إذن هذا المشهدُ المؤلمُ والذي أشعل قلوبَ المسلمين والمسيحيين حنقًا وغضبًا؟! رأسُ النبيِّ محمدٍ ورأسُ عيسىٰ بنِ مريم تقطُرانِ علىٰ المسرح في مشهدِ النهاية؟.

آخِرُ خبر. . أن المسرحية لم تُعرض. . لا الآن ولا في نوفمبر المقبل وهو موعدُ عرضِها الرسمي في أوبرا برلين الشهيرة.

ولكنَّ المشهدَ الأخير صوَّروه وقدَّموه للميديا الألمانية، والغريب بعد ساعاتٍ من جريرة البابا بنديكت السادس بابا روما بتصريحاته التي أهانت

الإسلامَ وسَبَّت نبيَّه الكريم!.

كانت المسرحيةُ إهانةً سخيفةً وبلا مبرر، شأنُها شأنُ محاضرةِ بابا الفاتيكان الذي أقحَمَ فيها كلامًا مسيئًا للإسلامِ، برغم أنه كان يتحدثُ عن العقلِ في المسيحية، فوصف الإسلامَ بأنه بلا عقل!.

ثم ما الداعي هنا لوضع رؤوسِ الأنبياء تنزفُ دمًا في مسرحيةٍ تتحدثُ عن إلهٍ إغريقي هو مجردُ أسطورةٍ يونانية قديمة؟.

على أيِّ حالٍ، فإن هذا الإبداعَ الشيطانيَّ الألمانيَّ قد فَتح على مُبدِعيه أبوابَ جهنم.. بدايةً من تهديدِ وزيرِ الداخليةِ الألمانية «أبهر هارت».. لكريستين هارمس مديرةِ أوبرا برلين بمنع عرضِ المسرحية نهائيًّا قائلاً لها: «إن رأسَ النبيِّ محمدٍ المقطوعَ سوف يأتي بالغضب الإسلاميِّ إلى قلب الدار»!.

الصحفُ الألمانية لم تَرْضَ بوقفِ عرضِ المسرحية، وقالت: «لا صوتَ يعلو على صوتِ حرية الرأي والتعبير»، وهو منطِقُ الصحفِ الدنماركية نفسها أيامَ أزمةِ الرسوم المسيئة للرسول.. وإنَّ مَنْعَ عَرضِ المسرحيةِ خيانةٌ لمبادئِ حريةِ الرأي والتعبيرِ في ألمانيا!.

*** إهانة كل ٣٥ دقيقة:**

مرةً أخرى.. لا تندهشوا.. ولا تتعجَّبوا.. ولا تستغرِبوا.. لقد أصبحت إهانةُ الإسلام وسبُّ ديننا وتشويهُ صورةِ نبيِّنا عند الغرب فضيلةً من الفضائل.. وعادةً يوميةً تخرجُ على الملأ.. وعلى صفحاتِ الصحف.. وعلى شاشاتِ المحطَّات الأجنبيةِ دون خَجَلٍ، ودون مواربةٍ

آخرُها علىٰ لسانِ أكبرِ رأسٍ في الكنيسةِ الكاثوليكية الذي أهان الإسلامَ، وَصَنَعَ من رسالةِ محمدٍ شرًّا مستطيراً. . مَثَلُه مَثَلُ مَن يجلسُ الآن علىٰ كرسيٍّ أعظمِ دولةٍ في الوجودِ قوةً ومالاً وأعزَّ نفراً. . فهو ـ لا فُضَّ فوه ـ أولُ مَن نَطَق بعبارة: «لقد عادت الحربُ الصليبيةُ من جديد». . بعد أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر، وقالوا يومَها: «إنها زلةُ لسانٍ». . وما هي بزلة لسان. . بل عقيدة ويقين.

ومِن ساعتها أصبحت إهانةُ الإسلامِ وتشويهُ صورةِ الرسول عادةً يومية. . حتىٰ إن العالَمَ الغربيَّ أصبح يُطلِقُ إهانةً ضدَّ الإسلام كل ٣٥ دقيقة!.

ليست هذه الحقيقةُ المُفزعةُ من عندنا. . ولكنها إحصائيةٌ رسميةٌ صَدرت من «الميدل إيست ووتش» التي قالت صراحة: «إن هناك إهانةً تخرجُ ضدَّ الإسلام كلَّ ٣٥ دقيقة. . في صورةِ جُملةٍ في مقالٍ، أو سَطرٍ، أو حتىٰ برنامجٍ إذاعيٍّ، أو كلمةِ احتجاجٍ في الشارع. . أو حتىٰ نكتةٍ في برنامجٍ ترفيهيٍّ، أو عُرزةٍ من عُرَز ملهًىٰ ليلي. . كما لو كان المسلمون هم تسليةَ العالَم الغربيِّ الوحيدةَ الآن في وقت فراغه»!.

وهكذا تَحوَّل المسلمون في بِقاعِ الأرض إلىٰ أُضحوكةٍ ومادةٍ كاريكاتورية هَزْليةٍ كرتونيةٍ للتسلية والترفيه والتندر والسخرية والضحك.

ونحن هنا لا نلومُ الغرب. . ولكننا نلومُ أنفسَنا لأننا بتهاوننا وتخاذُلنا وصمتنا الرهيب كأننا نطلبُ منهم ونرجوهم أن يُحوِّلونا إلىٰ فيلمٍ ضاحك. . مسرحيةٍ ساخرة. . نكتةٍ أضحوكة. . مادةٍ للتسلية

وقتلِ الوقت!.

وإذا كانت إهانةُ بابا الفاتيكان الذي لم يَعتذرْ حتى هذه الساعة.. كلُّ ما قاله: إنه يأسفُ لأننا فهمنا كلامَه خطأً.. الخطأُ خطؤنا نحن.. وعلينا نحن أن نَعتذرَ له عن سوءِ فَهمِنا لكلامه الذي شوَّه فيه صورةَ إسلامنا، ووَصَفَه بأنه دينٌ بلا عقل وبلا منطق.. ووَصف رسولَنا الكريم بأنه رسولٌ أتى بالشرِّ كله!.

فماذا نريدُ أكثرَ مِن إهانةٍ جديدةٍ لديننا ونبينا كلَّ ٣٥ دقيقة لكي نتحركَ ونُوقفَ هذه الحملةَ المنظمةَ المدبَّرةَ والمقررةَ والمخططةَ سَلَفًا ولاحقًا ضدَّ الإسلام ونبيِّه الكريم؟.

لقد أعلن العالَمُ الإسلاميُّ كلُّه عن غضبه وثورته.. ولكنَّ هل الغضبَ وحدُه يكفي؟.

لقد رَفض الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر أسفَ بابا الفاتيكان.. وطلب منه أن يعتذرَ رسميًّا ودينيًّا وبابويًّا!.

ورَفض البابا شنودة الثالث بابا الكرازة المرقسية ما قاله بابا الفاتيكان وما كان عليه أن يتورَّط في مِثل هذه الأقوال.

وقال: إن كلام بابا الفاتيكان لا يمثِّلُ كنيسةَ روما ولا الكاثوليك!.

وطالب الشيخُ القرضاوي رئيسَ الاتحاد الدولي لعلماءِ المسلمين بأن يعتذرَ البابا قولاً وكتابةً وبعباراتٍ صريحةٍ وقويةٍ.

لابد أن يعرفَ الغربُ أن الدينَ الإسلاميَّ منطقةٌ محظورةٌ محرَّمةٌ.. ممنوعٌ الاقترابُ منها، أو الدخولُ إليها.. إلاَّ بالحقِّ والصدق.. لا بالتسليةِ

والسخريةِ والتهكُّم كل ٣٥ دقيقة .

وما زال مسلسلُ التهكمِ والسبِّ والسِّباب معروضًا ومفروضًا علينا في أيام الشهر الكريم .

ها هي جريدةُ «الفيجارو الفرنسية» تقول : إن الدينَ الإسلاميَّ يدعو إلىٰ العنف والتطرف .

وها هو كاتبٌ جزائري متفرنسٌ يكتب مقالاً يهاجمُ فيه الإسلامَ والرسولَ، ويَصِفُ الإسلامَ بأنه دينُ العنف . . ويصفُ النبيَّ الكريم - ويا لِهولِ ما قاله - بأنه قاطعُ طريقَ ! .

وهكذا كلَّ ٣٥ دقيقة إهانةٌ، أو سبٌّ، أو تهكُّمٌ علىٰ الإسلامِ والمسلمين والرسول الكريم ﷺ ! .

يَعني كلَّ ٢٤ ساعة العالمُ الإسلامي في انتظار ٤٥ لطمةً وسبَّةً وتَهكُّمًا وقلَّةَ حياءٍ وحقدًا وكراهيةً في منظومةِ إهانات لن تتوقف ولن تهدأ . . إذا لم نتحرك عقلاً وتعقلاً وفكرًا ومنطقًا . . لا غضبًا وتهورًا ! .

* **حُمَّى «الإسلاموفوبيا» ! :**

❑ ما الذي جرىٰ؟

وما الذي يجري؟

ما الذي يَجري للغرب حتىٰ جُنَّ جُنونُه وأُصيب بهستيريا مهاجمةِ كلِّ ما هو مسلم وكل ما هو عربي؟ .

ما الذي جَرىٰ حتىٰ يصبَح كلُّ مسلمٍ متطرِّفًا . . وكلُّ عربيٍّ إرهابيًّا؟ .

ما الذي جَرىٰ حتىٰ يتَّهموا كتابَ اللَّه بالعُنف والتطرُّفِ وهو منه

بَرَاءٌ . . فالإسلامُ هو دينُ المحبةِ والسلامِ بين كلِّ البشر؟ .

ما الذي جَرىٰ حتىٰ يَطلُعَ علينا الرئيس «بوش» في إحدىٰ «تجلِّياته الأُسبوعية» بتعبيرٍ جديد هو «الإسلامُ الفاشي» . . يعني رَبْطًا بين الإسلامِ والفاشيةِ التي خَرجت من عَباءة «موسيليني» حليف «هتلر» في الحرب العالمية الأخيرة؟ .

ما الذي جرىٰ لنا حتىٰ نسكتَ علىٰ كلِّ هذا الضَّيمِ وهذا الهَوان . . في ديننا ونبينا؟ .

ولكن هذه الهجمةُ الشرسةُ علىٰ الإسلام والمسلمين يصِفُها الزميلُ العزيز والكاتب الصحفي د . «سعيد اللاوندي» في مكانها الصحيح بقوله : لا تندهشْ، ولا تتعجبْ مما يجري من حولنا . . انفلاتُ لسانِ بابا الفاتيكان أو تهكُّمُ مسرحيةٍ ألمانية تقطع رؤوسَ الأنبياء علىٰ المسرح . . بحُجَّةِ حرية الرأي والتعبير! .

شتائمُ وقِحةٌ من صحفٍ فرنسيةٍ وإيطاليةٍ وألمانيةٍ ونمساوية ودنماركية . . أو بذاءاتُ كاتبٍ متأورب اسمه «سلمان رشدي» . . إنها يا عزيزي ظاهرةُ «الإسلاموفوبيا» التي تجتاحُ الغرب الآن!» اهـ .

* بل هي ـ واللَّهِ ـ كما يقول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران : ١١٨] .

*** اليوم عادت كلابُ الدانمرك نابحةً :**

و«مع ذكرىٰ الرسومِ الدانماركية الوقِحَة، يقومُ التليفزيون الدانماركيُّ بنَشرِ صورٍ للنبيِّ محمدٍ ﷺ للمرةِ الثالثةِ في مسابقةٍ دنماركيةٍ لمن يُقدِّمُ أبشعَ

صورةٍ للرسول الكريم ﷺ، حيث صَوَّروا النبيَّ الكريمَ في شكلِ جَمَلٍ يَشربُ البِيرة، وكذلك في شَكلٍ مجاهدٍ سكرانٍ يُحاولُ تفجيرَ «كوبنهاجن»، في نَفسِ الوقتِ الذي يَنفي مسؤولُ نَشرِ الرسومِ الكاريكاتورية التي أساءت للرسول ﷺ عَدَمَ نَدَمِه قائلاً: «لستُ نادمًا على أيِّ شيءٍ، ولو اقتَضى الأمرُ المُعَاودَةَ لعاودت».

❑ ومِن جهةٍ أخرى ذَكرت وكالةُ الأنباء الفرنسيَّة أنَّ المجتمعَ الدانماركيَّ أضحى أشدَّ نقدًا للإسلامِ، وأنَّ واحدًا من أربعةِ دانماركيين أضحى أكثرَ سلبيَّةً تُجاهَ الإسلام، وأنَّ قُرابةَ (٤٦,٦٪) من الدانماركيين يُقِرُّون صاحبَ الرسومِ على موقفِه انسجامًا مع مبدأِ حريَّةِ التعبير[١].

* «**إذا لم تستحِ، فافْعَلْ ما شئت**» **يا** «**خوسيه ماريا أزنار**»:

ثُمَّ ها هو رئيسُ الوزراء الأسباني السابق «خوسيه ماريا أزنار» يطالبُ المسلمين اليومَ بالاعتذار الرسميِّ عن فترةِ حُكمِهم لأسبانيا، ويقول: «إنهم أرادوا كَسْرَ الصليبَ والقضاءَ على المسيحية»[٢].

وأعرَبَ القِزمُ الصليبيُّ عن رَفضِه التامِّ لفكرةِ تحالُفِ الحضاراتِ بين الغربِ والعالَمِ الإسلاميِّ واصفًا إيَّاها بأنها «فكرةٌ غبيَّةٌ».

وهكذا تجتمعُ في آنٍ واحدٍ تصريحاتُ «بوش» عن «الفاشية الإسلامية»، وبابا روما عن شَرِّ الإسلام، وأسقُفِ أستراليا حين هاجَمَ الإسلامَ ثم «أزنار» أسبانيا.

---

(١) «مجلة التوحيد» العدد (٤١٨) (ص٩ ـ ١٠).

(٢) المصدر السابق (ص١٠).

*** رئيسُ الحزب المسيحيِ الألماني «إدموند شتويبر» الكارهُ للإسلام:**

إنه أمرٌ دُبِّر في وَضَحِ النهار، ولا نقولُ بليلٍ.. قبل زيارةِ البابا لألمانيا كانت هناك تصريحاتٌ غريبةٌ معاديةٌ للإسلام قد صَدَرت عن رئيسِ الحزبِ المسيحيِّ الاجتماعيِّ الألمانيِّ ورئيسِ وزراءِ ولاية «بافاريا» «إدموند شتويبر» والمعروفُ بانتقاداتِه الحادَّةِ للإسلامِ والمسلمين.. قُبيلَ زيارةِ البابا الأخيرة لولاية «بافاريا» حيث صَرَّح «شتويبر» لصحيفةٍ شعبيةٍ تُدعىٰ «بيلد» تابعةٍ لدار نشر «أكسل شبرنجر» وهي معروفةٌ بدَعمها المطلَق لإسرائيل.. وبمناسبةِ زيارةِ البابا لِمَسْقَطِ رأسِهِ في ولاية «بافاريا» قائلاً: «إنَّ المسيحيةَ تختلفُ عن الإسلام برَفضِها التعصُّبَ وعدمَ التسامح، وقبولِها الحريَّاتِ الدينية، واعترافِها بالمساواةِ الكاملة بين الرجلِ والمرأةِ، وعدمِ سماحِها بالزواجِ عن طريقِ الإكراه».

وأضاف قائلاً: «علىٰ العكسِ من الإسلام تَعتبر المسيحيةُ الإنسانَ كائنًا فريدًا، له قيمةٌ كبيرة، ويَتمتعُ بالحقِّ في الحرية والمساواة».

الأمرُ الذي لم يَعُدْ مفهومًا سوىٰ بتصريحاتِ البابا التي جاءت بعد تصريحاتِ «بوش» وكأن هناك اتفاقًا سريًّا ما لِشَنِّ حملةٍ سياسيةٍ دينيةٍ عالميةٍ ضدَّ الإسلام[1] .

*** الكاتب الألماني الصليبي «إيجون فليج»:**

وعلىٰ نفسِ النهجِ يتكررُ الأمرُ «في مقالةٍ نشرتها صحيفة «فرانكفورتر ألجمانيه» يوم ١٦ سبتمبر للكاتب «إيجون فليج» تحت عنوان: «الإسلام

(١) «جريدة الأسبوع» ـ العدد (٤٩٧) (ص٧) مقال «حملة شرسة منظمة ضد الإسلام».

يُريد غزو العالم» هاجَمَ فيها الإسلامَ بحِدَّةٍ ووَصَمَه فيها بالعنف، وبأنه دينٌ قتاليٌّ، وأنه يَرىٰ الأندلسَ ومنطقةَ البَلْقان وجنوبَ إيطاليا والجُزُرَ اليونانيةَ كلَّها باعتبارها مستعمراتٍ إسلاميةً سابقةً، وأنها يجبُ أن تعودُ إلىٰ حِصنِ الإسلام، وأنَّ هَدَفَ المسلمين غَزوُ العالَم بأسره، وتدميرُ دارِ الحرب، والتعويلُ علىٰ ذلك بالحربِ والعنفِ، بل وَصَلَ به الأمرُ إلىٰ الدفاعِ بقوةٍ عن الحروب الصليبيَّةِ، مؤكِّدًا أن البابا «أوربان الثاني» كان حِينَها علىٰ حَقٍّ، وأن هذه الحروبَ تَمَّت إمَّا لمساعدةِ المسيحيين المُضْطَهَدين، وإما التحرير الأماكن المقدَّسةِ في فلسطين، أو لحمايةِ المسيحيين من الأطماعِ الإسلاميةِ، بل إنه تَكلَّم - حتىٰ وعلىٰ عكسِ ما هو ثابتٌ تاريخيًّا - عمَّا أسماه تميُّزًا واضطهادًا من المسلمين تُجاهَ المسيحيين واليهود.

ثم وَصَل الأمر بـ «فليج» إلىٰ انتقادِ الإسلامِ بكلِّ قوَّةٍ ودعمِ مَن أسماهم «بالمثقَّفين الإسلاميين» مِن أتْباع الغرب، ليختمَ مقاله قائلاً: «إن من يَستمرُّ في بَثِّ الأساطيرِ عن التسامحِ الإسلاميِّ، يَحُولُ دونَ قيامِ المثقَّفينِ الإسلاميين بأيِّ إصلاحٍ للإسلام»[1].

وبعدَها بثلاثةِ أيامٍ فقط - يوم ١٩ سبتمبر - كان مقالُ «روبير ريديكيه» في صحيفةِ «لوفيجارو الفرنسية».

* ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾:

إنَّ مَن يُهاجمون النبيَّ ﷺ لا يَجهَلون مَن هو، بل يَعرفونه حقَّ

(١) «جريدة الأسبوع» (٤٩٧) - نفس المقال السابق.

المعرفة، ألم يُخبِرْنا الحقُّ سبحانه وتعالىٰ أنهم يَعرفونه كما يعرفون أولادهم؟! ألاَ نقرأُ في القرآن: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟!.

وهي تدلُّ بوضوحٍ علىٰ أن علماءَ وقادةَ أهلِ الكتاب يَعرفون محمداً ﷺ، وهي معرفةٌ حقيقيةٌ ومستمرةٌ كما تدلُّ الآيةُ الكريمة.

* أخبرنا سبحانه وتعالىٰ كذلك أن هذه المعرفةَ جاءت مِن كُتبهم، وليس فقط مِن اطِّلاعِهم علىٰ أحداثِ العالَم، أو اهتمامهم بالإسلام، فقد قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولا شك أنهم يَعرفون النبيَّ وهم يُهاجمونه.

* قال تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

كيف يُمكن تفسيرُ أن تُزيَّن بعضُ كنائِس أوروبا بلَوحاتٍ ورسوماتٍ لنبيِّنا محمدٍ وهو ـ كما يدَّعون ـ يُعذَّبُ في نارِ جهنم، وأن تَبقىٰ هذه اللوحاتُ في أماكنها في أكثَرَ من كنيسةٍ خاضعةٍ لسلطةِ الفاتيكان، ولم تَلْمَسْها يدٌ، ولم يُحاولْ تغييرَ ذلك أحدٌ من دُعاةِ التسامحِ والحوارِ طوالَ عشراتِ السنين، وحتىٰ الآن؟.

كيف يُفسَّر أن يوضَعَ في كنيسةٍ أوروبيةٍ في عاصمةِ الاتحادِ الأوروبي تمثالٌ مُهينٌ لنبي الأمة وهو مَطروحٌ أرضًا تدوسُه أقدامُ ملائكةٍ تُعلِنُ انتصارَ المسيحيةِ علىٰ الإسلام؟ وكيف إذا كان هذا التمثالُ ليس في الكنيسةِ فقط، بل هو في مِحرابهـا؟ أي أنه يَراه ويشـاهدُه كلُّ مَن يَـزورُ الكنيسـةَ للعبادة أو السياحةِ أو غيرهما، ألاَّ يدلُّ هذا علىٰ الإجرامِ الذي وصفته الآيةُ في الحديث عَمَّن يُعادونَ نبيَّ الأمة؟.

إن نوعَ الاتهاماتِ والإهاناتِ المتكرِّرةِ والتي تُلصَقُ بنبيِّ اللَّه ﷺ من قِبَل الحمقىٰ من الغربِ، لا تدلُّ إلاَّ علىٰ صفةٍ واحدة في هؤلاء.. وهي الصفةُ التي وصفهم بها ربُّ العزةِ والجلال؛ إنها صفةُ «الإجرام»، ومن المهمِّ أن نسمِّيَ الأشياءَ بمسمياتها الصحيحةِ والحقيقيةِ لِننجحَ في الحوارِ والتعايُشِ مع الآخرين[1].

«إن الصورةَ المشوَّهةَ عن الإسلام في الغرب لم تكن بسببِ جهلِ أوروبا به، ولكنها في الواقع نتيجةُ معرفةٍ حقيقيَّةٍ بالإسلام غُلِّفت بالحقدِ والخوفِ من تنامِي تأثيرِ هذا الدينِ علىٰ أوروبا نفسِها وعلىٰ العالم أجمع».

*** الصورةُ النَّمَطيةُ عن الإسلام:**

«ساهَمَ المفكِّرون الأوروبيون الدينيون ـ وغيرُهم أيضًا ـ في تحويلِ الإسلام إلىٰ دينٍ كريهٍ بَغيضٍ لدىٰ العامةِ، لكي تحتفظَ أوروبا بابتعادها عن الوقوعِ تحتَ سيطرةِ القوةِ الأخلاقيةِ والفكريةِ الآسِرةِ للدين الإسلامي، كان

(١) «لماذا يكرهونه» (ص٢٢).

لابد لذلك مِن تكوينِ صورةٍ نمطيةٍ ذهنيةٍ بشعةٍ عن الإسلامِ من ناحيةٍ، وعن نبيِّ الإسلام من ناحيةٍ أخرىٰ لتحقيق ذلك.

❑ يجبُ الفصلُ هنا بين رؤيتين ـ كما يرىٰ المفكِّرُ هشام جعيط ـ:

الأولى: هي رؤيةُ العالَم الشعبي.

والثانية: هي رؤيةُ العالَم المدرسي.

الأولىٰ تغذَّت من الحروب الصليبية، والثانيةُ من المواجهةِ الإسلاميةِ المسيحيةِ في أسبانيا، واحدةٌ انتشرت علىٰ المستوىٰ الخيالي، والأخرىٰ علىٰ المستوىٰ العقلاني، في الأدب الشعبيِّ كان المسلمون وَثنيِّين، ومحمدٌ ساحرًا وشخصًا فاسدًا وزعيمَ شعبٍ فاسد، «وأغنية رولاند» Roland التي تُمثِّلُ ـ مِن وِجهةِ النظرِ الفرنسية ـ ملحمةَ الصراعِ مع المسلمين، بدَورها تُقدِّمُ العَرَبَ علىٰ أنهم وثنيون، وهي تَخلطُ الملحميَّ بالخيالي.

بالمقابل في الرؤيةِ المتبحِّرةِ هناك معرفةٌ سابقة، ولكنَّ الغَطرسةَ والنوايا السيئةَ لم تُفِد في أن يكونَ التعبيرُ عن هذه المعرفةِ مُنصِفًا أو دقيقًا.

لقد استمرَّ بناءُ هذه الصورةِ النمطيةِ الكريهةِ عن الإسلام طُوالَ الألفِ عامِ الماضيةِ بشكلٍ دؤوب ومستمرٍّ لم يَنقطعْ إلاَّ في فتراتٍ محدودةٍ للغاية، ولم تُخالِفْه أو تَعترضْ عليه إلاَّ دوائرُ ثقافيةٌ وفكريةٌ صغيرةٌ وغيرُ مؤثِّرةٍ في الموقفِ الفكريِّ الأوروبي.

لذلك يمكنُ القول: إنَّ التصوراتِ الغربيةَ المعاصرةَ حولَ دين المسلمين، لم تتكونْ وترتسمْ في صفحةٍ بيضاءَ خاليةٍ، وإنما انعكست في مرآةٍ قديمةٍ مشوَّهة؛ إذ إن سكانَ أوروبا المعاصرة وَرِثوا عن أسلافِهم مِن

القرون الوسطىٰ مجموعةً عريضةً وراسخةً من الأفكارِ حولَ الإسلام، التي كانت تتغيَّرُ تدريجيًّا مظاهرُها الخارجيةُ فقط، تَبَعًا لتغيُّرِ الظروف في أوروبا ذاتها، وتبعًا لطبيعةِ علاقاتها ومواقفِها المستجَدَّةِ نسبيًّا مع البلدان الإسلامية وثقافاتِها الحديثة.

◻ أما مَن ساهَم بالتحديدِ في تشكيلِ هذه الصورة، فيتحدثُ عنه د. «أليسكي جورافيسكي» في بحثه القيِّم عن الإسلامِ والمسيحيةِ قائلاً: «إن أدبَ أوروبا القرونِ الوسطىٰ حولَ الإسلام، وضَعَ في غالبيته العظمىٰ مِن طَرَفِ رجالِ الدينِ المسيحيين، الذين استَندوا إلىٰ مصادرَ شديدةِ التمايزِ والتباين، كالحكاياتِ الشعبية، وقَصَصِ الأبطالِ والحُجَّاجِ القديسين، والمؤلَّفات الجَدَلية ـ اللاهوتية ـ الدفاعية للمسيحيين الشرقيين، وشهاداتِ بعض المسلمين، وترجماتِ مفكِّريهم وعلمائهم، كانت المعلومةُ المقدمةُ تنتزَعُ في مُعظَمِ الحالات من سياقِها الأصلي، ثم تُقدَّمُ إلىٰ القارئِ الأوروبي، وبهذا الشكلِ شُوِّهَت الوقائعُ بصورةٍ متعمَّدةٍ ـ واعيةٍ أحيانًا، أو بشكلٍ غيرِ واعٍ في أحيانٍ أخرىٰ في إطارِ البحثِ الحماسيِّ عن حَلٍّ سريعٍ «لمشكلة الإسلام» التي سَيطرت في القرونِ الوسطىٰ علىٰ الموضوعاتِ الدينيةِ ـ الأيديولوجية»[1].

◻ بشكلٍ عام، تكونت في وعيِ الأوروبيين «في القرون الوسطىٰ» ملامحُ اللوحةِ التاليةِ عن الإسلام: «إنه عقيدةٌ ابتَدَعها محمدٌ، وهي تتَّسمُ

---

(١) الإسلام والمسيحية» د. أليسكي جورافيسكي، كتاب رقم ٢١٥ من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ١٩٩٦م، (ص٥٩).

بالكَذِبِ والتشويهِ المتعمَّدِ للحقائق، إنها دِينُ الجَبْرِ والانحلالِ الأخلاقي والتساهلِ مع الملذَّاتِ والشهواتِ الحسية، إنها ديانةُ العنف والقسوة»، وانسجامًا مع هذا الموقفِ المعادي، فقد رُسم الإسلامُ علىٰ هيئةِ نموذجٍ قبيحٍ سيِّئ، يتعارضُ ويتناقضُ كليةً مع النموذجِ المثاليِّ للمسيحيةِ بوصفِها ديانةَ الحقيقة، التي تتميزُ بالأخلاقِ الصارمةِ ورُوحِ السلام، وبأنها عقيدةٌ تنتشرُ بالإقناعِ وليس بقوةِ السلاح[1] .

□ لقد حاول هؤلاء أن يَصُدُّوا عمومَ الناسِ عن أيِّ معنًىٰ طيبٍ للإسلام أو عن نبيِّ الإسلام، أحيانًا كانت تلك المحاولاتُ تبدو بعيدةً كلَّ البُعدِ عن الأصولِ العلميةِ، أو الأخلاقيةِ كذلك، انظرْ إلىٰ ما ادَّعاه المستشرقُ الأمريكيُّ «ماكدونالد» تحت مادة «اللَّه» في «دائرةِ المعارف الإسلامية» منكِرًا حتىٰ احتماليةِ أن يكونَ من صفاتِ اللَّه في الإسلامِ صفةُ «السلام» قائلاً: «ومن أسمائه أيضًا السلام. . وهذه الصفةُ لم تَرد إلاَّ في الآية ٢٣ من سورة الحشر، ومعناها شديدُ الغموض، ونكادُ نقطعُ بأنها لا تَعني «السِّلْم»، ويرىٰ المفسِّرون أن معناها «السلامة» أي البراءةَ من النقائصِ والعيوب، وهو تفسيرٌ محتمِل، وقد تكونُ هذه الصفةُ كلمةً بَقِيَتْ في ذاكرةِ محمد من العباراتِ التي تُتلىٰ في صلوات النصارىٰ»[2] .

---

(١) مونتغميري واط، «تأثير الإسلام علىٰ أوروبا في القرون الوسطىٰ»، موسكو ١٩٧٦م، (ص٩٩-٣٠١).

(٢) «محاولات استشراقية لإرجاع مفاهيم إسلامية إلىٰ أصول في الديانات السابقة»، فؤاد كاظم المقدادي، من كتاب «الإسلام وشبهات المستشرقين»، مطبوعات البلاغ، ١٩٩٦م، (ص١١٦).

فصفةُ «السلام» شديدة الغموض (!) ولا يمكنُ أن تَعني «السِّلم»، ولا نَدري مصدرَ هذا القطعِ والتأكيد؟ .

أخيراً فليس من الممكنِ أن يهتديَ نبيُّ الرحمةِ محمدٌ ﷺ إلىٰ هذا المعنىٰ إلاَّ إذا وَصَله من النصارىٰ ـ كما يقول ـ.

إن التصوُّر النمطيَّ المشوَّة عن الإسلام، لم يَتشكَّلْ بسببِ ضَعفِ معرفةِ الأوروبيين بهذا الدين وحَسب، حيث يُشيرُ الدارسون «لتصوُّراتِ القرونِ القرونِ الوسطىٰ عن الإسلام» إلىٰ ثلاثةِ مكوِّناتٍ «عناصر بنيوية»، أَسهمت في تشكيلِ هذه القوالبِ النمطية، دون أن تتعارضَ فيما بينها، بل إنها تعايَشَت وتداخَلَت من التأثر والتأثير، وهو المكونات: الميثولوجية، اللاهوتية، والعقلانية[1] .

إن الصورةُ المشوَّهةُ عن الإسلام في الغرب لم تكن بسببِ جَهلِ أوروبا به، ولكنها في الواقعِ نتيجةُ معرفةٍ حقيقيةٍ بالإسلامِ غُلِّفتِ بالحقدِ والخوفِ من تنامي تأثيرِهذا الدينِ علىٰ أوروبا نفسِها وعلىٰ العالمِ أجمع .

* الصورةُ النمطية عن نبي الإسلام :

أما الصورةُ النمطيةُ عن نبيِّ الإسلام، فقد تَكوَّنت طُوالَ أكثرَ من ألفِ عام، وتَشكَّلَ معظَمها من خرافاتٍ وأكاذيبَ لا تَمُتُّ للحقيقةِ بصِلَةٍ، ولكنها تراكمت تاريخيًّا لتُكوِّنَ صورةً قاتمةً وظالمةً عن خَيرِ خلق اللّه ﷺ .

---

(١) «تطور تصورات الفكر الاجتماعي لأوروبا الغربية في القرون الوسطىٰ حول الإسلام» (القرن الحادي عشر ـ القرن الرابع عشر للميلاد)، م. أ. باتونسكي، مجلة شعوب آسيا وإفريقيا، العدد ٤، لعام ١٩٧١م، (ص٧٠١) بالروسية .

□ ومِن أسوإِ مَن كتَبَ عن النبيِّ ﷺ مِن مشاهير الفِكرِ الأوروبي «دانتي»، ولِمَن لا يَعرفُ مَن هو «دانتي» فهو «دانتي» أليجييري» (١٣٢١ - ١٢٦٥) أعظمُ شعراءِ إيطاليا قاطبةً من وجهةِ نظرِ الغرب، ومِن مشاهيرِ الأدبِ العالمي، خَلَّدَ اسمَه بملحمتِه الشعرية «الكوميديا الإلهية»، التي وَصف فيها طَبقاتِ الجَحيمِ والمُطهِّرَ والفردوسَ في رحلةٍ خياليةٍ ذهنية قام بها بقيادةِ «فيرجيليوس» وحبيبته «بياتريس»، تُرجمت الكوميديا إلىٰ كثيرٍ من لُغاتِ العالَم مراتٍ عديدةً في كلِّ لغة، مثلاً إلىٰ الإنجليزية أكثرَ من ٧٥ ترجمةً جزئيةً وكاملةً، وإلىٰ الفرنسيةِ أكثرَ من ٢٢ ترجمة، والعددُ نفسه إلىٰ الألمانية، وتُرجمت ٤ مرات إلىٰ اللاتينية، وإلىٰ أكثرَ مِن لهجةٍ من لهجاتِ إيطاليا المحلية، وفي القرن التاسعَ عَشَرَ وحدَه بَلَغ متوسِّطُ طَبَعاتِ مؤلَّفات «دانتي» كاملةً وجزئيةً والمقالاتُ والبحوثُ في الدوريات المختلفةُ أكثرَ من ٢٠٠ في العام في إيطاليا والأراضي الناطقةِ بالإيطالية[١].

□ أما ما كتبه عن خَيرِ خلقِ اللَّه، فهو مِن أسوإِ ما كُتب عن النبي ﷺ، فقد وَضع نبيَّ اللَّه ﷺ، ومعه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، في الخندق التاسع من الحَلقةِ الثامنة في «الكوميديا الإلهية» كما أسماها، وهذا الجزءُ من الجحيم، كما يدَّعي «دانتي» قد تمَّ تخصيصُه لِمُثيري الصدامات والانشقاقاتِ الدينيةِ والسياسيةِ و«مَن يَـزرعون الفتنَ فَيحصدون الأوزار».

(١) «الكوميديا الإلهية» لدانتي، ترجمة ومقدمة حسن عثمان (ص٧٣ - ٧٧) - دار المعارف بمصر.

❑ يصفُ الدكتور «إدوارد سعيد» في كتابه عن الاستشراق ما كتبه «دانتي» ـ ونعتذر أننا نوردُه هنا بنصِّه قائلاً: «يرسمُ «دانتي» صورةً لـ «موميتو» أي «محمد» تُجسِّدُ تركيبًا سُلاليًّا متصلِّبًا من الشرور، مع مَن يُسمِّيهم «ناشري الفضيحة والفتنة»، وعقابَ محمدٍ ـ وهو أيضًا مصيرُه الأبدي ـ عقابًا مثيرًا للاشمئزازِ من نَمَطٍ فريد، فهو يبدأُ بقَطعِه إلىٰ نِصفَين من ذَقنِه إلىٰ دُبُرِه، مِثلَ برميلٍ تمزَّق أضلاعُه ـ كما يقول دانتي ـ ولا يوفِّرُ شِعرُ «دانتي» علىٰ القارئ عند هذه النقطة أيًّا من تفاصيلِ يومِ الحشرِ التي تؤدِّي إليها عقوبةٌ فظيعةٌ كهذه، فأمعاءُ محمدٍ وبِرازُه يوصَفان بدقةٍ لا تنتهي.

❑ يَشرحُ محمدٌ مسبِّباتِ عقابِه لـ «دانتي»، مشيرًا كذلك إلىٰ عليٍّ الذي يُقدِّمُه في صَفِّ الآثمين الذين يَشُقُّهم الشيطانُ الحارسُ إلىٰ نِصفين، كما يَطلبُ محمدٌ من «دانتي» أن يُحذِّرَ رجلاً اسمُه «دوليشينو»، وهو رجلُ دينٍ من الشيس مُرتدٌّ دعا أصحابه إلىٰ المشاركةِ الجماعية في النساءِ والممتلكات، واتُّهم بأنه كانت له خليلةٌ، مما ينتظرُه من عذاب».

لابدَّ أن القارئَ قد أدرك الآن ـ كما يقول إدوارد سعيد ـ أن «دانتي» رأىٰ تطابقًا بين الشهوانيةِ المُقرِفةِ لدىٰ محمدٍ ودوليشينو، وبين ادعائهما مكانةً دينيةً بارزةً كذلك، وبناءً علىٰ ما تقدَّم تُشكِّلُ تمييزاتُ «دانتي» وإدراكُه للإسلام مَثَلاً علىٰ الحتميةِ الخططيةِ بل الكونية (كوزمولوجية) تقريبًا، التي يُصبحُ بها الإسلامُ وممثِّلوه المَعنيون مخلوقاتٍ أنتجَهَا الفَهمُ الغربيُّ الجغرافيُّ والتاريخيُّ، وفوقَ كلِّ شيءٍ الأخلاقي، وهي رؤيا لا تَقتصرُ بأيِّ حالٍ علىٰ الباحث المحترف، بل إنها مِلكٌ مشتركٌ لكلِّ مَن فكَّر

بالشرق في الغرب».

انتَشرت منذ ذلك الوقتِ القَصصُ الأسطوريةُ المختلقةُ التي تتعمَّدُ إهانةَ النبي، أو التشكيكِ في نبوتِه أو دعوتِه، أو استحقاقه للاحترامِ والتقدير، وقد نُشرت على نطاقٍ واسعٍ في أوروبا الحكايةُ الأسطوريةُ القائلةُ: إن محمداً قد دَرَّب الحمامةَ لتنقُرَ حُبوبَ القمح من أُذنه، وبذلك أَقنع العَرَبَ، أن تلك الحمامةَ هي رسولُ الروحِ القدس، الذي كان يُبلِّغُه الوحيَ الإلهيَّ، وعُمِّمت هذه الحكاية المُختَلَقَةُ إلى درجةِ أن الشاعرَ الإنجليزي «جون ليدهيت» ـ وهو من شُعراءِ القرنِ الخامسَ عَشَرَ ـ عندما وَضع سيرةً لحياةِ محمد، سمَّى لون تلك الحمامة «حليبًا ـ أبيض»[١].

كما رَدَّد هذه القصةَ المُضحكةَ مؤرِّخون أوروبيون.. بل إننا نقرأُ عن شكسبير ذاته في «هندي الرابع، الفصل الأول، المشهد الثاني» كيف أن المَلِكَ «كارل الثاني» يَتوجَّهُ إلى «جان دارك» صارخًا: «ألم تُلهِمِ الحمامةُ محمداً؟.. أما أنت فإن النَّسرَ ربما ألهمك!».

كما كانت الصورُ النمطيةُ تؤكِّدُ أن الإسلامَ دينٌ يدعو إلى الشهوانية، وأن نبيَّه يجتذبُ الناسَ إلى دعوته من خلالِ ذلك، وجرى التركيزُ على وصفِ أن الإسلام هو دينُ البسطاء ومتوسِّطي الذكاء، وهو وصفٌ لا يزالُ يتكررُ في أدبياتِ الغربِ المعاصرة، فمثلاً يؤكد «توما الأكويني» المزاعمَ القائلةَ: إن محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته، مِن خلال تشجيعِه إياهم على الحصولِ على الملذَّاتِ والشهواتِ الحِسِّية، وعن طريقِ

---

(١) «الإسلام والمسيحية» ـ دكتور أليسكي (ص٧٥).

الوعودِ التي قَطَعها لهم ضِمنَ هذا التوجُّهِ الغرائزي، يتابعُ «الأكويني» السَّيرَ في هذا المَنْحَىٰ المتحيِّز، مؤكِّدًا أن محمدًا أَسَّس قواعدَه وأحكامَه التشريعية، التي تتناسبُ مع قدراتِ وإمكاناتِ العقلِ والمتوسِطِ وحسب(١) .

فهكذا كان يُقدَّم الإسلامُ لأبناء أوروبا في القرونِ الوسطىٰ، وتَشكَّلت مِن جَرَّاءِ ذلك الصورُ النمطيةُ التي لا تَزالُ عالقةً في الفكر الأوروبي.

إن الصورةَ النمطيةَ عن نبيِّ الإسلام في الغربِ هي صورةٌ بشعةٌ وليست إيجابيةً؛ رَغمَ ما يُنشَرُ في العالَم الغربي مؤخَّرًا من أقوالِ بعضِ المُنصفين التي تُصوَّرُ وكأنها تُمثِّلُ إجماعًا غربيًّا حول الموقف من الرسول، هناك اختلافٌ حقيقيٌّ في الرؤيةِ حولَ الرسولِ صلوات اللّٰه وسلامه عليه بين العالَم الإسلامي وبين شعوب الغرب.

إن الرسومَ المسيئةَ عن نبيِّ الإسلام التي نُشرت في الدانمرك في بداية عام ٢٠٠٦م، وقُوبلت بالغضبِ الشديد في العالَم الإسلامي، أظهَرت هذا الاختلافَ الشديد في الرؤية.

إن الشعوبَ الغربيةَ لم تتفهَّمْ سببَ انفعالِ المسلمين لهذه الدرجة؛ ليس لانعدامِ حساسيةِ تلك الشعوبِ تُجاه العالَمِ الإسلاميِّ ومشاعرِ الغضب التي اشتَعلت فيه، وإنما بسبب عدمِ حساسيتهم للهجومِ علىٰ النبيِّ ﷺ، والذي تقبَّلته عقولُهم ونفوسُهم دون أيِّ حساسيةٍ عاطفيةٍ بسببِ تراكمِ الصورِ السلبيةِ عن النبيِّ في نفوسهم.

---

(١) «الاستشراق» لإدوارد سعيد ترجمة كمال أوديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت (ص٩٦ـ٩٨).

إنها حقيقةٌ مؤلمة، ولكن لم يتمَّ إطلاحُ وتغييرُ الواقعِ الحالي إلاَّ عندما نُدركُ هذه الحقيقة، ونحاولُ أن نعالجَها بدلاً من إلقاءِ اللَّوم على الآخرين.

*** مَن يُهاجمُ نبيَّ الأمة:**

هناك أربعُ فئاتٍ رئيسةٍ في العالَم الغربيِّ تُهاجمُ نبيَّ الإسلامِ بشكلٍ متواصلٍ ومُنظَّمٍ طُوالَ الأعوامِ الأخيرة، إنهم رموزُ عددٍ من الكنائس الأوروبية والأمريكية الكبرى، والقادةُ السياسيون في الكثير من دولِ أوروبا الغربية وأمريكيا الشمالية، والعديدُ من وسائل الإعلام الغربية (صحافة - تلفاز - سينما - كتب - إعلام إلكتروني - إلخ)، وأخيراً الرموزُ الفكرية للتيارات العلمانية.

إذا نظرنا إلى هذه الفئات، نجدُ أنها تُمثِّلُ بمجموعِها نسبةً غالبةً من الحِراكِ الفكريِّ والسياسيِّ في العالم الغربي، أي أننا يمكنُنا القولُ بالإجمال: إن تيارَ الهجومِ على نبيِّ الإسلام هو التيارُ الغالبُ في الحياةِ الفكريةِ الغربيةِ في عالَم اليوم، لا يعني هذا عدمَ وجودِ مُنصِفين أو حتى متعاطِفين مع رسالةِ خيرِ خلق اللَّه، ولكنهم في النهايةِ لا يُشكِّلون كمًّا عدديًّا ملحوظًا، أو قوةً فكريةً مؤثِّرةً، أو كِيانًا ضاغطًا يَسمحُ بترشيدِ الرؤيةِ الغربيةِ في التعاملِ مع الإسلام، والعلاقةِ مع نبيِّ اللَّه ﷺ.

وسنتناولُ بشيءٍ من التفصيل في الفقراتِ القادمةِ موقفَ كلِّ فئةٍ من هذه الفئاتِ من نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وأسبابَ ذلك الموقف، وأهمَّ مظاهرِه التاريخيةِ والمعاصرة.

* مَظاهِرُ العَداءِ الديني:

إنَّ مِن العَجيب في الكنائس الأوروبية والأمريكية أن تَجِدَ هذا الهَوَسَ والوَلَعَ التاريخيَّ والمتجدِّدَ بالهجومِ على نبيِّ الإسلام إلى درجةٍ أن تَجِدَ في العديدِ من الكنائسِ الأوروبيةِ المعروفةِ رسوماتٍ ولوحاتٍ على أَسقُفِ هذه الكنائس، وتماثيلَ في أَفْنِيَتِها تَهزأُ من رسولِ اللَّه ﷺ، أو تُصوِّره وكأنه يُعذَّبُ في نار جهنم، أو ما شابَهَ ذلك!! وفي بحثٍ إعلاميٍّ حولَ هذه الموضوع، وَجَدنا العديدَ من تلك النماذجِ المُقزِّزةِ والمُلفتةِ للنظر أيضًا.

إن التساؤلَ الذي يَطرحُ نفسه هنا هو: لماذا يهتمُّ دينٌ ما بالهجومِ الشرسِ على نبيِّ دينٍ آخَرَ إلى درجةٍ أن يُصوِّرَه وهو يُعذَّبُ في جهنم - كما يدَّعون - في لوحاتٍ فنيةٍ تُزيِّنُ بها أسقُفُ الكنائس والأديرة؟! إن هذه الظاهرةَ تَنفردُ بها المسيحيةُ الأوروبيةُ والأمريكيةُ عن غيرِها من ديانات العالم - كما نظن -، فلم يُعرفْ في الإسلامِ مثلاً أدنى اهتمامٍ أو وَلَعٍ بالهجوم على رموزِ أيةِ أديانٍ أخرى إلى الدرجةِ التي تَجعلُنا نهتمُّ بتصويرِ ذلك من خلال الفنون، وأن نحتفيَ به في المساجدِ أو أماكنِ العبادة، ولا يَنتشرُ ذلك أيضًا في الديانات الشرقيةِ بالعموم، وحتى بين الدياناتِ غيرِ السماويةِ التي يَعتنقُها الكثيرون في آسيا وشِبْهِ القارة الهندية.

لا شك أن هناك عَداءً متوارَثًا بين الكثير من الأديان، وهناك تنافُسٌ أيضًا على التأثير الفكريِّ والدينيِّ والثقافيِّ العالمي، ولكنَّ أوروبا تُمثِّلُ ظاهرةً فريدةً وجديرةً بالفهم والتأمل في علاقتِها بالإسلام، وبشكلٍ أكثَرَ تحديدًا نبيِّ الإسلام صلوات اللَّه وسلامه عليه.

□ ومن الأمثلةِ المُخزية فِي هذا الشأن، لوحةٌ توجدُ بكنيسةِ «سن بيترونيو» بمدينةِ «بولونيا» في وسط إيطاليا San Petronio basilica in Bologna، وهي عبارةٌ عن رَسمٍ لشخصٍ عارٍ مُمدَّدٍ أرضًا وهو يُعذَّبُ في جهنمَ بشكلٍ بَشع، وقد كُتب على جانبها بحروفٍ واضحةٍ اسمُ النبيِّ صلوات اللَّه وسلامهُ عليه، الرسمُ يرجعُ إلى عام ١٤١٥م، وقام به رسَّامٌ معروف في ذلك الوقت، وهو «جيوفاني دو مودينا».

□ وتوقيرًا لرسولِ اللَّه فقد آثَرْنا عَدَمَ وَضْعِ نُسخةٍ مصوَّرةٍ من هذه اللوحةِ ضِمنَ هذا الكتاب ـ رغم أننا حَصَلنا عليها للتأكيد من دقةِ الوصفِ ولتوثيقِ المعلوماتِ الواردةِ في هذا الكتاب ـ، حيث إن تلك الصورَ المُشينةَ والمُخزيةَ لشخصِ خيرِ خلقِ اللَّه ﷺ منشورةٌ في أكثرَ منِ رابطٍ إليكتروني، ونُوصي بعدمِ الاطلاعِ عليها توقيرًا لرسول اللَّه ﷺ كما قلنا.

□ الغريبُ بالنسبة لهذه اللوحةِ هو رَفضُ الكنيسةِ الكاثوليكية المتكرِّرُ لطَمْسِها، أو حَجْبِها، أو حتى تَغطيتِها حِرصًا على مشاعرِ العالَمِ الإسلامي، رَغمَ النداءاتِ المتكرِّرةِ من مسلمي أوروبا للفاتيكان بذلك، كما أن الشرطةَ الإيطالية قد أَعلنت في العام الماضي أنها أحبطت محاولةً من مُسلَّحين إسلاميين ـ كما ذكرت الشرطة ـ حاولوا التخطيطَ لاقتحامِ الكنيسةِ للتعبيرِ عن امتعاضِهم من بقاءِ هذه اللوحةِ معروضةً بسبب ما تُمثِّله من إهانةٍ لا تَقبلُ التفسير، خاصةً لمن يدَّعون الرغبةَ في التسامحِ والحوارِ واحترامِ مشاعرِ الآخرين!

□ إننا بالتأكيد لا نُقِرُّ استخدامَ العُنفِ لحلِّ مثلِ هذه القضايا، ولذلك نرى أن على الفاتيكان وعلى قادةِ كنائسِ أوروبا وأمريكا تحديدًا أن يكونوا

أكثرَ حساسيةً ولياقةً في التعامل مع هذه التراكمات التاريخية غيرِ المُشرِّفة، والتي تَعكسُ نظرةَ الكنيسة في فترةٍ ما للعالَم الإسلاميِّ ورموزِه الدينية، إن الإصرارَ على الإبقاءِ على هذه الرسوماتِ والتماثيل الموجودةِ في العديدِ من الكنائسِ الأوروبيةِ يُمثِّلُ وصمةَ عارٍ على جَبينِ مَن يُنادُون باحترامِ الأديان السماوية.

❑ من الأمثلة الأخرى في هذا الشأن تمثالٌ يوجدُ في محرابِ أحدِ الكنائس المهمة، وهي كنيسة «سيدتنا العزيزة» Church of Our Dear Lady في مدينة «ديندرموند» في بلجيكا.. التمثالُ منحوتٌ من الخشب في القرن السابع عشر بواسطةِ النحَّات الأوروبي «ماثيويس فان بيفرن»، ويَظهرُ في أسفله صورةُ رسول اللَّه ملقًى على الأرض على وجهِه وهو يحتضنُ القرآن، وتدوسُه أقدامُ ملائكةٍ يُعبِّرون عن هزيمةِ وانكسارِ النبيِّ، وعن انتصارِ المسيحية على الإسلام.

إن تاريخَ العَداءِ ضدَّ نبيِّ الإسلامِ قديمٌ قِدَمَ الاهتمامِ المسيحيِّ الأوروبي بالإسلام، ففي الخُطبةِ الشهيرةِ في مَجمع «كليرمون» في فرنسا، طالب البابا «أوروباتس الثاني» في عام ١٠٩٥م الملوكَ والحُكَّامَ الأوروبيين باستعادةِ «أراضينا» المقدسةِ من «قبيـلة الفرس ـ الأتراك»، التي تَخـدمُ القوى الشيطانيةَ ـ على حد قوله ـ، وقد وَعَدهم البابا بأن يَحصُلوا من هذه الحملات الصليبيةِ المقدسةِ ليس على الخيراتِ المادية فقط مِن الأرض التي تَفيضُ لبنًا وعسلاً ـ كما جـاء في التوارة ـ، وإنما أن يُصبحوا على طريقِ الجسد المقدس، أي على طريقِ الحُجَّاج السائرين إلى القدس، وبذلك يُخدُمون الربَّ في الصراع مع «الكفار»، الذين يمنعون المسيحيين من القيام

بالحجِّ إلىٰ الأراضي المقدسة[1] .

* **رموز العَداء الديني للنبي ﷺ :**

نورد فيما يلي بَعضَ الشخصياتِ الأمريكيةِ والأوروبيةِ المعاصِرةِ التي عُرفت خلال الأعوام الماضية بعَدائها للنبي ﷺ، ومجاهرتِها بذلك إعلاميًّا وفكريًّا .

* **جيري فالويل :**

وهو قسيسٌ إنجيليٌّ معروف، ويُقيمُ في مدينة «لينشبرج» في منطقة «فيرجينيا» بالولايات المتحدة الأمريكية، وله برنامجٌ أسبوعيٌّ إذاعيٌّ وتلفزيونيٌّ يَصِلُ إلىٰ أكثَرَ من ١٠ مليون منزلٍ أسبوعيًّا، ويَملِكُ كذلك جامعةً خاصةً أصوليةً تُسمَّىٰ «جامعة الحرية»، ويهاجمُ النبيَّ ﷺ من خلالِ وسائلِ الإعلام الأمريكية الكبرىٰ، إضافةً إلىٰ موقعه الخاصِ علىٰ الإنترنت www. falwell. com والذي يَضَعُ في صفحتِه الأولىٰ تأريخًا زائفًا عن النبيِّ ﷺ . كما أنه يُروِّجُ من خلال موقعه كتاب «فلنتقدم إلىٰ معركةَ هرمجدون March to Armageddon» وهي معركةُ نهايةِ التاريخ كما في معتقدات الإنجيليين .

ومِن ضمنِ مواقِفه المُعلَنَةِ في الهجومِ علىٰ النبيِّ ما قاله علىٰ شَبَكاتِ التلفازِ الأمريكية وهو ما نصه : «أنا أعتقدُ أن محمداً كان إرهابيًّا، لقد قرأتُ ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه كان رجلَ عُنفٍ، ورجلَ حُروب» .

* **بات روبرتسون :**

قسيسٌ إنجيليٌّ معروفٌ باهتماماتِه السياسيةِ وتأييدِه المطلَق لإسرائيل،

---

(١) «الإسلام والمسيحية» (ص٣٤).

ويمتلكُ عدداً من المؤسَّساتِ الإعلاميةِ ـ من بينها نادي الـ ٧٠٠ ـ، وهو برنامجٌ تلفزيونيٌّ يَصِلُ إلىٰ عشراتِ الملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافةً إلىٰ محطةٍ فضائية تَصِلُ إلىٰ ٩٠ دولةً في العالم بأكثرَ من ٥٠ لغةً مختلفةً، وهي محطةُ «البث النصراني Christian Broadcasting»، ومنها إذاعةُ الشرق الأوسط المتخصِّصة في التنصير في منطقة العالم العربي.

كما سَعىٰ «بات روبرتسون» إلىٰ الترشيحِ لمنصبِ الرئيس الأمريكي في عام ١٩٨٨م، ويقفُ خَلْفَ إنشاءِ أقوىٰ تحالُفٍ سياسيٍّ دينيٍّ في الحزبِ الجمهوري، وهو «التحالف النصراني، وموقعُه الإليكتروني هو www.patrobertson. com، ويَملِكُ أيضًا جامعةً أصوليةً، وهي جامعة «ريجنت».

في هجومهِ علىٰ النبيِّ ﷺ قال التالي: «كلُّ ما عليك هو فقط أن تقرأَ ما كَتَبه محمدٌ في القرآن، إنه كان يدعو قومَه إلىٰ قَتلِ المشركين.. إنه رجلٌ متعصِّبٌ إلىٰ أقصىٰ درجة.. إنه كان لصًّا وقاطعَ طريق».. «إن ما يدعو إليه هذا الرجلُ [محمدٌ] في رأيي الشخصيِّ ليس إلاَّ خديعةً وحِيلةً ضخمة.. إن ٨٠٪ من القرآن نُقل من النصوص النصرانية واليهودية، ولقد ذُكر موسىٰ أكثر من ٥٠٠ مرةً في القرآن، أن أقول: إن هذا القرآنَ ما هو إلاَّ سرقةٌ من المعتقَدات اليهودية.. ثم استدار محمدٌ بعد ذلك ليقتلَ اليهود والنصارىٰ في المدينة، أنا أقصد أن هذا الرجلَ [محمدًا] كان قاتلاً [سافكًا للدماء]».

* **فرانكين جراهام:**

هو ابنُ القسيس الأمريكي المعروف «بيلي جراهام» ويَعيشُ في أحدِ القرىٰ حولَ مدينة «شارلوت» في ولاية «نورث كارولينا»، وقد عَمِل والدُه

قسيسًا خاصًّا للرؤساء الأمريكيين منذ عهدِ «ريتشارد نيكسون»، وحتىٰ الرئيسِ الأمريكي السابقِ «بيل كلينتون».

يتولَّىٰ ابنُه «فرانكلين جراهام» الآن نفسَ المهمة بعد تقاعدِ الأب، وقام بالمراسمِ الدينيةِ لتنصيبِ الرئيسِ الأمريكي الحالي «جورج بوش»، إضافةً إلىٰ تولِّيه كافةَ مسؤولياتِ الكنيسةِ التي أنشأها أبوه، والتي تُعدُّ من أكبرِ الكنائس الأمريكية عددًا وتأثيرًا، وقامت خلالَ السنوات الماضية بأكثرَ من ٤٥٠ حَملةَ تنصيرٍ في مختلفِ بقاعِ العالم.

يقوم «فرانكلين جراهام» حاليًا بنفسِ الدَّور من خلال هذه الكنيسة التي تَصِلُ بحملاتها إلىٰ الملايين في كلِّ عام، وموقعُه علىٰ الإنترنت هو www. samaritan. org ، وهو الموقعُ الخاصُّ بالمؤسسةِ الإغاثيةِ له، إضافةً إلىٰ موقعِ أبيه المعروف www. billygraham.org ، والموقعُ يَشملُ معلوماتٍ بستٍّ لغات، وموقعٌ خاصٌّ للشباب، إضافةً إلىٰ مجلةٍ أسبوعية.

أما «فرانكلين جراهام»، فإنه هو الذي أدلَىٰ الأدعيةَ الافتتاحيةَ في حَفلِ تنصيب الرئيس الأمريكي الحالي، وقد أدلىٰ بتصريحاتٍ إعلاميةٍ ذَكَر فيها أن الإرهابَ جزءٌ من «التيار العام» للإسلام، وأن القرآنَ «يحضُّ علىٰ العنف».

❏ وقد صَدَر كتابٌ جديد لفرانكلين جراهام يسمىٰ «الاسم The Name»، يحتوي علىٰ نصوصٍ مسيئةٍ بوضوحٍ للديانة الإسلامية، ومنها ما يلي: «الإسلام.. أُسِّس بواسطةِ مجردِ فردٍ بشريٍّ مقاتلٍ يُسمَّىٰ محمدًا، وفي تعاليمه ترىٰ تكتيك «نشر الإسلام من خلال التوسع العسكري»، ومن خلالِ العنفِ إذا كان ضروريًّا، من الواضحِ أن هَدَفَ الإسلام النهائيَّ هو

السيطرةُ علىٰ العالم».

☐ في الصفحة رقم ٧٢ يذكرُ الكتابُ: «يحتوي القرآنُ علىٰ قَصصٍ أُخذت وحُرِّفت عن العهدَين القديم والجديد.. لم يكن للقرآنِ التأثيرُ الواسعُ علىٰ الثقافتين الغربيةِ والمتحضرةِ الذي كان للإنجيل، الاختلافُ رقم واحد بين الإسلامِ والمسيحية أن إلهَ الإسلام ليس إلهَ الديانة المسيحية».

*** جيري فاينز:**

وهو راعي كنيسةٍ في «جاكسون فيل فلوريدا»، يصلُ عددُ أتباعها إلىٰ ٢٥ ألف شخص، وهو من أبرزِ المتحدِّثين الأمريكيين في المؤتمر السنويِّ للكنائس المَعْمَدانيةِ الجنوبية، وهو أكبرُ مؤتمرٍ دينيٍّ يُعقد في كلِّ عام.

قام الرئيسُ الحالي والرئيس السابق بمَدحِ هذا القسيسِ، واعتبارِه من المتحدِّثين بصِدقٍ عن دينهم، وموقعُه علىٰ الشبكة هو www. fbcjax. com.

أصدر هذا الرجلُ تصريحاتٍ مليئةً بالكراهيةِ والعَداءِ للإسلام خلالَ الاجتماعِ السنويِّ للكنيسةِ المَعْمَدانيةِ الجنوبية، والذي عُقد عام ٢٠٠١م في مدينة «سانت لويس» بولايةِ «ميسوري» الأمريكية.

وخلالَ الاجتماع افترىٰ «جيري فاينز» - الرئيس السابق للمؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية - علىٰ الرسولِ محمدٍ ﷺ، واتَّهمه بأنه «شاذٌّ يَميلُ للأطفال ويتملَّكُه الشيطان، وتزوَّج من ١٢ زوجةً آخرُهن طفلةٌ عمرُها تسعُ سنوات».

لقد رَفَض قادةُ الكنيسةِ المَعمَدانيةِ الجنوبيةِ إدانةَ تصريحاتِ «فاينز»، وأعلنوا تأييدَهم لفاينز وتصريحاتِه، وقد قام الرئيسُ الأمريكي بمخاطبةِ الحاضرين بالمؤتمر من خلالِ الأقمار الصناعية، ولم يَصْدُرْ منه شخصيًّا أيُّ

تعليقٍ على هذه الإهاناتِ للنبيِّ ﷺ من خلالِ منصَّةِ هذا المؤتمرِ السنويِّ الذي يُعدُّ أكبَرَ المؤتمراتِ الدينيةِ الأمريكية»[1] اهـ.

* **بذاءات صليبية :**

«تَنتشرُ في الغربِ التصريحاتُ المسيئةُ للإسلام والمسلمين على لسانِ السياسيين وصُنَّاعِ القرار، فمثلاً، شَنَّ «شارلي هاغن» (رئيس الحزب التقدمي النرويجي) هجومًا على المسلمين، وشَبَّههم بالنازيين، واتَّهم أعضاءً من الحزبِ القوميِّ البريطاني في التلفزيون الفاتحين المسلمين الأوائلَ بأنهم قومٌ من «المجانين والمعتوهين»، بل إن عضوَ الكونغرس الأمريكي «جون هوكس» شبَّه عِماماتِ علماءِ المسلمين بحَفَّاضاتِ الأطفال، أما النائبُ العامُّ السابقُ للولاياتِ المتحدة «جون أشكروفت»، فقد قال طبقًا للتقارير الإعلاميةِ عقب أحداث سبتمبر : إن «الإسلامَ هو الدينُ الذي فيه يَطلُبُ منك اللَّهُ إرسالَ ابنٍ للموتِ من أجله، أما المسيحيةُ، فهي الدينُ الذي فيه يُرسِلُ اللَّهُ ابنَه فيه للموتِ من أجلك».

القائمةُ في ذلك تَطُول، وليس الهدفُ هنا جَمعَ هذه الأقاويل، أو رَصْدَها، وإنما التأكيدُ أن نماذجَها كثيرةٌ، وتَعكِسُ نوعًا من التوافق بين مختلفِ فئاتِ المجتمعِ الغربيِّ مؤخراً على الاستهزاء بالإسلام.

❑ وعلى سبيلِ المثال أيضًا احتجَّت جمعياتٌ إسلاميةٌ في إيطاليا على نَشرِ مجلة «ستودي كاثوليكي» القريبة من منظمةِ «أوبوس داي» المحافظة الكاثوليكية رسمًا يُصورِّ الرسولَ محمداً ﷺ «في الجحيم»، وكانت وكالةُ

---

(١) «لماذا يكرهونه» (ص٣٠ ـ ٤٢).

«إنسا» الإيطالية أولَ وسيلةٍ إعلاميةٍ تحدَّثت عن هذا الرسمِ، فأفادت أن مجلةَ «ستودي كاثوليكي» نَشرت في عددها لشهرِ مارس ٢٠٠٦م رسمًا يصوِّرُ الشاعرَ الإيطالي «دانتي اليغييري» والشاعر الروماني «فرجيليوس» عند أطرافِ دائرةٍ من النار ومِن حولهما شياطين، بحَسَب وصف الوكالة، يسأل «فرجيليوس» «دانتي»: «هذا الرجلُ المشطورُ إلى اثنين، أليس هو محمدًا؟» ويجيبُ «دانتي» ـ بحسب «إنسا» ـ: «أجل شُطر اثنين؛ لأنَّه زَرع الشِّقاقَ في المجتمع».

وقال مديرُ المجلة «سيزاري كافاليري» العضو في منظمة «أوبوس داي» للوكالة: «إن الرسمَ الساخرَ غيرَ اللائق سياسيًّا يُجدي نفعًا من وقتٍ لآخر، وهذا ليس سوى تصويرٍ لمقطعٍ من «الكوميديا الإلهية» للشاعر دانتي».

وعَقِبَ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، كانت هناك مناقشةٌ جادةٌ في «الزاوية» ـ وهي دائرة في النسخة الإلكترونية من مجلة National Review، إحدى مجلاتِ الرأي الأمريكية الرئيسة ـ حولَ جدوى إسقاطِ القنابلِ النووية على مدنٍ إسلاميةٍ وعربيةٍ معينة، والمدنُ الرئيسة التي تم اقتراحُها للتدمير النووي هي «طهران، وبغداد، ودمشق»، كما تم أيضًا ذِكْرُ «رام اللَّه، وغزة» كهدفين محتمِلين في حالِ امتلكتْ الولاياتُ المتحدةُ قنابلَ «نظيفة» بشكلٍ لا يُحدِثُ دمارًا في المنطقة المجاورة، وجَرَت مناقشة بين محرِّري National Review حول ما إذا كان يجبُ تدميرُ مكةَ نفسها![1].

---

(١) مقال «البابا والتاريخ والعوالم الجديدة والإسلام» للدكتور رضوان السيد ـ موقع «إسلام أون لاين» ١٧ من سبتمبر سنة ٢٠٠٦م.

وهنا مرةً أخرىٰ يتَّضحُ أن الهجومَ علىٰ الإسلام ليس فقط عملاً يقوم به بعضُ المتدينين غَيرةً علىٰ دينهم، أو بعضُ الساسةِ وصُنَّاعِ القرارِ من أجلِ مصالحهم، ولكنه أصبح سَمْتًا عامًا مقبولاً في المجتمعِ الغربي، وهذا مع تُعبِّرُ عنه الكثيرُ من التصريحاتِ الإعلاميةِ التي لو ذُكرت في حقِّ دينٍ آخَرَ لقَامت الدنيا ولم تَقعدُ![1].

*** وكِلابُ العلمانيِّين الغربيِّين:**

لقد اختارت العلمانيةُ الأوروبيةُ أن تَجعلَ الاستهزاءَ من الإسلامِ ومن نبيِّه ﷺ أحدَ أهمِّ وسائلِ تعبيرِ هذا التيارِ عن نزعتِه المعاديةِ للدين والتدين، لذلك قام هؤلاء المفكِّرون الذين يُشار إليهم بـ «رموزِ التنوير» باتهام الإسلام بالرجعيةِ والتخلفِ ومعاداتِه للتقدُّمِ في المجالات الفكرية والاجتماعية والثقافية، وأصبحت هذا الفكرةُ منذ نهاياتِ القرنِ الثامنَ عَشَرَ الميلادي تُمثِّلُ الفكرةَ السائدةَ والقالَبَ النمطيَّ عن الإسلام بين أنصارِ الفكر العلماني.

*** «ليفي ستراوس» العلماني القبيح:**

فهذا مثلاً المفكِّرُ المعروفُ «ليفي ستراوس» يناقشُ الإسلامَ بُروحٍ تحملُ عَداءً ظاهرًا، وتفتقدُ أيضًا لأبسطِ قواعدِ الإنصافِ البحثي والعلمي، إنه «يبدأ تأمُّلاً طويلاً لروح الإسلام ناقصًا في معلوماتِه معاديًا ومتحيزًا بشكلٍ واضح، لكنَّ هذا التأمُّلَ يَبقىٰ حَدْسيًّا وعميقًا بشكلٍ مذهل، لقد قام الإسلامُ علىٰ النفي؛ نفيِ المرأةِ خارجَ جماعةِ الرجال، ونفيِ غير المؤمنِ

---

(١) المصدر السابق.

خارجَ جماعةِ المؤمنين، ولذا فإن التسامُحَ المعروفَ عند المسلمين إنما هو (انتصارٌ مستمرٌّ على ذاتهم)، هو في نهايةِ المطاف تسامُحٌ كاذب، الإسلامُ مُحيِّرٌ لذاتيةِ الفردِ المسلمِ مع أنه يُطَوِّرُ القُدرةَ على العمل، إن الأُخوةَ الإسلاميةَ لَبِنَةَ الجماعة، هي فقط قاعدةٌ ثقافيةٌ ودينيةٌ، أساسُها منافق؛ لأنها تُدِيمُ الامساواةَ الصارخة، الإسلامُ منعوتٌ أيضًا كدينٍ عسكري، كدينٍ (مسامح)، مِن هنا أتى الانحرافُ الجنسيُّ الذي يُميِّزه، والحديثُ عن فضائلِ الرجولةِ المرتبطةِ بالنفسِ العربيةِ، هذه الفضائلُ مِن فخرٍ وبطولةٍ وغَيرةٍ، ما هي غالبًا إلاَّ أشكالٌ من التعويضِ لشعورٍ بالنقصِ أمامَ الآخَرِ الذي هو النقيصةُ الكبرى، ورُعبُ الشخصيةِ الإسلامية.

ويقولُ عن الإسلام: إنه دينٌ كبيرٌ يقومُ على العَجزِ عن نَسجِ علاقاتٍ في الخارجِ أكثَرَ مما يقومُ على بديهيةِ وحيٍ، وقُبالةَ العطفِ العالمي للبوذية، والرغبةِ المسيحية في الحوار، يتبنى اللاتسامحُ الإسلاميُّ شكلاً لا واعيًا عند المسلمين؛ لأنهم - وإن لم يَسْعَوا دائمًا وبطريقة فجَّةٍ إلى جَذبِ الآخَرِ لتبنِّي حقيقتِهم -، فإنهم مع ذلك - وهذا أخطر - عاجزون عن تحمُّلِ وجودِ الآخَر كآخر، إن وسيلتَهم الوحيدةَ للبقاء في مأمنٍ من الشك والاحتقارِ هي في عمليةِ إلغاءِ الآخَرِ كشاهدٍ على إيمانٍ آخَرَ وسلوكٍ آخر».

☐ جاء تحت مادة «جبريل» في «موسوعةِ المعارف الإسلامية»، - وهي النِّتاجُ الفكريُّ لفريقِ الليبراليين من المستشرقين الذين أرادوا أن يُعيدوا كتابةَ تاريخِ الإسلامِ من خلال هذه الموسوعةِ بشكلٍ يمتلئُ بالاتهاماتِ الباطلةِ والظالمةِ عن الدينِ الإسلامي وعن نبيِّ الرحمة صلوات اللّه وسلامه عليه -،

يقول المستشرق «كارادي فو» في هذه الموسوعة: «وقد اصطنع النبيُّ القصةَ التي تقولُ بأَنَّ الرسولَ السماويَّ يتحدَّثُ إلى الأنبياءِ، واعتَقد أنه تلقَّى رسالتَه ووحيَه منه.. والظاهرُ أن النبيَّ عَرَفَ جبريلَ من خَبَرِ البشارةِ الواردِ في الإنجيلِ، ولكنه لم يكنْ في مَقدورِه أن يَعرفَ الإنجيلَ من غيرِ وساطة، ولعلَّه سَمعَ ذلك الخَبَرَ مِن أفواه بعضِ الفلاسفة أو الباحثين في الأديانِ، أو من أحدِ الحنيفية وقد وَصَلهم الخير مُشوَّهًا»[1] اهـ»[2].

*** لماذا كلُّ هذا البُغضِ والحِقدِ الأسودِ والكراهيةِ لسيد البشر؟ ولدينه الإسلام؟:**

عجبًا أنْ يَكرَهَ من طُمسَتْ بصيرتُهم النورَ الهاديَ إلى اللَّه، وأن يُبغضَ أناسٌ ينتسبون إلى البشر الرحمةَ في أرقِّ معانيها، وأن يَحقدَ الناسُ على مَنْ امتلأ قلبه بمحبةِ المخلوقين العابدين لربهم!! لا تَعْجَبْ فإنهم أعداءُ الحياة..

لماذا كلُّ هذا البغضِ لرسولِ اللَّه ﷺ؟!.

والإجابةُ على هذا السؤال موجودةٌ في كتاب اللَّه عز وجل لِمَن ألقى السمع وهو شهيد:

* قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

---

(١) «محاولات استشراقية لإرجاع مفاهيم إسلامية إلى أصول في الديانات السابقة» لفؤاد كاظم المقدادي، من كتاب «الإسلام وشبهات المستشرقين» (ص١١٦).

(٢) «لماذا يكرهونه» (ص٥٣-٥٥).

*** أتى بالتوحيد . . وكلٌّ منهم اتخذ إلهه هواه :**

إن المشكلة الرئيسةَ في علاقةِ الغرب فكريًّا بالعالم الإسلامي، وعَداءِ الغربِ للنبي ﷺ، هو مركزيةُ توحيدِ اللَّه تعالىٰ وعبادتِه لدىٰ المسلمين، والتي تتجسَّدُ في دعوةِ محمدٍ ﷺ، وفي دينِ الإسلام، وفي واقعِ الأُمَّة الإسلامية، بصرفِ النظر عن درجةِ تديُّنِ والتزامِ أفرادِ هذه الأمة، ينطلقُ لغربُ فكريًّا ـ وبكلِّ فِئاتِ مجتمعاتِه وكلِّ مفكريه ـ من فكرةِ مركزيةِ الإنسانِ في الكون، وأن الفردَ هو مركزُ الاهتمام الرئيس، وأنَّ تطلُّعاتِ الفردِ وحقوقَه وحرياتِه تُقدَّمُ علىٰ أيِّ أمرٍ آخر، وحتىٰ أمورِ العبادة وعلاقةِ الفرد بالإله.

إن الغربَ يَرىٰ أن محمداً ﷺ قد قَدَّم مفهومًا يمكنُ أن يَهدِمَ الفِكرَ الغربيَّ من أساسه . . وهو مركزيةُ محبةٍ وعبادةِ اللَّه تعالىٰ في حياةِ البشريةِ، مقابلَ نظرياتِ الغرب التي تقومُ علىٰ مركزيةِ الإنسان، اختار الغربُ لذلك أن يَجعلَ عَداءَ الإسلام ضِمنَ منظومةِ قِيَمِهِ الرئيسةِ؛ لأنه يتمكنُ بهذه الطريقةِ من إبقاءِ الفردِ مركزًا للكون في مواجهةِ دعوةِ محمدٍ ﷺ التي حافظت علىٰ مكانةِ الخالقِ جَلَّ وعلاَ ومركزيتِها في حياة البشر.

وحولَ ذلك تحدَّثت المؤلِّفةُ البريطانيةُ «كارين أرمسترونج» ـ صاحبة كتاب «محمد» ـ قائلةً: «علينا أن نتذكرَ أن الاتجاهَ العَدائيَّ ضدَّ الإسلام في الغرب هو جزءٌ من منظومةِ القِيَم الغربيةِ، التي بدأت في التشكُّل مع عصرِالنهضةِ والحملاتِ الصليبية، وهي بدايةُ استعادةِ الغربِ لذاتِه الخاصةِ مرةً أخرىٰ، فالقرنُ الحادي عَشَرَ كان بدايةً لأوروبا الجديدةِ، وكانت

الحملاتُ الصليبيةُ بمثابةِ أولِ ردٍّ فعلٍ جماعيٍّ تقومُ به أوروبا الجديدة».

*** بين محمد والمسيح عليهما السلام:**

تَمَحْوَرَ الفكرُ الغربيُّ حولَ شخصيةِ المسيحِ عليه السلام، وتحوَّلت شخصيةُ المسيحِ بعد تحريفِ الدينِ المسيحيِّ إلىٰ تجسيدٍ للفكرِ الغربي حولَ مركزيةِ الفردِ في الكون، فقد تحوَّل الإِلٰه في نظرِ المتدينين إلىٰ شخص.. إلهٌ في صورةِ فرد.. دَفَعَ دَمَه ثمنًا مُقدَّمًا لجميع خطاياهم القادمة، وعندما سَيطر الفكرُ النَّفْعيُّ علىٰ الشخصيةِ الغربية، أصبح التعلُّقُ بشخصِ المسيحِ يُمثِّلُ قمةَ النَّفعيةِ لِمن اختاروا التدين، فهو قد قام بدفعِ فاتورةِ خطاياهم حتىٰ قَبْلَ أن يَقعوا فيها، وأبقىٰ لهم الحياةَ لكي يُمارِسوا فيها ما شاؤوا من أفعالٍ طالَما أنَّ محبةَ المسيح ـ كفردٍ وكإلٰهٍ ـ تُسيطرُ علىٰ مشاعِرِهم، أما مَن تركوا الدينَ المسيحيَّ بأكملِه، وأصبحوا لا دينيِّين أو مُلحدين، فقد كان المسيحُ ـ بعد تحريفِ الدين ـ أيضًا مركزيًّا في مواقِفهم الفكرية.. فهو فردٌ، وبالتالي لا يمكنُ أن يَختلفَ من غيرِه من البشر، وبالتالي فليس هناك إلهٌ ـ بزعمهم ـ، كما أن المسيحَ بصورتِه التي قامت الكنيسةُ الغربيةُ بتصويرِها رحيمٌ منعزلٌ عن حياة الناس.. يَقبلُ بكلِّ معاييرِ الحياة الإنسانية، ولا يدعو إلاَّ إلىٰ الحريةِ والمساواة.. وهي أهمُّ قِيَمِ العلمانيةِ، ولا تُصادِمُ مَن تَركوا الدين، وبالتالي فلا حاجةَ إلىٰ مصادمةِ المسيح.

أما العلاقةُ مع محمدٍ، فهي علاقةٌ تصادميةٌ مع كلٍّ مِن التيارِ الدينيِّ والعلمانيِّ في الغَرب علىٰ المستوىٰ الفكري، فمحمدٌ ﷺ حَرِصَ علىٰ أن يكون فرداً.. إنسانًا بكلِّ معاني الإنسانية، ورَفَض أن يكونَ إلهًا في صورةِ

إنسان، وبالتالي فهو يناقضُ فَهْمَ المتدينين من الغربِ للإله الذي عَرفوه، وبالتالي تكوَّنت الكراهيةُ والضيقُ مِن كلِّ ما يُمثِّله محمدٌ ﷺ . . فهو ليس على شاكلةِ المسيح . . في نظرهم، هو يناقضُ أيضًا مشاعرَ ورَغَباتِ غيرِ المتدينين؛ لأنه يَطلُبُ من البشر ـ كما أَمَره خالقُه ـ بالكثير من العباداتِ والأعمالِ والالتزامات، ويُقدِّمُ حريةَ المجتمعِ على حريةِ الفرد، ويُضحِّي بالمساواةِ من أجلِ العدالة ومنِ أجلِ صلاحِ المجتمع، كلٌّ ذلك ساهَمَ في تكوينِ صورةٍ سلبيةٍ وقاسيةٍ عن نبي الإسلام.

كما عُقدت المقارنةُ بين التوسُّعِ الإسلاميِّ، ودخولِ المسلمينِ في معاركَ من أجلِ نَشرِ الدين، أو الدفاعِ عن المسلمين، مع الروحِ غيرِ القتاليةِ التي تُصوِّرُها المسيحيةُ الرومانيةُ المُحرَّفةُ عن حياةِ المسيحِ عليه السلام، فكما يَذكُرُ أحدُ الباحثين، فإنَّ «تصنيفَ الإسلام كدينِ حربٍ يَستندُ أساسًا إلى صورةِ المِثالِ المسيحي، لقد ابتَعد المسيحُ في تبشيره عن وسائلِ النجاحِ السياسية، حتى إن مَجْدَه يقومُ على خسارته، إن الكنيسةَ لم تُقِم إمبراطوريةً، لقد مَسَحت الإمبراطوريةَ القائمةَ وتَسلَّلت إليها كما الدودةُ إلى الثمرة، دون شكٍّ، إن التراثَ الدينيَّ اليهوديَّ، بعدَ «الأسر»، جَعل من التطلُّعِ إلى المسيحِ مُنقذًا هو بمثابةِ تعويضٍ عن الخسارةِ في العالم»[1].

أما الإسلامُ، فلم يَتَبَنَّ هذه الروحَ التي تَميلُ إلى الخسارة في الدنيا من أجلِ تحقيقِ المجدِ في الآخرة، وهنا أيضًا استُخدمت هذه المقارنةُ غيرُ الصحيحة للطعنِ في الإسلام، ووُصف نبي الإسلام أنه جاء بالسيف

(١) «أوربا والإسلام صدام الثقافة والحضارة» لهشام جعيط (ص٤٥) دار الطليعة بيروت.

والعنفِ والعُدوان.

◘ يروي الكاتبُ العربي «هشام جعيط» في تحليله للشخصيةِ الأوروبيةِ كيف أنها نَظرت للعالَمِ الإسلاميِّ ولدعوةِ النبيِّ ﷺ فيقول: «يَسيرُ تاريخُ الإسلام لا وِفقَ ديناميكيته الخاصة، بل كانعكاسٍ شاحبٍ ومعكوسٍ لتاريخ الغرب، لِنأخذْ مثلاً على ذلك: شخصيةُ محمد، نلاحظُ أن ضِمنَ كلِّ تحليلٍ لهذه الشخصيةِ تنسابُ عمليةُ مقارنةٍ مع المسيح، إذا كان محمدٌ غيرَ صادقٍ، فذلك لأن المسيحَ كان صادقًا؛ وإذا كان متعددَ الزوجات وشهوانيًّا، فلأن المسيحَ كان عفيفًا؛ وإذا كان محمدٌ محارِبًا وسياسيًّا، فذلك استنادًا إلى يسوعَ مسالمٍ، مغلوبٍ ومُعذَّب»(1).

* تَجذُّرُ فكرةِ النُبوَّةِ الكاذبة:

قامت الكنيسةُ الغربيةُ تحديدًا منذ بدايةِ الإسلامِ بالطعن في صِدقِ نبوةِ رسولِ اللَّه ﷺ، ولا يزالُ هذا الموقفُ هو السَّمتُ المشترَكُ لمعظمِ المفكِّرين المتديِّنين الغربيين، رغمَ أن بعضَهم قد تنازَلَ ووَصَفَ النبيَّ ببعض الصفاتِ الإيجابيةِ كقائدٍ سياسي، أو مُصلحٍ إنساني، أو إنسانٍ طموح، ولكن ليس كنبيٍّ يوحَىٰ إليه، أخطأ كثيرٌ منا في فَهمِ دلالة العبارات، والتي تَطيرُ بها وكالاتُ الأنباء العربيةُ والإسلامية، وكأنها تُمثِّلُ تحوُّلاً فكريًّا في نظرة الغرب للنبي، فكم تَغنَّينا بعبارةِ أن «العظماء مئةٌ وأعظمهم محمد»، وغيرِها من العبارات التي يكثُر تقديمُها في هذا السياق.

رأىٰ المسيحيون في شخصِ محمد - كما يَروي أحدُ المفكِّرين الغربيين -

---

(1) المصدر السابق (ص٤٠).

رجلاً مرتدًّا أو نبيًّا مزيَّفًا، لا يَملِكُ سوىٰ الادعاءاتِ والأضاليل، وفي تفسيراتِهم الأقلِّ تحفظًا صُوِّرَ محمدٌ كساحرٍ، مُعَادٍ للمسيح أو حتىٰ أنه الشيطان ذاته، وصُوِّر الإسلامُ علىٰ أنه لونٌ جديدٌ من الهرطقة (اليهودية، أو المسيحية)، أو علىٰ أنه ضربٌ جديد من الوثنية[1] .

□ كما يقول المستشرقُ «فنسنك»: «إنَّ محمداً كان قد اعتَمد علىٰ اليهود في مكَّة، فما لَبِثوا أن اتَّخذوا حيالَه خُطَّةَ عداء، فلم يكن له بُدٌّ من أن يلتمسَ غيرَهم ناصراً، هناك هداه ذكاءٌ مُسدَّدٌ إلىٰ شأنٍ جديدٍ لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يَخلُصَ من يهوديَّةِ عصرِه لِيَصِلَ حَبْلَه بيهوديَّة إبراهيم».

□ أما «مارتن لوثر» ـ مؤسس المذهب البروتستانتي ـ، فكان له رأيٌ شبيهٌ بذلك في الإسلام وفي نبيه ﷺ، ولكنه كان يَستغلُّ هذا الرأيَ في الطعنِ في الكنيسة الكاثوليكية أيضًا، يُعبِّرُ عن ذلك المفكِّرُ الغربي «إن. دانيال» قائلاً: «إن لوثر ذاتَه كان وحداً من أوائل الذين صاغوا نموذجًا جديداً كليًّا للموقف من الإسلام، مستخدِمًا إياه ـ كمنوذجٍ سلبي ـ في جِداله العنيفِ مع الكاثوليكية، حيث يقول: البابا والإسلام يُشكِّلان ـ من حيث الجوهر ـ العدوَّينِ اللدودَينِ للمسيح وللكنيسةِ المقدَّسة، ولكن إذا كان الإسلامُ يمثِّلُ جَسَدَ المسيح الدجال، فإن البابا هو رأسه».

هكذا كان «لوثر» يرىٰ الإسلام، ويصفُ النبيَّ بأنه المسيحُ الدجال، لقد كانت فترةُ ظهور البروتستانتية هي أيضًا فترةَ ازدهارٍ لمن اهتمُّوا بالهجوم

---

(١) «الإسلام والمسيحية» د. أليسكي (ص٦٠).

علىٰ الإسلام وعلىٰ نبيِّ الإسلام، وأصبح الإسلام هو السُّبَّةَ أو الإهانةَ التي يُمكنُ أن يوصَفَ بها كلُّ مخالف، وانتَشر في ذلك الوقتِ تبادُلُ هذ الاتهامِ بين كلٍّ من أنصار الكاثوليكيةِ وأنصارِ البروتستانتية.

وقد ساهَمت الرؤيةُ الفكريةُ الغربيةُ بأن نُبوَّة محمدٍ ﷺ كاذبةٌ في عقدِ مقارناتٍ ظالمةٍ مع المسيحية الرهبانيةِ، بغَرَضٍ تشويهِ صورةِ الإسلام وصورةِ نبيِّه، وهنا تتدخلُ رؤيةٌ للنفسِ المسلمةِ نابعةٌ من شروطِ تطوُّرِ فكرةِ النبوة الكاذبة، هذه الرؤيةُ مَفادُها أن سلوكَ نبيِّ الإسلام هو نَقيضُ سلوكِ القدِّيس القائمِ علىٰ قَمعِ الغرائز، وأن الإسلامَ شهوانيٌّ وماديٌّ في رُوحِه وفي مَفهومِه للجنة، وأن شرائعَه ومؤسَّساتِه لم تَفعلْ سوىٰ تطويرِ هذه الجرثومةِ القاتلةِ التي تَعيبُه من أساسه، فإذا كان مفهومُ الجَنَّةِ يُبيِّنُ أننا أمامَ دينٍ خالٍ من الروحية، محصورٍ في صورةِ اللذات المستقبلية، وتفوحُ منه رائحةُ الوثنية، فإنَّ حياة النبي بدَورها تُبرهِنُ علىٰ ضعفِ قيمتِها الأخلاقية[1] .

تَسبَّبَ الموقفُ الدينيُّ والفكريُّ الغربيُّ الذي يَدَّعي كَذِبَ نبوةِ محمدٍ ﷺ في تكوُّنِ فكرةٍ مسيحيةٍ استقرَّت في أذهانِ الكثيرِ من المفكِّرين الدينيين في الغرب، هذه الفكرةُ تتصوَّرُ أن هذه النبوةَ الكاذبةَ في ظنِّهم قد أوقَفت تطوُّرَ الإنسانيةِ باتجاه المسيحية، يقول أحدُهم: «لقد أمكن لمحمدٍ أن يُكوِّن إمبراطوريةً سياسيةً ودينيةً علىٰ حساب موسىٰ والمسيح»[2] .

بالطبع هناك أسبابٌ حقيقةٌ للتخوُّفِ من أن يُعيقَ الإسلامُ طريقَ انتشارِ

---

(١) «أوربا والإسلام» لهشام جعيط (ص١٣).

(٢) المصدر السابق (ص٧٩).

المسيحية، ويَشرحُ هذه الفكرةَ المفكِّرُ الغربيُّ «مونتغمري واط» قائلاً: إن «الإسلامَ من وِجهةِ نظرِ المسيحية الغربية يَتَّسِمُ بخَلفيةٍ إشكاليةٍ لاهوتيةٍ عميقة، لقد ظَهر في أوائلِ القرنِ السابعِ للميلاد في مُحيطٍ تميَّز بتأثُّرِه الروحيِّ بالتقاليد اليهودية ـ المسيحية، مؤكِّدًا من ناحية ـ وعَبْرَ التوحيدية الإبراهيمية ـ صِلَتَه المبدئيةَ بتلك التقاليدِ الشرقيةِ اليهودية ـ المسيحية، ولكنه وَضَع نفسَه من ناحيةٍ أخرىٰ في خندقٍ مضادٍّ متعارِضٍ تمامًا مع التقاليدِ الدينية المذكورة.

فمن خلال تعميمٍ مُطلَقٍ غيرِ محدودٍ للتوحيد، ألغىٰ الإسلامُ في حقيقةِ الأمر أيَّ إمكانٍ لتجسيدِ الطبيعةِ الإلهيةِ مع نفيٍ تامٍّ لفكرةِ «الثالوث المسيحية».

وبذلك التوجُّهِ العقائدي حَطَّم الإسلامُ النظامَ البنيويَّ ـ اللاهوتي الذي كان مُهيمنًا في التصورات المسيحية ـ لا سيَّما في العصر الوسيط ـ حولَ التكوينِ الإلهيِّ للتاريخ، وحولَ التقديس، وتجسيدِ الإلـه ذاته، هكذا كان ظهورُ الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعًا من التحدي الديني ـ التاريخي»[١].

كما يرىٰ بعضُ المفكِّرين الغربيين أن محمداً ورسالتَه قد تسبَّبا في منعِ انتشارِ المسيحية في الشرقِ الأقصىٰ أو تفاعُلِها مع البوذية، وهي فكرةٌ يعتنقُها بعضُ المفكِّرين المتأثِّرين بالفكرِ «النِّسَوي» الذي يَرىٰ العالَمَ كان أقربَ إلىٰ رُوحِ الأنثىٰ، إلىٰ أن جاءَ الإسلامُ فجعله عالمًا ذكوريًّا، ولذلك

(١) «تأثير الإسلام علىٰ أوربا في القرون الوسطىٰ» (ص٨ ـ ١٠) لمونتغمري واط.

يقولُ أحدُهم، وهو المفكر «ليفي ستراوس»: «إن وجودَ الإسلامِ قد لَعِب دوراً مزعجًا، لقد قَطَّع إلى نصفين عالَمًا كان يستعدُّ للاتحاد، وتدخَّل بين الهللينيةِ والشرق، بين المسيحية والبوذية، لقد قام الإسلامُ بعمليةِ أسلمةِ للغرب، ومَنَع المسيحيةَ من أن تتعمق، وأن تُكوِّن ذاتها أكثَرَ فأكثر بعمليةِ تلاقُحٍ مع البوذية، لقد أصبح الغربُ مسلمًا، أي قويًّا ومحاربًا ورجوليًّا وعالِمًا ومنظِّمًا، وفقد حَظَّه في (البقاء امرأة)».

يبقى الإسلامُ في نظرِ الغالبيةِ العظمى من مفكِّري الغربِ دينًا يُعيقُ تقدُّمَ الغربِ مهما بَلغت نجاحاته، ليس مهمًا أن يكونَ الإسلامُ أفضلَ أو أسوأَ من الدينِ المسيحيِّ الذي تَركه معظمُ الشعبِ الأوروبي عمليًّا، ولكنه لا يزالُ يُحرِّكُ معتقداتِه الفكريةَ في التعامل مع الآخرين بقوة، المهمُّ أن الدينَ الإسلاميَّ وسُنةَ نبيِّ الإسلام ﷺ يُمثِّلان عائقًا حقيقيًّا أمامَ تطُّورِ المسيحيةِ بالنسبةِ للمتدينين والغربِ عمومًا بالنسبة إلى غير المتدينين، الإسلامُ - في نظرهم - هو حَجَرُ عَثْرَةٍ يَعترضُ مسيرةَ الحضارةِ الغربيةِ برُمَّتها.

*** العنصرية الغربية والاستعلاءُ الكاذبُ للجنسِ الأبيض:**

تُغَلِّفُ العنصريةُ الغربيةُ تاريخيًّا بالكثير من الأغلفة الفكرية الخادعة، وقد اتَّخذ الفكرُ الغربيُّ موقفًا معاديًا من رسولِ اللَّه؛ لأنه يُمثِّلُ رَمْزَ المساواةِ الحقيقية بين البشر، وقَدَّم النموذَجَ العمليَّ للتعايُشِ بين البشرِ دونَ أفضليةِ لجنسٍ على جنسٍ إلاَّ بالقرُبِ والبُعدِ من الإيمان والقُربِ من اللَّه، أما الفوارقُ العرْقيةُ فقد تَقلَّصت إلى حدٍّ بعيدٍ في النموذج الحضاريِّ الإسلاميِّ الذي استَمدَّ تعاليمَه - كما يَعرفُ الغربُ - من رسالةِ الإسلام وسُنَّةِ النبيِّ

الكريم ﷺ، لم يُرْضِ ذلك المفكرين الغربيين بالتأكيد؛ لأنهم قَدَّموا لشعوبهم وللعالَم نموذجًا آخَرَ يقومُ علىٰ فكرةِ التمايز العِرْقيِّ والعنصري.

يرىٰ الباحث «أليسكي جورافيسكي» أن الكثيرَ من الأيديولوجيين الأوروبيين ركَّزوا علىٰ مسألةِ التعارضِ المطلَقِ بين الشرقِ والغرب، فالشعورُ بالعظمةِ والتفوقِ الحضاريِّ قاد الشعوبَ الأوروبيةَ إلىٰ فكرةٍ نمطيةٍ جامدة ـ كما يقول الباحث ـ، شَكَّلت التُّربةَ المناسبةَ لظهورِ نظرياتٍ تُركِّزُ علىٰ التعارضِ التاريخيِّ بين أوروبا وآسيا، وكأنه صراعٌ أزليٌّ لا حلَّ له، وضِمنَ هذا المَنْحَىٰ الأُحاديِّ صُوِّرَ التاريخُ العالميُّ كصراعٍ بين الغرب الديناميكي، كتب ساندرسون: «إنَّ الجنسَ الآرِيَّ العظيمَ وحدَه فقط القادرُ علىٰ قيادةِ البشرية نحوَ طريقِ الحريةِ الدينية والسياسيةِ والحريةِ الفكرية».

* **العجز عن إيقاف نموِّ الإسلام:**

جاء محمدٌ ﷺ برسالةٍ سماوية تختلفُ عن المسيحية التي حُرِّفت بعد المسيح ﷺ، أكَّد محمدٌ أن هذا الدينَ سيبقىٰ ما بَقِيَ الليلُ والنهار، وثَبَتَ صِدقُ ما قال، وأزعَجَ ذلك الغربَ العنصريَّ إزعاجًا شديداً.

إنَّ من المشكلاتِ الحقيقيةِ التي تُعاني منها الكنيسةُ الأوروبيةُ منذ ظهورِ الإسلام هو عدمُ قُدرةِ هذه الكنيسةِ علىٰ إيقافِ نموِّ الإسلام، فالإسلامُ ينمو في كلِّ الظروف، ومع كلِّ الضغوط، وتحتَ كلِّ الظروف الاجتماعية المختلفة، وفي كلِّ العصور، وهو بالتأكيد ينمو علىٰ حسابِ أنصارِ تلك الكنيسةِ التي تهتمُّ اهتمامًا كبيرًا بالتنصير، ويستهدفُ نفسَ المجتمعاتِ التي تحاولُ الكنيسةُ السيطرةَ عليها، وتحويلَها إلىٰ دينها.

لم يَقتصرِ الأمرُ على رجالِ الدينِ فقط، بل إن المستشرقين أيضًا شَعُروا بالخوفِ من تنامِي الإسلام، لذلك «يفتقدُ المرءُ الموضوعيةَ في كتاباتِ مُعظمِ المستشرقين عن الدين الإسلامي، في حين أنهم عندما يكتبون عن دياناتٍ وَضْعيةٍ مثل البوذية والهندوكية وغيرهما، يكونون موضوعيين في عَرضِهم لهذه الأديان، فالإسلامُ فقط من بين كلِّ الديانات التي ظَهرت في الشرق والغرب هو الذي يُهَاجَم، والمسلمون فقط مِن بين الشرقيين جميعًا هم الذين يُوصَمون بشتَّى الأوصافِ الدنيئة، ويتساءلُ المرء: لماذا؟.

◻ ولعلَّ تفسير ذلك يعودُ إلى أن الإسلامَ كان يُمثِّلُ بالنسبة لأوروبا صدمةً مستمرةً، فقد كان الخوفُ من الإسلام هو القاعدة، وحتى نهايةِ القرنِ السابعَ عَشَرَ كان «الخطر العثماني» رابضًا عند حدود أوروبا، ويُمثِّلُ - في اعتقادهم - تهديدًا مستمرًا بالنسبةِ للمَدَنِيَّةِ النصرانية كلِّها، ومن هنا يُمكنُ فَهمُ ما يَزعمُه المستشرق «موير» من أن «سيفَ محمد والقرآن هما أكثرُ الأعداءِ الذين عَرَفهم العالَمُ حتى الآن عنادًا ضدَّ الحضارةِ والحريةِ الحقيقية»، وما يدَّعيه «فون جرونيباوم» من أن الإسلامَ ظاهرةٌ فريدةٌ لا مثيلَ لها في أي دينٍ آخَرَ، أو حضارةٍ أخرى، فهو دينٌ غيرُ إنسانيٍّ، وغيرُ قادرٍ على التطوُّرِ والمعرفةِ الموضوعية، وهو دينٌ غيرُ خَلاَّقٍ وغيرُ علمي»[1].

◻ إن الخوفَ من قوةِ الإسلامِ المُحرِّكة الذي يأخذُ في اللحظاتِ الحماسية شَكْلَ الدفاعِ والصراع والمشاجرة، وهو أحدُ أكثرِ الأشكال

(١) «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري»، د. محمد حمدي زقزوق، كتاب «الأمة» - قطر، نقلاً عن الموقع الإلكتروني للشبكة الإسلامية: www. islamweb. net.

الانفعالية في التاريخ، قد أَبرَزَ مفهومَ الإسلام السياسي كتهديدٍ متواتر، ومفهومَ الدين السياسي كبِنيةٍ تاريخيةٍ في أصول الإسلام، يقول «جولدزيهر»: «إن الإسلامَ قد جَعل الدينَ دنيويًّا، لقد أراد أن يَبني حُكمًا لهذا العالَم بوسائلِ هذا العالم»[1] .

إننا أمامَ منافسةٍ شرسةٍ بدأت منذ أكثَرَ من ألفِ عام، وساحَتَها كانت في مُعظَمِ الأحيان هي كلُّ أنحاءِ المعمورة، ومع ظُهور العولمة، وتزايُدِ حركات الهجرة، ونَقصِ العَمالةِ اليدوية المدرَّبة في أوروبا، وتناقُصِ عددِ السكان في كثيرٍ من دولِ شمال وغرب أوروبا، فقد تسبَّب كلُّ ذلك في عَودةِ الوجودِ الإسلاميِّ للظهور بقوةٍ داخل أوروبا، وفي كلِّ عواصمها وحواضِرِها بشكلٍ أصبَحَ يستفزُّ كلَّ مَن يسعىٰ إلىٰ الانتصارِ للكنيسة، أو للغربِ علىٰ حساب الإسلام.

لقد رأت الكنيسةُ الأوروبيةُ تاريخيًّا ـ وحتىٰ الآن علىٰ أغلب الظن ـ أن هناكَ خُطورةً من انتشارِ الإسلامِ في كلِّ أنحاءِ المعمورة، وأن هذه الخُطورةَ تُمثِّلُ كارثةً علىٰ المسيحية، لذلك فإن المواقفَ الفكريةَ المسيحيةَ تَنحىٰ دائمًا إلىٰ الهجومِ علىٰ الإسلام وعلىٰ نبيِّ الإسلامِ ﷺ.

*** إهدارُ قيمةِ كلِّ مقدَّس عند العلمانيّين الغربيين:**

تطوَّرَ مشروعُ العلمانيةِ من «فَصلِ الدين عن الدولة» إلىٰ «إقصاء الدين عن الحياة» . . إلىٰ «الهجوم علىٰ الدين للقضاء علىٰ ثبات القِيم»، واستَتْبَعَ

(١) «أوروبا والإسلام. . صدام الثقافة والحداثة» هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠١م (ص٨٥).

ذلك رغبةُ القائمين على هذا المشروع العلماني في القضاءِ على كلِّ القِيَمِ الثابتةِ في المجتمعات، وتحويلِ فكرةِ القِيَمِ إلى موضوعٍ نسبيٍّ متغيِّرٍ تبعًا للزمان والمكان وأمزجةِ الشعوب.

يقتضي تحقيقُ هذه الفكرةِ القضاءَ على وَلَعِ الشعوبِ وتقديرِها للمقدَّس، بصرفِ النظر عن قيمةِ ذلك المقدَّس في حياتها، أو مدى اعتزازِها به، من أجل ذلك ظَهرت حملةٌ منظمةٌ في الغربِ طوالَ الأعوامِ الماضيةِ للنَّيل من كلِّ الأنبياءِ والصالحين، وليس نبيَّ الإسلام وحده.

فقد ظَهر في الإعلامِ الغربي مؤخَّرًا العديدُ من الأفلام التي تهاجمُ المسيحَ عليه السلام، وكذلك نبيَّ اللَّه موسى، وكلُّ ذلك يَندرجُ - في ظننا - ضمنَ مشروعٍ علمانيٍّ يهدفُ إلى تشويهِ صُورِ كلِّ رموزِ القِيَمِ الأخلاقيةِ غيرِ المتغيِّرة في العالم، ولعلَّ ذلك يُفسِّرُ أيضًا سببَ تكرارِ الهجومِ على نبيِّ الإسلام من أنصارِ التياراتِ المتحرِّرةِ والليبراليةِ في الغرب.

*** فَشَلُ تحجيمِ التأثير السياسي والدولي للإسلام:**

إن التياراتِ العلمانيةَ واللادينيةَ التي تَحكُمُ الكثيرَ من دول أوروبا - ولها تأثيرٌ قويٌّ على السياسة الأمريكية أيضًا - لا تكترثُ كثيرًا لمسألةِ انتشارِ الإسلامِ عدديًّا أو جغرافيًّا أو عقديًّا في مواجهةِ المسيحيةِ، أو أيِّ ديانةٍ أخرى، كثيرٌ من هؤلاء القادةِ السياسيين والإعلاميين والفكريين ممن ينتمون إلى التيار اللاديني أو العلماني لا يهتمُّون لموضوعِ الدين من ناحيةِ علاقةِ الإنسانِ بخالقه، أو بمَعبَدِه أو كنيستِه أو مسجده، ما يَشغلُهم بالتأكيد هو آثارُ التدينِ على مسيرةِ العالَم الاقتصاديةِ والليبراليةِ والحضاريةِ بمفهومهم هم

لهذه الحضارة السائدة.

وفي هذا السياقِ يَبرُزُ الإسلامُ كمصدرِ إزعاجٍ رئيس؛ لأنَّه قوةٌ محرِّكةٌ ومؤثِّرةٌ، وتدفعُ بمُعتنقيهِ إلىٰ رَفضِ الهيمنةِ ومقاومةِ مشروعاتِ الاستعمارِ الفكريِّ والاقتصاديِّ بنفس حِدَّةٍ وصَلابةٍ ومقاومةِ الاستعمارِ المسلَّح، وهنا يَكمُنُ تفسيرُ اتحادِ التياراتِ الليبرالية العلمانيةِ الغربيةِ مع التياراتِ الدينيةِ المتطرِّفةِ في بعضِ الكنائسِ الأوروبية، من أجل تقليصِ تأثيرِ الإسلامِ علىٰ العالَم المعاصر، إنه تحالُفٌ لم يَحدُثْ في التاريخ مِن قبلُ بهذه الدرجة من الشموليةِ والتعقيدِ والانتشارِ الجغرافي أيضًا.

وهذا الاتحادُ الفكريُّ بَدأ منذ القديمِ عن طريقِ المفكرين المسيحيين، يذكرُ أحدُ المفكِّرين الروسُ عن ذلك: «إننا لَواجِدون عند كبارِ المفكرين المسيحيين - بدءً من أوغسطين وانتهاءً بتوما الأكويني - فكرةً عامةً ملازمةً تقول: إن تطورَ الإنسانية يجبُ أن يُفضيَ حتمًا إلىٰ ملكوتِ المسيح، وهو تطورٌ يجبُ أن يَستوعبَ في داخله العالَمَ كلَّه، وفي الوقتِ ذاته، «فإن مَلِكنا علىٰ حقٍّ، أما غيرُ المسيحيين، فهم ليسوا علىٰ حقٍّ» (أغنية رولان)[1].

* **فُقدانُ الغَربِ للحبِّ والعاطفةِ، فقلوبُ أهله أقسى من الحجارة:**

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ تَعلَّمت من دينها أنَّ أوثَقَ وأعلىٰ درجاتِ الإيمانِ أنْ تُحبَّ في اللَّه، وأن تُبغِضَ أيضًا في اللَّه، وأسمىٰ درجاتِ المحبةِ في اللَّه أن

---

(١) «الإسلام والمسيحية» (ص١٩).

تُحبَّ خيرَ خَلقِ اللَّه ﷺ ، نعم نحنُ نؤمنُ برسالةِ النبي ﷺ ، ونراه قائدًا وهاديًا ورسولاً . . ولكننا أيضًا ـ وفوقَ كلِّ ذلك ـ نُحبُّه حبًّا كبيرًا ومختلِفًا عن كلِّ معاني الحبِّ التي تربطُ الغربيين بحُكَّامهم، أو حتىٰ أنبيائهم .

بل إن العجيبَ في الأمر ـ والذي يؤكِّدُ مرضَ الغرب ـ أننا ـ نحن المسلمين ـ نحبُّ أنبياءَهم أكثَرَ من حُبِّهم هم لهم، فليس من الممكن أن تَسمعَ مسلمًا يَهزأُ بالمسيح عليه السلام، ولا يُمكنُ أن تَجِدَ أيَّ فردٍ من أفرادِ هذه الأُمة العربيةِ والإسلاميةِ يَسخَرُ من نبيِّ اللَّه موسىٰ عليه السلام، إنهم أنبياءُ نؤمنُ بهم ونُوقِّرُهم، والأهمُّ في كلِّ ذلك ـ في هذا السياق ـ أننا حقًّا نحبُّهم، لَيتَهم في الغربِ يَعرفون ماذا يعني هذا الحبُّ؟! وكم هو جميلٌ أن تكونَ مُحِبًّا . . وأن تحيا بالعاطفة، و ليس بالمصلحةِ أو المنفعة .

لكنَّ الحُبَّ يُفرِزُ أيضًا عاطفةً مضادةً وهي الكُرْه، وهنا يمكنُ أن نَجِدَ تفسيرًا لحماسِ مفكِّري الغرب في الهجومِ علىٰ ظاهرةِ حُبِّنا الشديدِ لنبيِّ الإسلام ﷺ ، فالحبُّ عاطفةٌ جياشة، وكأيِّ عاطفةٍ، فإنها تَحمِلُ دائمًا ضِمنَ عناصرِها نَقيضَها ـ وهو الكُرْه ـ، إن مَن يعرفُ كيف يُحب . . يتيقَّنُ أيضًا كيف يكره .

إننا أُمةٌ نحاولُ دائمًا أن نَربِطَ العاطفةَ بمعاييرِ الدينِ والأخلاق، ونحاولُ كذلك أن نتحكَّمَ في الكراهيةِ لكي تنضبطَ ضِمنَ أُطُرِ الدينِ والقانونِ والأعراف، ولكننا لا نحاولُ أبدًا أن نتخلَّص منهما، بل إن الدينَ الإسلاميَّ الذي يَحُثُّ علىٰ الانضباطِ والتقيُّدِ في الحب . . هو نفسُ الدين الذي يَرىٰ أن الكُرهَ عاطفةٌ بشريةٌ لا يمكنُ القضاءُ عليها، ولكن يجبُ أن

تُقَنَّنَ وتُضبَطَ ضِمنَ قِيَمِ وقواعدِ المجتمعاتِ الإسلامية.

أما الغربُ، فهو يريدُ أن يتخلَّص الناسُ - وخصوصًا هذه الأمة - من تلك العواطفِ الجيَّاشة.. حبًّا كانت أم كراهيةً.. فكلاً منهما يساعدُ على تقويةِ النقيض.. فمَن يُحبُّ بشدةٍ - حتى وإنِ انضبط بمعاييرِ الشرع - يمكنُ أن يَكرَهَ أيضًا بشدَّةٍ ضمنَ نفسِ المعايير والضوابط، هناك في الغرب مَن يريدُ تركيعَ البشريةِ حتى لا يَكرهَ أفعالَه أحدٌ، حتى وإنْ قَتل وعذَّب واستَهزأ وهَيْمَنَ وسيطر.. لابد إذن أن يُقيِّدَ ويُحجِّمَ الحُبُّ.. وأن تُقتلَ مشاعر البغض.

ليس هناك من تدريبٍ أفضلُ على قتلِ العاطفةِ لهذهِ الأمة مِن أن يُستهزأَ بخيرِ خَلقِ اللَّه ﷺ، وأن تُمنعَ الأُمةُ من التعبيرِ عن غضبِها من الاستهزاءِ أو حبِّها للنبي ﷺ، الغربُ يريدُ أن يُطوِّعَنا أن نَقبلَ أن يُهانَ أغلى مَن نُحبُّ، وأن نَمتنعَ عن إظهارِ العاطفة.. وبالتالي سنمتنعُ إيضًا تلقائيًّا - في ظنهم - عن بُغضِ أفعالهم.

لن تَنجحَ محاولةُ تدريبِ الأمةِ - أفرادًا وجماعاتٍ - على أن نَنسى العاطفة.. ولن يُفلحَ مَن يُحاولُ أن يَكبتَ طاقاتِ المحبين، قد يكونُ المطلوبُ - للبعض في الغرب - أن تَفقدَ الأُمةُ ثِقَتَها في نفسها.. وفي قيمةِ العاطفة.. وبالتالي تَلْفظُ الحبَّ والكُرْهَ معًا.. وتتحولُ إلى كائنٍ مُطيعٍ ينضمُّ إلى القافلةِ المتحركةِ نحوَ نهايةِ التاريخ عندما ينتصرُ الغرب، ولكنني أشك في إمكانيةِ حدوثِ ذلك، إننا أمامَ معركةِ المستقبلِ بين العواطفِ والمصالح.. بين الإنسانِ والآلة.. بين سيادةِ القلبِ أم هَيمنةِ العقل.. مِن

أجل ذلك لابدَّ نَقبَلَ خَوضَ المعركة . . وسلاحُنا في ذلك هو العاطفة، وهو تَحدٍّ عقليٌّ وقلبيٌّ مع الغرب، ولكننا سننتصرُ بهما معًا .

*** محمدٌ ﷺ تجسيدٌ للكمال الإنساني، فاضحٌ لِبَهيميَّةِ الغَرْبِ وانحطاطه :**

يَرىٰ البعضُ في الغربِ في شخصيةِ النبي ﷺ نموذجًا متكاملاً لنوعٍ من الكمالِ الإنسانيٍّ الذي لا يُمكنُ للغرب بأفكارِه ونظرياتِه وممارساتِه أن يَصِلَ لها، وعند هذا الفريقِ من الغربيين، يُصبحُ القضاءُ علىٰ هذا النموذجِ همًّا حقيقيًّا بذاته .

فكأنَّ حياةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ تُمثِّلُ ذلك الضميرَ الذي يُوخِزُ الغربَ في جَنَباته، وكأنه مِرآةٌ داكنةٌ توضِّحُ لهم بالدليلِ الواقعيِّ مَدىٰ التردِّي الذي وَصَل إليه حالُ الشخصيةِ الغربية نتيجةً لابتعادِها عن النموذجِ المحمديِّ .

● عن تَميمٍ الداريِّ ﷺ قال : سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول : «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغَ الليلُ والنهار، ولا يَتركُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاَّ أَدْخَلَه هذا الدينَ بعِزِّ عزيزٍ، أوْ بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ به الإسلامَ، وذُلاًّ يُذِلُّ به الكُفرَ**»[1] .

***

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٣١، ١٦٣٢)، والحاكم (٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». . وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١).